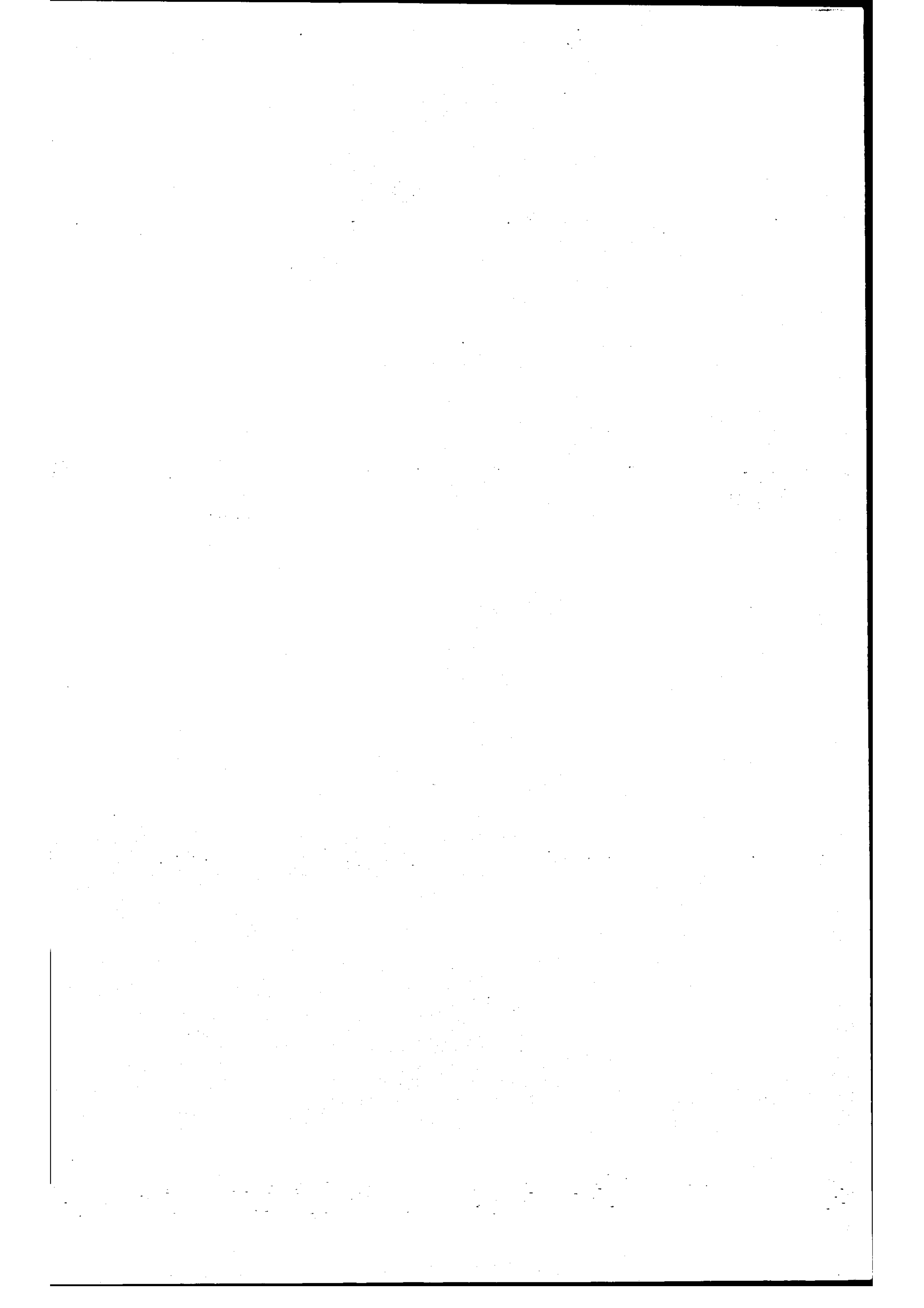
العلاقات الدولية في العصور الوسطى

أثر الحضارة العربية الإسلامية
في تطوير العلاقات الدولية
بالطابع الإنساني

دكتور
سمير عبد المنعم أبو العينين
دكتوراه في تاريخ وفلسفة القانون الدولي العام

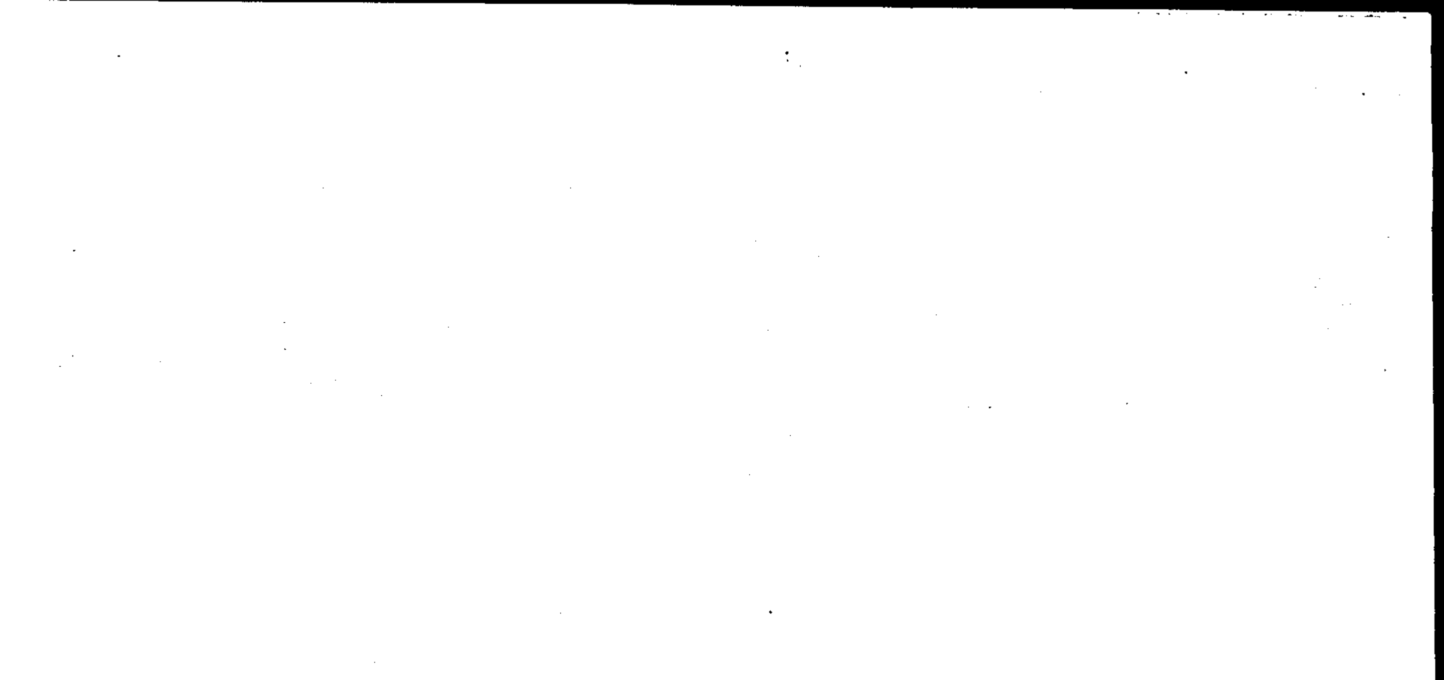
الطبعة الأولى
القاهرة : ١٩٨٩ م



بسم الله الرحمن الرحيم

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى
وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

صدق الله العظيم



المقدمة

العصور الوسطى مصطلح تاريخي سجله المؤرخون بصفة تقريبية عن الفترة التي بدأت من سقوط روما عاصمة الامبراطورية الرومانية الغربية على ايدى قبائل الجرمان عام ٤٧٦ م — الى سقوط القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية على ايدى الاتراك العثمانيين بقيادة السلطان محمد الفاتح في عام ١٤٥٣ م — وبذلك تكون العصور الوسطى قد امتدت في المجتمع الدولي قرابة عشرة قرون من انتهاء العصور القديمة حتى ظهور العصور الحديثة •

ظهر في هذه العصور عدد من القوى السياسية الكبرى — جعلت شكل المجتمع الدولي يأخذ طابعا مميزا عن العصور القديمة — حيث تشابكت المصالح وتعددت العلاقات بين تلك القوى خلال هذه العصور — كما حدث بينها صراعات ومنازعات وحروب في فترات معينة شرقا وغربا نتيجة محاولة كل طرف الحصول على أكبر قدر من المكاسب السياسية والاقتصادية والاجتماعية من أجل أن يتزعم الاطراف الاخرى ويكون له السيادة العظمى في المجتمع الدولي — وأهم هذه القوى كانت

تتمثل فى ثلاثة مجتمعات سياسية رئيسية ـ لكل منها كيانه ومقوماته وخصائصه المميزة وهى كالاتى : ـ

** المجتمع البيزنطى ـ وكانت تمثله الامبراطورية الرومانية الشرقيه التى وضع اساسها وانشائها الامبراطور الرومانى قسطنطين عام ٣٣٠م ـ وكان مجتمعا مسيحيا وغالبية سكانه ارثوذكس المذهب •

** المجتمع الاوربى الغربى ـ وشعوبه كانت تمثل الامبراطورية الرومانية الغربية ـ وهو مجتمع مسيحى الديانة ايضا • ولكن غالبية شعوبه كاثوليك المذهب •

** المجتمع الاسلامى ـ الذى ظهر بمجىء الدعوة الاسلامية ونما سريعا وتميز بحيويته الانسانية فى بناء حضارة عظيمة امتدت من اقصى الشرق حتى حدود فرنسا الجنوبية ـ وشعوبه تقاربت وتلاحمت رغم تباعد اوطانهم وأختلاف جنسياتهم •

وقد تقابلت هذه المجتمعات حضاريا من خلال امتدادها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ـ وخاصة فى منطقة الشرق الاوسط وحول حوض البحر الابيض المتوسط ـ ودارت بينهما علاقات دولية عديدة ومتنوعة على اسس وأوضاع جديدة سلما وحربا سجل التاريخ الانسانى كل احداثها •

جانب من الفقه الدولي وخاصة فقهاء أوروبا المعاصرين ـ قد انكروا تماما أى وجود للعلاقات الدولية فى العصور الوسطى حيث اشاروا فى مؤلفاتهم بأن العلاقات التى تمت بين هذه المجتمعات فى تلك العصور كانت لا تستند الى أى نظم أو قواعد قانونية دولية على اساس أنهم اعتبروا أوروبا قد عاشت خلال هذه الفترة فى ظلام وأضمحلال ، وبأن المجتمعات الشرقية الاخرى كانت غير منظمة سياسيا وما مارسته من علاقات سواء بينها أو مع المجتمعات الاوروبيه كان لا يرتفع الى مرتبة العلاقات الدولية بالمعنى الفنى الصحيح •

ومن هذا المنطلق قد قمنا باعداد هذا البحث بعد الدراسة الموضوعية والتاريخية لكى نؤكد بأن العصور الوسطى رغم ما حدث فيها داخل القارة الاوروبية من عوامل شر وتخلف ـ قد ظهرت فيها علاقات دولية عديدة استندت الى نظم وقواعد قانونية ـ عبرت عن مفهوم الصلات والروابط التى كانت بين مجتمعات الاسرة الدولية فى تلك العصور وذلك نتيجة انتصار الخير على الشر بعد أن ظهرت فى تلك الفترة الدعوة الاسلامية التى أسست أعظم دولة عالمية غرست القيم والمبادئ الروحية والاخلاقية فى نفوس جميع الشعوب المنتشرة فى كافة ارجاء المجتمع الدولى ـ وطورت العلاقات

الدولية والقواعد القانونية التى نظمتها بالطابع الانسانى ـ وسوف نبين ذلك بالتفصيل مع الاعتماد على الحقائق المسجلة فى التاريخ الانسانى لنحدد أسس ومفاهيم وحركة العلاقات الدولية فى العصر الوسيط ـ فى ثلاثة ابواب على النحو التالى :

الباب الاول :

سنعرض فيه الحضارة الاوروبية فى العصور الوسطى وأثرها على العلاقات الدولية والقواعد القانونية التى نظمتها منذ بداية سقوط روما عام ٤٧٦ م وحتى انهيار الامبراطورية الجرمانية الرومانية القديمة التى تكونت عام ٨٠٠م وتوج الامبراطور شارلمان حاكم زمنى عليها لكى يجمع شمل شعوب القارة الاوروبية ٠

الباب الثانى :

سنوضح فيه اثر الحضارة الرومانية الشرقية على العلاقات الدولية فى العصور الوسطى منذ بداية تأسيس القسطنطينية على يد الامبراطور الرومانى قسطنطين عام ٣٣٠ م ـ حتى

انهيارها وزوالها من سجلات التاريخ على ايدى الاتراك العثمانيين عام ١٤٥٣ م ٠

الباب الثالث :

سنبين فيه بالحقائق والادلة اثر الحضارة العربية والدولية العالمية الاسلامية فى تطوير العلاقات الدولية والقواعد القانونية التى نظمتها بالطابع الانسانى وذلك منذ بداية ظهور الدعوة الاسلامية عام ٦١٠ ميلادية حتى نهاية الخلافة العباسية بعد تدمير بغداد عام ١٢٥٨ م على ايدى جحافل المغول ٠

٠٠ ثم ننهى عرضنا بخاتمة نشير فيها الى أهم النتائج التى أمكن التوصل اليها عن طابع العلاقات الدولية فى العصور الوسطى وأثر الحضارة العربية الاسلامية فى تطويرها وأنارة الظلام فى القارة الاوروبية ٠

البـاب الاول

الحضـارة الاوروبية فـى العصور الوسطى

بدأت هذه الفترة من القرن الخامس الميلادى الى القرن السادس عشر ويمكن تقسيم احداثها فى القارة الاوربية الى فترتين :الأولى : بدأت من سقوط روما عام ٤٧١ م حتى قيام الامبراطورية الجرمانية الرومانية المقدسة عام ٨٠٠ م ، والثانية : تبدأ عقب قيام هذه الامبراطورية حتى زوالها لظهور دول وممالك مستقلة فى القارة الاوربية منذ بداية القرن السادس عشر (١) .

وسوف نعرض الحضاره الغربية فى العصور الوسطى على هذا النحو لوجود تمايز فى العلاقات الدولية بين الفتره الاولى والثانية من حيث الطابع الانسانى حيث سادت القارة الاوربية خلال الفتره الاولى أوضاع مظلمة وأحوال سيئة تفككت فيها أواصر وروابط الشعوب الاوربية نتيجة للخلافات والصراعات التى ظهرت بينهم عقب سقوط روما - أما الفتره الثانية فقد توحدت تلك الشعوب تحت لواء الامبراطورية الجرمانية الرومانية المقدسه ، التى تكونت عام ٨٠٠ م ، وتوج شارلمان حاكم زمنى عليها ، وتولى البابا زعامة السلطة الدينيه فى جميع أرجائها ، وذلك لكى يعمل مع رجال الدين على تقوية الروابط الدينيه بين الشعوب الاوربية - وقد استمرت هذه الامبراطورية تجمع شمل معظم القارة الاوربية حتى ضعفت وتفككت أواصرها ، ثم انهارت تماما عقب ظهور الدول والممالك التى استقلت فى أوائل القرن السادس عشر .

---

(١) ادوار بروى ، تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى ، الجزء الثالث ترجمة / يوسف أسعد داغر ، وفريد م . داغر ، الطبعة الأولى ١٩٦٥ ، منشورات عويدات بيروت لبنان ، ص ٧ - ١٠ .

ولكن اذا كانت كل فتره قد تميزت بأنواع عديده من العلاقات الدولية الا أنه لا يمكن الادعاء بانفصال كل فتره عن الاخرى بل كان هناك ترابط بينهما ، وكانت الفتره الثانية امتدادا لاحداث الفتره الاولى وكمحاولة لتحسين أوضاع المجتمع الاوربى وانهاء صراعاته مع تطوير اسلوب علاقاته الدولية المختلفه مع المجتمعات الاخرى فى الشرق .

ولذلك سنعرض طابع العلاقات الدولية للمجتمع الاوربى خلال العصور الوسطى على النحو التالى :

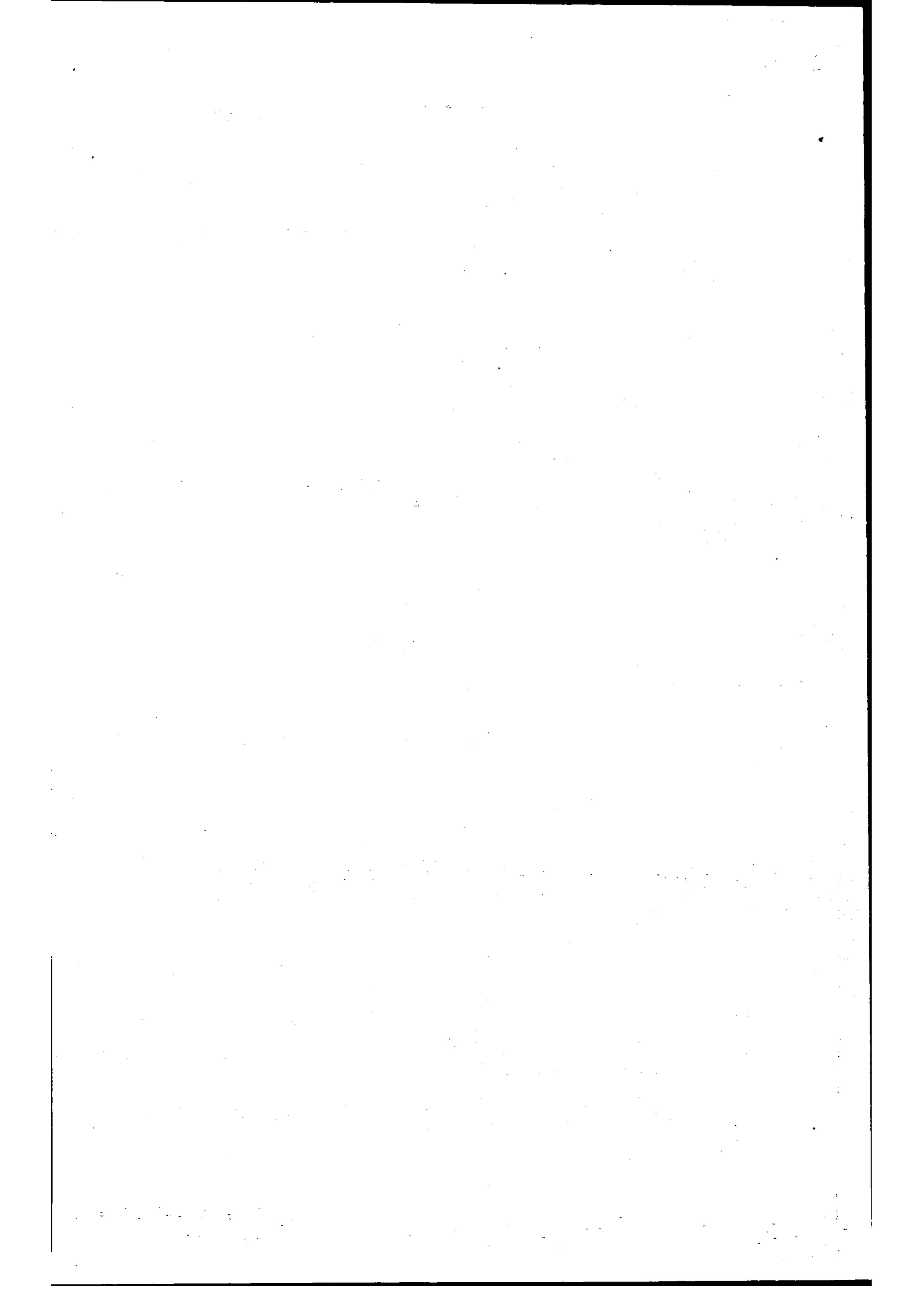
الفصل الاول : الفتره الاولى للعصور الوسطى فى القاره الاوربية
(من عام ٤٧٦م – حتى ٨٠٠م)

الفصل الثانى : الفتره الثانية للعصور الوسطى فى القاره الاوربية
(من عام ٨٠٠م – حتى أوائل القرن السادس عشر)

الفصــل الاول

الفترة الاولى للعصور الوسطى فى القارة الاوروبية

(من عام ٤٧٦ م — ٨٠٠ م)



الفصل الاول

الفتره الاولى للعصور الوسطى فى القاره الاوربيــة

(من عام ٤٧٦ ... ٨٠٠ م)

سبقت هذه الفتره أحداث تعرضت لها الامبراطورية الرومانية الغربيــة منذ نهاية القرن الثالث الميلادى — حيث تلقت ضربات متعاقبة نتيجــة تفاقم الازمة الاقتصادية فى كل أرجائها ، والتى بلغت ذروتها فى أوائـــل القرن الرابع ، وزاد سخط الشعب الرومانى على رجال السلطه من شـــدة ارهاقهم فى دفع ضرائب باهظه فرضت عليهم كمحاولة لعلاج الحالـــــة الاقتصادية (١) كما ساءت الحالة الاجتماعية نتيجة لظهور الطبقيـــة ، وتولدت طبقة عليا ابتزت جموع الشعب الرومانى ، بالاضافة الى انتشـــار الانحلال الخلقى بين المسئولين عن ادارة شئون الامبراطورية فى الداخـــل والخارج مع انشغالهم بامورهم الشخصية التى الهتهم عن مصالح الامبراطورية ولم يتخذوا أى مواقف جدية لعلاج أزماتها ، ودفع الاخطار التى هـــزت كيانها حتى انهارت تماما بسقوط روما عام ٤٧٦ م على أيدى الجرمان الذيـن توغلوا فى كل أرجائها (٢) .

---

(١) هـ . سانت ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة — عبد العزيز جاويد ١٩٦٧ — عالم الكتب بالقاهره — ص ٣١٩

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ١٤ — ١٦ .

والجرمان يرجع أصلهم التاريخي الى القبائل التى تكونت على شواطىء البلطيق بين نهرى الالب والاودر — حيث كونوا فى هذه المنطقة مستعمرات جرمانية بدائية عاشت على الصيد والرعى ٠

وفى عام ٢٠٠ قبل الميلاد تحركوا غربا الى أن وصلوا الى حدود نهر الراين ، ثم استقروا فى هذه المنطقة واحترفوا الزراعة ، وتبلورت نظمهم وعاداتهم واتحدوا فى صورة جموع على أسس شبه حضارية — وفى نفس الوقت زحفت قبائل جرمانية أخرى كانت موجودة فى شبه الجزيرة الاسكندنافية وعبرت بحر البلطيق ، وتحركت فى السهول الخصبة بحثا عن الرزق والرعى والزراعة حتى وصلت الى شمال البحر الاسود واستقرت فى هذه المنطقة فى صورة جموع متحدة أيضا ٠

وفى أول الامر كونت القبائل الجرمانية التى تجمعت فى تلك المناطق علاقات عديدة مع الرومان خاصة فى مجال التجارة ، كما عقدوا معهم معاهدات من أجل أن يسود السلام بينهما ، الا أنه مع مرور الزمن أنكر الجرمان هذه المعاهدات وشنوا حروبا وغزوات مفاجئة على الحدود الشمالية للامبراطورية الرومانية من أجل التوسيع واكتساب أراضى خصبة ، وقام الرومان بالتصدى لهم لوقف زحفهم وتغلغلهم داخل حدود الامبراطورية (١) ٠

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح (الحضارة الرومانية) ترجمة / محمد بدران — ١٩٦١ القاهرة — ص ٥٩

وخلال منتصف القرن الأول الميلادى استوطن الجرمان بصفة مستقرة فى الجزء الاوربى المحصور بين نهرى الراين والفستولا Vistula وبين نهر الدانوب وبحر الشمال والبلطيق ـ وظهروا فى صورة مجتمعات حضارية بعد أن توسعوا فى حدود هذه المناطق وافتتحوا أراضى خصبة جديدة بحد السيف بحثا عن الرزق • وكانت طباعهم دائما ميالة الى القوة والعنف بصورة جعلت الحروب والمنازعات كأنها طعامهم وشرابهم (١) ويقول المؤرخ الرومانى تاستس وهو يصف هذه الجموع الجرمانية بأنه (ليس شعار الرجل الالمانى هو أن يزرع الارض وينتظر حتى يجنى المحصول فى موسمه ، بل من السهل اقناعه بأن يهاجم عدوه بقوة وشراسة ، ولايبالى بما يتلقاه فى جسده من اصابات فى ميدان القتال حيث يعتبرها جروحا شريفة) ، كما يقرر المؤرخ أيضا عن صفات نسائهم بأنهن (كن يحرضن الرجال على القتال ويشتركن فى كثير من الأحيان فى الحروب معهم) (٢) •

وكان سكان هذه الجموع يتألفون من أربعة طبقات تبدأ من طبقة المقيدين ، ومعظمهم من العبيد ـ ثم طبقة المحررين وهم المستأجرون الذين لايتمتعون بحقوق سياسية ـ ثم طبقة الأحرار وهم الملاك والمحاربون ثم طبقة الاشراف التى تمثل أعلى الطبقات ، وتتكون من الحكام

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص١٨ •

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مرجع سابق ص٦٠

وملاك الاراضى الذين ادعوا باتصال انسابهم بالآلهه (١) - حيث كانت لدى الجرمان آلهة عديدة يتعبدونها مثل الآله تيو Tiu والآله اودن Odin ودونار Donar وفريا Freya اله الحرب، وهرثا Hertha اله الارض، وكانت صلواتهم لرضاء هذه الالهه يقيمونها فى الخلاء والغابات والغيطان حيث كانوا يعتقدون أنه من غير المقبول حصر روح الالهه الطيبة فى مساكن أو مبان مشيدة بالايدى البشرية - كما كان لديهم كهنه وكاهنات يقودون صلاتهم ويرأسون احتفالاتهم الدينيه ويفصلون فى المنازعات والقضايا التى كانت تنشب بينهم (٢) .

وفى تلك الفتره كانت الامبراطورية الرومانية فى أوج مجدها ومسيطرة تماما على الجزء الاوربى الذى استوطنت فيه تلك الجموع الجرمانية - ولكن فى أواخر القرن الثانى الميلادى سحبت اعدادا كبيرة من قواتها المتمركزه فى تلك المنطقة لتعزز بها مناطق أخرى فى الوقت الذى أخذت فيه الجموع الجرمانية تتزايد باستمرار حتى أصبحت فى أوائل القرن الثالث الميلادى ذات قوة ونفوذ - ثم ازدادت جرأتها وتهورها فى مهاجمة

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص١٩ .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مرجع سابق ، ص١٦

حدود الامبراطورية ، وشكلت أخطارا عديدة على كيانها ومصالحها فـــى هذه المنطقة الشمالية ، الامر الذى دفع الرومان أن يقيموا بواسطـــــة المهندسين العسكريين طريقا محصنا بين نهرى الراين والدانوب علـــى جانبيه قلاع وأسوار قوية لكى يتمكنوا من صد هجمات الجرمان المتكـــرره ومنعهم من التغلغل والتوسع .

وقد أمن هذا الطريق المحصن الرومان حوالى مائة عام ولكن مـــع تزايد أعداد الجرمان ، والنقص المستمر فى قوات الرومان أصبـــح هذا الطريق عديم الفائدة ، وشكلت هجمات الجرمان مرة أخرى خطـــورة بالغه أعتبرت فى أواخر القرن الثالث الميلادى من أشق الازمات التى تتعرض لها الامبراطورية الرومانية (١) .

وفى أوائل القرن الرابع الميلادى ازدادت خطورة الأمر بعد أن كـــون الجرمان جيشا قويا زود بأسلحة حديثة أفضل من الأسلحة التى كانت تحملها القوات الرومانية كما تدربت قواتهم تدريبا راقيا وأصبحوا يتقنون فنـــون القتال فى الوقت الذى كانت فيه القوات الرومانية تعانى من الضعف نتيجـــة تفشى بعض الامراض فيهم (٢) ـ واستمر هذا الحال حتى حدثـــت معركة فاصلة بين الرومان والجرمان فى أدرنه عام ٣٥٩م لقى فيها الرومـــان

---

(١) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجـــع سابق ص ٢٥

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٠

هزيمة ساحقة يعتبرها المؤرخون من أعظم الهزائم التى منيت بهـا الامبراطورية الرومانية حيث لقيت فيها خسائر فادحة فى القـوات والمعدات وفقدت سيطرتها تماما فى هذا القطاع الاوربى (١) .

وبعـد ذلك وجد الرومان نتيجة الازمات الاقتصادية والاجتماعيـة التى بدأت تنخـر فى عظام امبراطوريتهم استحالة فى ردع الجرمـان فاضطروا الى أن يجنحوا للسلم وعقدوا معهم اتفاقات عديدة من أجـل الا يتعدى أى منهم على الاخر ، وأن يسود سلام دائم بينهـم وسمح الرومان بعد ذلك للجرامان أن يتنقلوا ويتجولوا فى أرجـاء الامبراطورية كما استقبلوا منهم الاف واسكنوهم من أجل استقطابهـم وصبغتهم بالرومانية ، ثم عينوا عددا كبيرا منهم فى الجيش الرومانـى ، وارتقى بعضهم حتى وصل الى المناصب القياديـة .

وعلـى الرغـم من انتهاء الحروب بين الجرمان والرومان الا أن المؤرخين يعتبرون ماقـام به حكام رومـا كان بدايـة النهاية للامبراطورية — حيـث تزايد نفـوذ الجنـود الجرمان وقادتـهم فـى الجيش الرومانى ، وأثـاروا

---

(١) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجـع سابق ص ٨٥

الفوضى والثورة فى أرجاء الامبراطورية فى الوقت الذى تزايد فيه ضعفها واصبحت غير قادرة على استعادة مكانتها (١) - واستمرت هذه الاوضاع حتى جاءت النهاية بعد أن استطاع الجنود والقادة الجرمان أن يستولوا على زمام الأمور ، وتمكنوا من خلع الامبراطور الرومانى رومولوس انوسطولوس عن السلطة وقتله وتعيين قائد هم الجرمانى ادواكر Odoacre ملكا على ايطاليا عام ٤٧٦ م - وزالت بالتالى الامبراطورية الرومانية الغربية من صفحات التاريخ واعقبها دخول القارة الاوروبية بداية العصور الوسطى بظهور الجرمان كقوى جديدة فى ساحتها السياسية (٢) .

وبعد أن تمكن القائد الجرمانى (ادواكر) من تثبيت ملكه على ايطاليا ، ارسل الى زينون امبراطور الامبراطورية الرومانية الشرقية فى القسطنطينية يطلب منه أن يعترف به ملكا على ايطاليا نظير أن يقر سلطته عليه - ولم يجد الامبراطور زينون أى أمر يفعله أمام قوة الجرمان ونفوذهم سوى أن يقر ويعترف (لادواكر) ملكا على عرش روما (٣)

---

(١) ول ديوانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مرجع سابق ، ص ٦٣

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٣

(٣) د . خالد الصوفى ، تاريخ العرب فى الاندلس ١٩٧١ ، كلية الاداب الجامعة الليبية . بنى غازى ص ٥٩

بعض المؤرخين قد أشاروا بأن انتشار المسيحية كان من أهم أسباب سقوط روما حيث ارجعوا ذلك الى الاتى : -

١- ان الدين المسيحى قد قضى على العقائد الدينيه القديمة التى كانت تعتبر الدعامة الخلقية للنفوس الرومانية ، والدعامة السياسية لكيان الامبراطورية •

٢- الديانه المسيحية ناصبت العداء للثقافة الرومانية القديمة حيث اعتبرتها ثقافة وثنية ، وحاربت العلم والفلسفة والادب والفن مما ادى الى هدم البناء الفكرى للامبراطورية •

٣- حولت أفكار الشعب الرومانى من الشجاعة فى الحروب والسعى الجماعى والاخلاص للدولة الى الحياة الفردية عن طريق الزهد والصلاة - فى حين بقاء الامبراطورية يتطلب تقوية الروح الحربية بصفة دائمة والتفانى فى الدفاع عنها •

٤- جنوح المسيحية نحو السلم جعل الامبراطورية غير قادرة على حل ازماتها الاقتصادية والاجتماعية وأعجزها عن دفع خطر التغلغل الجرمانى (١)

الا أن معظم العلماء والمؤرخين قد قرروا بأن هذا الاتهام غير صحيح ، وبأنه لم يكن السبب الحقيقى لانهيار الامبراطورية وسقوط روما هو نمو المسيحية وانتشارها ، وانما يرجع للأسباب الأُخرى (السابق الاشارة عنها) (٢) •

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مرجع سابق ص٤٠٥ ، ٤٠٦

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص١٧

ويقول ول ديورانت فى ذلك بأن (الامبراطورية الرومانية قد تغشى فى أرجائها الانحلال الخلقى الذى بدأ فى الشعب الرومانى بعد فتح بلاد اليونان ، وبلغ أوجه فى عهد نيرون ، وأن مبادئ المسيحية قد أصلحت بانتشارها الناحية الخلقية للشعب الرومانى وجعلته ذا أثر طيب - وأنها لم تبعده عن ايمانه بالدولة بل فقد عواطفه نحوها نتيجة لان حكامها فى الفتره الاخيرة نصروا الغنى على الفقير ، وفرضوا ضرائب باهظة على الكدح ، وانصرفوا لمصالحهم الشخصية وحياة الترف ، وعجزوا عن حماية الشعب من المجاعات والأوبئه ، والغزو الأجنبى والفقر المدقع - وبالتالى لايمكن أن يلام الشعب الرومانى نتيجة تحوله عن القيصر الذى يدعو الى الحرب وحوله حاشية فاسدة الى المسيح الداعى الى السلم والامان - أو تحوله من حياة خالية من الأمل والكرامة الى دين يواسيهم فى فقرهم ويكرم إنسانيتهم (١) .

ولذلك فالسبب الحقيقى لسقوط روما ليس انتشار المسيحية - وانما فساد الأخلاق ، حيث أدى الى تدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وأضعف قدرتها فى مقاومة التغلغل والزحف الجرمانى الذى عجل بموتها (٢) .

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مرجع سابق ص٤١٧

(٢) د / حسن شحاته سعفان ، مونتسكيو ، (سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب) - غير محدد سنة الطبع - دار النهضة العربية - ص ١١٢

لم يستطع (اد واكر) وأعوانه الجرمان من توحيد البلاد الايطاليـــة والسيطرة عليها - بل شاعت في مناطق عديده الفوضى والتفكك ، وظهرت ممالك اقطاعية ، واصبح كل سيد اقطاعي يهيمن على جزء من الاراضـــي الرومانية في صورة امارة أو مقاطعة ويعتبر نفسه أميرا عليها - ونتيجة لغرور واطماع هؤلاء الأمراء نشبت صراعات وحروب شرسة بينهم ، مما ادى الـــى انهيار الوحدة الوطنية لشعب الامبراطورية الرومانية ، وفقدت السلطـــة هيبتها بعد أن وزعت بين الملك والأمير والسيد الاقطاعي ، واصبحـــت فكرة الحق يعطى للأقوى هي السائدة في ظل هذا النظام - وبهـــــذا دخلت القارة الاوربية بعد سقوط روما عصور الفوضى والظلام (١) .

وقد ظهرت الى جانب الجرمان قبائل أخرى نزحت من الشمال البـــارد الى السهول الخصبة بحثا عن الرزق ، الا انهم قاموا باعمال وحشيـــة واشاعوا الفوضى والذعر في النفوس وأفسدوا الحياة في فترات عديده فـــي القارة الاوربية مثل :

١ - القوط الذين عبروا بحر البلطيق في القرن الرابع قبل الميــــلاد ومكثوا في بعض السهول على الرعي والزراعة البدائية ، ثم تحركوا عام ١٥٠ م صوب الجنوب الشرقي واستمروا حتى بلغوا البحر الاسود ثم تفرعوا الى فرعيـــن فرع اتجه الى جنوب روسيا واطلق عليهم القوط الشرقيون ، والأخر اتجه الـــى الغرب داخل القارة الاوربية واطلق عليهم القوط الغربيون ، وقد دأبـــو على ايقاع الفساد في مقدونيا وبلاد الاغريق ثم هددوا روما مرات عديـــده

---

(١) د / محمد حافظ غانم ، مبادىء القانون الدولي العام ، طبعة ١٩٦٨ القاهره - دار النهضة العربية - ص ٤٧

من كثرة غزواتهم التى وصلت الى الاندلس وشمال افريقيا ٠

٢ــ قبائل الوندال الذين عبروا جبال البرانس عام ٤٠٨ م وهبطوا الى أرض اسبانيا وافسدوا الحياة فيها وأشاعوا الفوضى فى بعض المدن الرومانية الموجوده فى تلك المناطق من كثرة اغارتهم عليها ، كما أغاروا على بعض المدن فى شمال افريقيا ٠

٣ــ قبائل الهون وكانت الشعوب الاوربية تنظر اليهم نظرة الرعب والنفور والتقزز من خطورتهم حيث كانت لديهم سرعة فائقة فى الغزو والقتال وسلب خيرات البلاد ، واتخذوا مركز قيادتهم فى هنغاريا — واصلهم يرجع الى قبائل بدوية ترحالة نحو الرزق ، وغير مستقره فى اقليم معين ، وهم من العنصر المغولى وانضم اليهم بعض أفراد القبائل المهزومه ، زحفوا من جنوب روسيا الى أوربا الوسطى وأشاعوا فيها الفوضى ولم تسلم من غارتهم المفاجئه وهجماتهم الشرسه فى السلب والنهب أى مدينة فى وسط اوربا (١) ٠

وبذلك كان العالم الغربى بعد سقوط روما مسرحا للفوضى ، حيث تكالبت المشاكل والاضطرابات والحروب الشرسة التى سجلها التاريخ فى تلك الفتره ، نتيجة الصراعات التى حدثت بين الجرمان والقوط والوندال والهون

---

(١) هـ ٠ سانت ٠ ل ٠ ب ٠ موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٨٤ ، ص ٩١ ، ص ٩٥

من أجل السيطرة على القارة الاوربية والاستيلاء على خيراتها ، حيث أنهم جميعا كانوا عبارة عن قبائل بدائية هبطت من الشمال البارد المعتم وجفاف العيش الى وديان المناطق المعتدله لحوض البحر الابيض المتوسط حيث الشمس الساطعة والمياه الغزيرة العذبة والارض الخصبة والعيش اللين والرزق الواسع (١) • وكانوا فى أول الامر يريدون البحث عن الرزق فى ضعف واستكانه حيث كانت الامبراطورية الرومانية قوية ومسيطرة تماما على القارة الاوربية ولكن بعد سقوط روما وعدم وجود قوة أخرى تردعهم ظهرت الصراعات الدامية بينهم وقلبوا اوضاع المجتمع الاوربى من الاستقرار الى الفوضى والظلام •

وامام هذه الاحداث كانت الامبراطورية الرومانية الشرقية تنظر الى القارة الاوربية وتحاول التأهب للسيطرة على أوضاعها حتى تمكنت من عقد تحالف مع (ثيودوريك) ملك القوط الشرقيين الذين أصبح لديهم جيش قوى مدرب فى أواخر القرن الخامس الميلادى من أجل تحرير روما وطرد (أدواكر) الذى اغتصب السلطة ـ وبالفعل زحف القوط الشرقيون بقيادة الملك (ثيودوريك) باذن من زينون امبراطور القسطنطينيه الى ايطاليا ودارت بينهم وبين جيش (ادواكر) معركة شرسة تمكنوا فى النهاية من الانتصار عليه وعزله عن حكم روما ثم اغتياله عام ٤٩٣م ، واصبح بالتالى (ثيودوريك) ملك القوط الشرقيين ملكا على ايطاليا وممثلا للامبراطورية الشرقية فيها (٢) •

---

(١) د / احمد سويلم العمرى ، اصول العلاقات السياسية الدولية ، طبعة ـ ١٩٦٧ • القاهره ـ المطبعة العالمية ـ ص ١٢١

(٢) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، طبعة ١٩٨٠/١٩٨١ • القاهره ـ مكتبة الحرية جامعة عين شمس ص ٥٦

وقد أدخل ثيودوريك عدة اصلاحات في ايطاليا من أجل استرجاع الامن والسلام الى البلاد بعد حلقات الفوضى المتواصله والحروب - كما تمكن من أن يشرف على بعض الممالك الجرمانية في غرب اوربا (١) ، الا أنه لم يستطع التوسع حيث كانت الفرنجه الذين ازدادت قوتهم على يد الملك (كلوفس) يتربصون له خاصة بعد أن سحقوا القوط الغربيين في معركة بالقرب من بواتييه عام ٥٠٧م واجبروهم على الهجرة والاستقرار في اسبانيا (٢)

وفي بداية القرن السادس ظهرت جماعة اللومبارد وهم من عنصر جرماني أيضا وموطنهم الأصلي نهر الالب حيث استطاعوا أن يكونوا جيشا قويا واختاروا واحدا منهم ونصبوه عليهم وهو (البون) الذى قادهم عام ٥٦٨م لغزو شمال ايطاليا وتمكن من السيطره عليها وانهى حكم القوط الشرقيين واسس دعائم دولة استمرت فترة طويلة من عام ٥٦٨م الى عام ٧٧٤م اشتعلت في خلالها سلسلة من الحروب الشرسة مع الجيوش البيزنطية ، آخرها عندما نجح الملك اللومباردى استولف (٧٤٩م - ٧٥٦م) من الحاق الهزيمة والعار بامبراطور الامبراطورية الرومانية الشرقية في رافنا بصفة قاطعه وحاسمة وانهى بذلك خط الدفاع الروماني البيزنطي عن روما ، والذى ترتب عليه خضوع روما والسلطة البابوية لمطالب اللومبارد خضوعا تاما .

وهذه الاسباب دفعت البابا ستيفن أن يلجأ الى الفرنجه لحماية البابوية - فقام عام ٧٥٣م بزيارة لبلاط (بيبين القصير) ملك الفرنجة ، وعقد تحالفا بين البلاطيين البابوى والفرنجي ضد العدو المشترك اللمباردى -

---

(١) د / عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ١٩٧٧م القاهره ، ص ٢٠

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٨

وفى عيد القيامة من نفس العام توج البابا استيفن (بيبين القصير) ملكا على الفرنجه ومسحه بالزيت المقدس لكى يكون الحامى الشرعى للكرسى البابوى بعد أن عجزت الامبراطورية الشرقية عن أداء أى مهمة لروما القديمة (١) .

وبعد ذلك تتابعت حملات الفرنجة على المملكة اللمباردية وأنهتها تماما - حتى جاء الفصل الاخير عندما قام الملك (شارلمان) الذى تولى حكم الفرنجه بعد وفاة والده الملك (بيبين القصير) ولبى نداء البابا هادريان الذى عين بعد وفاة البابا ستيفن وزحف على شمال ايطاليا عام ٧٧٤م ، وحطم دولة اللومبارد بالكامل وأسر ملكهم (د ر د ر د بوس) - واسرته وارسلهم الى المنفى فى لييج Liege وضم شارلمان بذلك الدولة اللمباردية الى التاج الفرنجى ، واستمر حامى روما والبابوية حتى قام البابا ليو الثالث الذى عين بعد وفاة البابا (هادريان) بتتويجه عام ٨٠٠م امبراطورا للامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة (٢) .

واذا كانت الفتره التى عاصرتها الشعوب الاوربية منذ سقوط روما حتى قيام الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة عام ٨٠٠ قد ساد فيها الفوضى والظلام والكساد الفكرى ، الا أنه لايمكن الادعاء بعدم وجود علاقات دولية ذات طابع انسانى فى تلك الفترة ، وذلك لان الحياة داخل المجتمع الاوربى لم تتوقف بل استمرت رغم هذه الاحداث ، واعتبرت كتجربة تاريخية استفادت منها الشعوب الاوربية فى الفتره التى تلتها - فقد قامت

---

(١) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ٦٠

(٢) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٤١

الديانه المسيحية بدور رئيسى فى نشر الوعى الإنسانى والأخلاقـــــى بين جميع شعوب المجتمع الاوربى ، واسهمت الكنيسة بدور رائـــــع فى غرس مبادىء الأخوة والترابط بينهم (١) حيث اهتمت بفكـــــرة السلام وعبرت عنها من منطلق الفلسفة المسيحية بأن الرب هو المحبـــه ولابد أن تتحاب البشرية - ولذلك كانت تعاليمها مثل الماء البـــارد الذى يطفىء النار - فكان يسود سلام بعد المنازعات نتيجة لتأنيـــب الضمير والأحساس بالزنب ، بالاضافة الى مانادى به المفكرون والفلاسفة من مبادىء إنسانية ساندت الديانة المسيحية وتعاليم الكنيسة فى تلطيف حدة الفوضى والظلام التى سادت بعد تفتيت الوحده فى اوربـــــا بسقوط روما ، وشحنت فى نفس الوقت النفوس لقيام وحدة اوربيـــــة اخرى عام ٨٠٠م (٢) .

ويشير معظم العلماء والمؤرخين بأنه اذا كانت روما قد سقطـــــت عام ٤٧٦م الا أن فكرة استمرار قيامها لم تمح بل كانت قائمة فى اذهـــان المجتمع الاوربى ، وان الشعوب الاوربية رغم ماشاع فيها من فوضى وانقسام كانت تحس دائما بأن روح الوحدة مازالت مستمرة فى نفوسهم ، وارجـــع العلماء والمؤرخون ذلك على أساس وجود دعامتين :

---

(١) د / جعفر عبد السلام ، مبادىء القانون الدولى ،القاهره ١٩٨٦ ، ص ٤٩

(٢) د / احمد سويلم العمرى ، اصول العلاقات السياسية الدوليـــــة مرجع سابق ص ٤٦

x الدعامه الاولى : وهى أن العقيدة التى سيطرت على عقول الشعب الاوربى قبل سقوط روما استمرت قائمة واعطتهم الآمال بأنه سوف تقوم مرة أخرى امبراطورية رومانية عظمى تجمع شتاتهم — ولذلك تعلقوا بهذه الآمال ، واحاطوا روما باطار من الفخر والاعجاب فى كافة الميادين سواء من حيث حضارتها الإنسانية أو مجدها السياسى - واطلقوا عليها روما التى لاتقهر Invicta Roma - واصبحت بالنسبة لهم مصدر الوحى فى كل شىء مما ولد فى اذهانهم افتراض استمرارها فى وحدة الشعوب ، وأن هذه العقيدة هى التى فسرت الأسم الذى أطلقه شارلمان على امبراطوريته التى تأسست عام ٨٠٠م ، وهى الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة حيث أن كلمة امبراطورية تعنى ضم جميع الشعوب الاوربية فى وحدة كاملة تحت لوائها ، ورومانية نسبة الى روما ومجدها القديم وجرمانية نسبة الى اباطرتها ، ومقدسة نسبة الى الديانة المسيحية التى تعتنقها ، وبذلك فعلى أساس هذه العقيدة كانت بعض العلاقات التى تمت بين المجتمعات الاوربية ذات طابع انسانى لشعور شعوبها بالارتباط فى وحدة ، وكانت هذه العلاقات دولية حيث كانت بين ممالك منفصلة داخل القارة الاوربية وكل منها تخضع لسيادة ملك أو أمير أو حاكم له سلطة مستقلة تماما عن الممالك الأخرى .

x الدعامة الثانية : وهى مستمدة من وحدة الشعوب الاوربية فى ظل وحدة الديانة المسيحية ، حيث تركز الوعى فى اوربا عقب سقوط روما على ثلاثة أمور — وحدة العقيدة ، وحدة الكنيسة ، وحدة رئيس الكنيسة وسادت بالتالى مبادىء إنسانية بأن (الجنس البشرى له أب واحد وله

مقصد واحد ، وله منقذ واحد ، ويجمعه دين واحد ، وأمل واحد) ، وقد اثمرت هذه المبادئ نتائجها في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولكن اذا كان يرجع الفضل الى الكنيسة والبابا في روما في تثبيت هذه المبادئ الا أن الشعور بها كان لا يمكن أن يستمر وتصقل مفاهيمه بين الشعوب الاوربية الا من خلال بعض العلاقات الدولية التي تمت بين مجتمعاتهم ، وكانت ذا طابع انساني مليئة بالرغبة نحو الاندماج والتعاون فيما بينهم من أجل استمرار وحدة مصيرهم (١)

وبالاضافة الى هاتين الدعامتين فقد ظهرت في اوربا شخصيات عظيمة وقوية من البابوات عوضت عن السلطات السياسية الموحدة التي افتقدت بعد سقوط روما ، مثل جريجورى الثاني (٧١٥م ـ ٧٣١) ، وجريجورى الثالث (٧٣١ ـ ٧٤١) حيث تولوا بمساعدة امراء الكنيسة وطوائف الاساقفة والقساوسة دفة الأمور السياسية والدينية بقوة وحزم في بعض الاوقات الحرجة التي عاصرها المجتمع الاوربي في تلك الفترة من أجل احياء الشعور والاحساس بضرورة تمسك الشعوب الاوربية بالوحدة واقناعهم بأنها وحدة مصيرية أبدية (٢)

ومن خلال ذلك كانت هناك علاقات دولية ذات طابع إنساني في تلك الفترة رغم ما دارت فيها من احداث

---

(١) د • حامد سلطان ، القانون الدولى العام في وقت السلم ، الطبعة ـ الخامسة ١٩٧٢ القاهره • دار النهضة العربية ص ٧٧٤ ، ص ٧٧٥

(٢) د • عبد العزيز سرحان ، القانون الدولى العام ، طبعة ١٩٧٣ القاهره ـ دار النهضة العربية ، ص ١٣

الفوضى والاضراب والانقسام والحروب الطاحنة - وأن هذه العلاقات هى التى حملت هذه الفترة الى بر الامان وجعلت الشعوب الاوربية تخرج منها بسلام ، وكانت العلاقات عديدة متنوعة (اقتصادية وسياسية واجتماعية) ، وظهر من خلالها قواعد دولية لايمكن انكارها - كما ظهر نظام تبادل البعثات الدبلوماسية الدائمة - وأن هذه العلاقات لم تقتصر على المجتمعات الاوربية بل امتدت الى دول أخرى فى الشرق وشمال أفريقيا (١) .. نذكر منها على سبيل المثال مايلى :

١- معاهدة انديلوت Andelot عام ٥٨٧م

بعد وفاة الملك لوثر الاول عام ٥٦١م شهدت القارة الاوربية فترة مضطربة عنيفة نتيجة الصراع الدامى الذى دار فى مملكة الفرنجة واستمرت هذه الحروب تطحن الشعوب الاوربية فى هذه المنطقة حتى أنهكت القوى المتحاربة - وفى عام ٥٨٧ م اجتمع امراء الفرنجة ووقعوا معاهدة صلح بينهم عرفت بأسم معاهدة انديلوت تقاسموا بمقتضاها المملكة فيما بينهم ، واصبح لكل أقليم أمير مختص به ويباشر عليه سلطاته ، وذلك لان المعاهدة تضمنت نصوص تقسيم المملكة الى دويلات ، ورسمت حدودا فاصلة بينها ، وحققت سلاما دام لمدة عشر سنوات ، حتى التمقاليد الأمور الى لوثر الثانى ملك دستريا وقام بتوحيد مملكة الفرنجه مرة أخرى فى هدوء وسلام عام ٦١٣م (٢) .

---

(١) د . حسنى محمد جابر ، القانون الدولى العام ، ١٩٧٣ القاهره ، ص١٥٦

(٢) د . اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكرة ، مرجع سابق ص ٨٤، ٨٥

وبذلك تعتبر معاهدة (انديلوت) معاهدة صلح بالاضافة الى أنها قد رسمت حدودا دولية فاصلة بين دويلات مستقلة ٠

٢- المعاهدات والاتفاقات الدولية التى أجراها الملك (بيبين القصير) الذى حكم مملكة الفرنجة بمفرده مابين عام ٧٥١م - ٧٦٨م مع امبراطور الامبراطورية الرومانية الشرقية فى القسطنطينية (١) ، حيث كان (بيبين) من أقوى ملوك اوربا فى هذه الفترة ، وقام بفتوحات عديدة ، أدت الى وقوع خلاف بينه وبين السلطات البيزنطية خاصة فى عهد الامبراطور قسطنطين الخامس - فقام بعقد معاهدات صلح معه عام ٧٥٦م لكى يدوم السلام بينهما ولايعتدى أحدهما على ممتلكات الآخر ، كما عقد معه اتفاقات دولية أخرى للتمثيل الدبلوماسى ، حيث أرسل بعثة دبلوماسية الى القسطنطينية وأستقبل بعثة دبلوماسية من الامبراطور البيزنطى وذلك من أجل دعم العلاقات الودية بينهما والتعاون فى شتى المجالات بصفة دائمة ومستقرة ٠ (٢) ٠

٣- أقام الملك (بيبين القصير) أيضا علاقات دولية وطيدة مع بلاط المنصور الخليفة العباسى من أجل دعم التقارب بينهما وتحقيق السلام والامن بين الدولة الاسلامية ومملكة الفرنجة - وقد

---

(١) هـ ٠ سانت ٠ ل ٠ ب ٠ موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٣٩

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١٦٠

ارسلت من خلال هذه العلاقات بعثة دبلوماسية دائمه من الفرنجه الى بغداد عام ٧٦٥م - كما وصلت بعثة دبلوماسية من الخليفة العباسى الى فرنسا عام ٧٦٨م - لزيادة التفاهم ، ودعم التعاون بين الفرنجة والدولة الاسلامية (١) .

٤- العلاقات والصلات الوطيدة التى كانت بين شعوب الامبراطورية الرومانية الشرقية ، والشعب الرومانى فى اوربا كانت دليلا على وجود علاقات ذات طابع انسانى - حيث كانت هناك راوبط قوية بين روما والقسطنطينية ، ظلت مستمرة ، وازدادت فى عهد الامبراطور جستنيان الأول والثانى - كما كان البابا فى روما فى معظم أوقات هذه الفتره يتبع تعليمات الامبراطور فى القسطنطينية من أجل زيادة الروابط بين الشعب الاوربى وشعب الامبراطورية الشرقية (٢) .

٥- صلح اتيجنى Attigni عام ٧٨١م

حدث هذا الصلح بعد أن اندلعت حرب شرسة بين مملكة الفرنجه بقيادة (شارلمان) ، وبين السكسون بقيادة الملك (فتكند) عام ٧٧٨م وظلت مستمرة حتى انتصر شارلمان فى النهاية بعد أن تكبد خسائر كثيرة فى الارواح والميزانية - الا أن الاحوال

---

(١) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ٩٠ ، ٩١

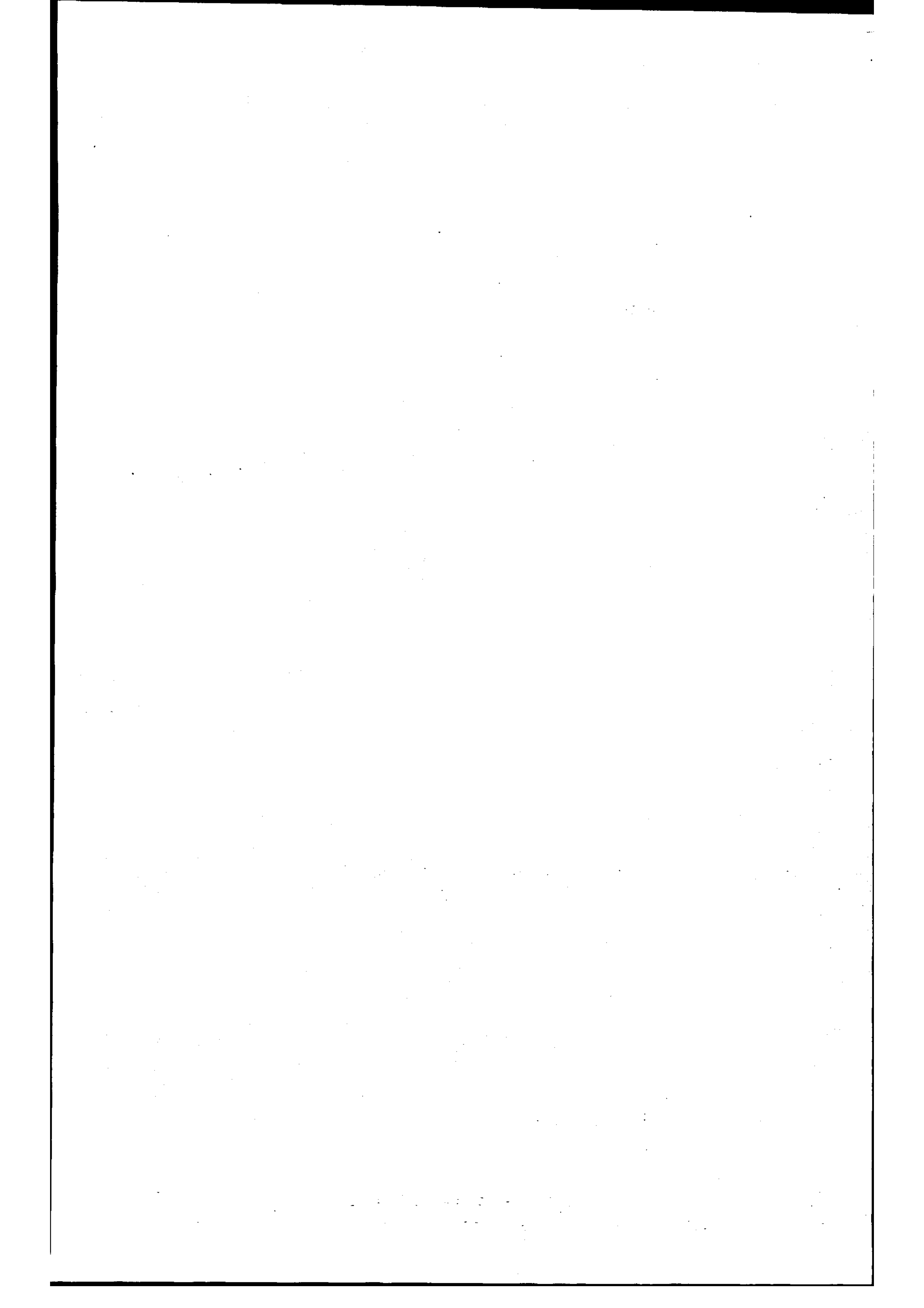
(٢) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٣٧ ، ٢٣٨

لم تهدأ بيـن الجيشيين الا بعـد أن دعا شارلمـان الملك فتكند للصلـح عـن طريـق وسطـاء ، وقبل فتكنـد الدعـوة والتقـى مـع شارلمان فـي مدينـة اتيجنى عام ٧٨١م وتـم الصلـح بينهمـا اشتـرط فيـه السـلام الدائـم ، وعلـى الا يقـوم احدهمـا بمهاجمـة الآخر - وبالفعل تـم السـلام الدائم بينهمـا وأظهر فتكنـد الوفاء لشارلمان طيلة حياته (١) .

وبذلـك فاذا كانـت الفتـره الأولـى للعصـور الوسطى فى اوربـا قـد سـاد فيهـا فوضـى واضطـراب الا انهـا كانـت لاتخلـوا مـن العـلاقـات الدوليـة ذات الطابـع الانسانـى ، وهى التى أعطت الدفعـة للشعـوب الاوربيـة للاندمـاج تحـت لواء الامبراطورية الرومانيـة الجرمانيـة الجديـدة عام ٨٠٠م ، والتى بهـا دخلـت الشعوب الاوربيـة الفتـرة الثانيـة للعصور الوسطـى .

---

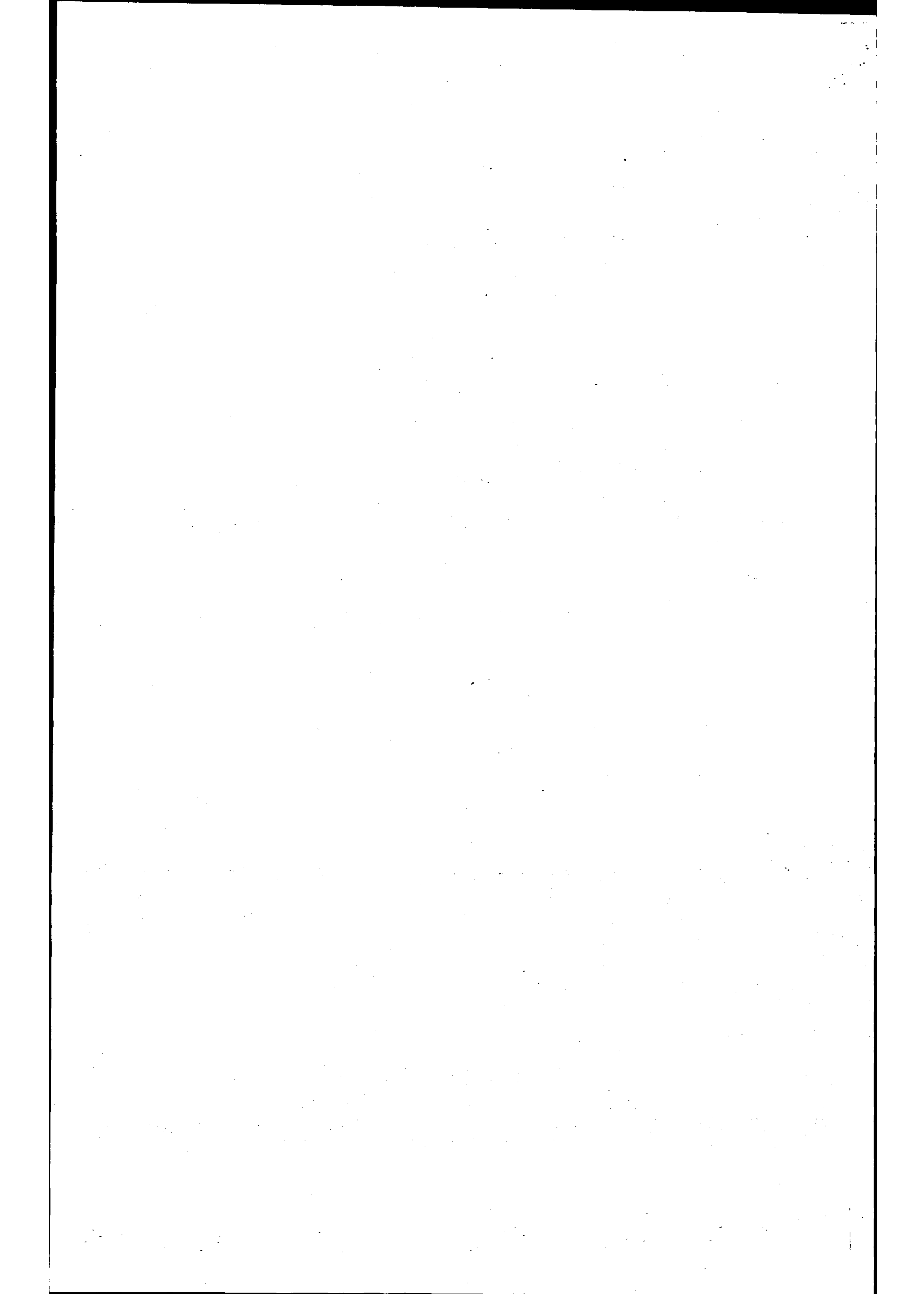
(١) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطـى المبكره ، مرجـع سابـق ، ص١١٥ .



الفصل الثاني

الفترة الثانية للعصور الوسطى في القارة الاوروبية

(من عام ٨٠٠ م حتى القرن السادس عشر)



الفصل الثانى

الفتره الثانيـة للعصور الوسطى فـــى القارة الاوربية (من عام ٨٠٠م ـ حتى القرن السادس عشـــر)

فى يوم عيد ميلاد عام ٨٠٠ ميـلاديـة تدفـق جميـع كبيـر مـــن الرومـان والفرنجـه يصلـون فـى كاتدرائيـة القديـس بطـرس ، ومعهـم شارلمـان ملك الفرنجه والبابا (ليو الثالث) الـذى عقـب انتهـاء الصلاة ابرز تاجـا مـن الذهـب ووضعـه علـى رأس شارلمـان أثناء نهوضـه مـن الركـوع امـام مذبـح القديـس ليعلـن فـى ذلـك اللحظه تتويجـه امبراطـورا للامبراطوريـة الرومانيـة الجرمانيـة المقدسـة ، وفـى الحال دوت أصـوات المصليـن جميعـا وكانهـم يتوقعـون هـذا الحادث ، ليعبروا عن فرحتهـم ، وداعيـن للامبراطـور الجديـد بالنصـر والصمود وتحقيـق السـلام الـى الابـد (١) .

ومنـذ ذلـك اليـوم اصبـح شارلمـان حاكمـا زمنيـا للامبراطـوريـة الرومانيـة الجرمانيـة المقدسـة التى شملـت البـلاد الاوربيـة كلهـــا ، وتولـى البابـا السلطـة الدينيـة فيهـا ، وسـاد فـى الامبراطورية قانونان الأول قانـون زمنى ينظـم مايقـوم مـن عـلاقـات مدنيـة وتجاريـة بيـن الشعـوب الاوربيـة رعايـا الامبراطوريـة ـ والثانـى قانـون كنسى ينظـم كل العـلاقـات الخاصـة بعقيدة الديانـة المسيحيـة (٢) .

---

(١) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٤

(٢) د / حامد سلطان ، القانون الدولى العام فى وقت السلم ، مرجع سابق ص ٣٥

وبالتالى تقاسم البابا ليو الثالث والامبراطور شارلمان حكم العالم المسيحى فى أوربا (١) .

وقد استطاع شارلمان بفضل مااشتهر به من شخصية قوية أن يحيى الامبراطورية الرومانية فى الغرب بعد أن ظل العالم الاوربى بلا امبراطورية عقب سقوط روما فى أواخر القرن الخامس الميلادى عام ٤٧٦م كما تمكن أن يطوى بين جناحيها معظم أراضى الدول الاوربية الغربية المعروفة حاليا (٢) ـ حيث قام بتقسيمها الى أقسام ادارية حتى يتمكن من السيطرة عليها ، وعين على كل منطقة (كونت) نائبا عنه ليشرف على ادارتها وأعطاه بعض الاختصاصات والسلطات فى النواحى الادارية والمالية والقضائية من أجل أن يستطيع أن يباشر مهام نيابته وكان (شارلمان) يجتمع بهؤلاء الكونتات سنويا فى جمعية عمومية فى مدينة أخن (أكس لاشابل) التى كانت العاصمة ، وتقع فى غرب ألمانيا كما كان يحضر اجتماعات هذه الجمعية مندوبون عن شعوب مختلف أنحاء الامبراطورية ، والاساقفه ورؤساء الاديرة ـ ليتم بحث ودراسة أحوال الامبراطورية وتقرير الحاجات المطلوبة لاستمرارتماسكها مع تطوير شئونها فى جميع النشاطات المختلفة (٣) .

---

(١) د / صلاح الدين عامر ، مقدمة لدراسة القانون الدولى العام الطبعة الاولى ١٩٨٤ القاهره ، دار النهضة العربية ، ص١٨

(٢)د / الشافعى محمد بشير ، القانون الدولى العام فى السلم والحرب الطبعة الرابعة ١٩٧٥ القاهره ـ دار الفكر العربى ص١٥

(٣) هـ . سانت .ل .ب .موس ، ميلاد العصور الوسطى ،مرجع سابق ص٣٤٨

وشارلمان وان كان جرماني الاصل الا أنه اكتسب ثقة الرومانيين وحبهم ، حيث وجدوا فيه الشجاعة وقوة الشخصية التي بها يستطيع أن يحقق امالهم في احياء الامبراطورية الرومانية في الغرب بعد انهيارها بسقوط روما ، كما أن والد شارلمان الملك بيبين الصغير) قد أستطاع بقوته أن يوحد بلاد الفرنجه وحكمها بمفرده ، من عام ٧٥١ الى عام ٧٦٨م ، وقام البابا (ستيفن) بزيارته للدفاع عن روما ، ثم توجه ملكا على الفرنجه ليعطي مؤشرات بأن الفرنجه أصبحوا رومانا (١) ـ بالاضافة الى ذلك أن ـ شارلمان عندما تولى حكم الفرنجة بعد وفاة والده عام ٧٦٨م ـ أصبح يتصرف كأنه روماني حيث استطاع أن يهزم دولة اللومبارد أعداء روما والبابوية وأزال خطورتهم بعد أن أسقط عاصمتها (بافيا) في يده عام ٧٧٤م كما انتصر على السكسون وحطم وثنيتهم التي كانت تشكل خطورة على الديانة المسيحية خلال أعوام (٧٧٥م ـ ٧٧٨م) (٢) .

ومنذ أن جلس شارلمان على كرسي العرش وأيده الرومان كان يرى في نفسه أيضا أنه الخليفة الشرعي للامبراطور قسطنطين في الامبراطورية الرومانية الشرقية الذى خلعته امه ايرني وسملت عينه من أجل أن تغتصب السلطة وتنفرد بها

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص١٤٧

(٢) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ـ ص١٢٠ ومابعدها

الا أن البيزنطيين لم يعترفوا بشارلمان ، واستمر الحال على ذلك حتى خلعت الامبراطورية ايريني عن عرش بيزنطه عام ٨٠٢م (١) ، وتولى السلطة بعدها الامبراطور نيقفور الذى تجاهل تماما مايدعيه شارلمان ، فقام شارلمان بالكتابة اليه يطالبه بالاعتراف به شريكا فى حكم الامبراطورية الرومانية كما كانت عليه من قبل - الا أن نيقفور لم يبالى بما يدعيه شارلمان وتجاهل الرد عليه - فخطط له شارلمان ليؤكد له أنه خصم عنيد وقام بالهجوم على المصالح البيزنطية فى فينسيا ودلماشيا وتمكن من السيطرة عليها ، وعلى أثر ذلك اضطر نيقفور الى طلب المفاوضه مع شارلمان عام ٨١٠م على أساس أن يرد المصالح البيزنطية التى استولى عليها مقابل الاعتراف به امبراطورا على الغرب - ولكن لم يتمكن نيقوفور من اتمام الصلح حيث اشتبك فى حرب مع البلغار (٢) ، واستمر هذا الحال حتى جاء خليفة نيقوفور الامبراطور ميخائيل رانجابه M. Rangaba واتم هذا الصلح ، وارسل سفراءه الى مدينة اخن (اكس لاشابل) - العاصمة يحملون اعترافه (بشارلمان) امبراطورا على الغرب واقيمت بعد ذلك علاقات عديدة بين الامبراطوريتين من أجل

---

(١) هـ . سانت .ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٤٨

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ١٤٢

توحيدهما مثل ما كان سائدا قبل سقوط روما (١) .

وقد استطاع شارلمان منذ بداية عهده أن يعيد بعض الامجاد التى حققتها الامبراطورية الرومانية فى عهدها الأول خلال القرن الأول والثانى الميلادى ـ حيث نظم شئون البلاد الاوربية التى لم تعارض الانضمام تحت لواء امبراطوريته ، واصدر قوانين تصلح من أحوال الشعوب الاوربية مثل تحريم الربا وتثبيت اسعار الغلال وبعض السلع الغذائية الهامة ، كما أصدر قوانين تنزل أشد العقاب بقطاع الطرق والممتنعين عن دفع الضرائب ، وأدخل تعديلات عديدة على القداسات وانشأ مدارس ومعاهد تعليميه فى جميع البلاد الاوربية ، ونادى بضرورة تعليم القانون ودراسة الطب والهندسة ، كما أصلح العديد من الأمور الاجتماعية للشعوب الاوربية (٢) .

وخلال فترة حكم شارلمان توحدت القارة الاوربية وهدأت أوضاعها الى السلام والترابط بين الشعوب وقامت اوربا بعلاقات عديدة مع المجتمعات الشرقية وخاصة العلاقات الدولية التى تمت بين بلاط شارلمان والدولة الاسلامية فى بغداد وكانت عديدة ومتنوعه وعبرت عن روح الود والسلام والمحبه ، كما تم تبادل البعثات

---

(١) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ١٣٤

(٢) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ١٢٠

الدبلوماسية بينهما ، وارسال الهدايا المتبادلة بين هارون الرشيد خليفة الدولة الاسلامية وشارلمان لتزيد من روح الترابط واستقرار السلام بينهما ، وازالة كل الخلافات بين الشعوب الاوربية وشعوب الدولة الاسلامية (١) .

** وعلى الرغم من ظهور القارة الاوربية بصورة متحدة ، فى عهد شارلمان الا أنه بعد وفاته عام ٨١١ م تبين أن — الامبراطورية التى تكونت لم تتمكن من تحقيق الترابط والاندماج الكامل للشعوب الاوربية مثل ماحققته الامبراطورية الرومانية الأولى وذلك يرجع الى عدة أسباب أهمها مايلى :

أولا : من حيث تكوين الامبراطورية ونظام ادارتها وعلاقتها مع الامبراطورية الشرقية

١ — أن بعض الاجناس ذات النفوذ والقوة قد انضمت تحت لواء هذه الامبراطورية من أجل اعتبارات الوحدة الدينية للعقيدة المسيحية فقط والرغبة فى التصدى للتيارات القادمة من خارج القارة وخاصة المد الاسلامى الذى ظهر فى القرن السابع الميلادى وانتشر بسرعة مذهلة فى الشرق والغرب حتى حدود فرنسا الجنوبية ، ولذلك لم يكن ولاء هذه الشعوب للامبراطورية الجديدة مثل ولاء شعب الامبراطورية القديمة — كما أن الشعب الجرمانى كان

---

(١) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، ترجمة/غنيم عبدون مراجعة الدكتور/احمد فؤاد الاهوانى (غير محدد سنة الطبع) القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ١٣٩

ينظر الى نفسه بأنه هو الذى حقق قيام هذه الامبراطورية وساعد على استمرارها مما أدى الى تولد الحقد والكراهية بينه وبين الشعب الرومانى (١) .

٢ـ الفترة الأولى التى أعقبت سقوط روما ظهرت فيها قوانين أخرى بجانب القانون الرومانى الذى كان يطبق وحده فى جميع ارجاء الامبراطورية قبل انهيارها ـ مثل القانون الجرمانى الذى دون فى صورة مجموعة قوانين طبقت فى كثير من الممالك التى قامت على أنقاض الامبراطورية الرومانية ، وخاصة منذ بداية القرن السادس الى القرن الثامن الميلادى ، وبذلك تعددت القوانيين فى الامبراطورية الجديدة ، ولم يكن القانون الرومانى وحده هو الذى ينظم العلاقات بين الأفراد أو بين الجماعات بل وجدت أنظمة قانونية أخرى ـ ولم يستطع أى قانون أن يتغلب على قانون آخر ـ لان كل شعب تمسك بقانونه واعتبره روح ثقافته وسيادته التى لا يمكن أن يتنازل عنها ـ وقد أدى ذلك الى عدم تحقيق انسجام كامل بين شعوب الامبراطورية الجديدة نتيجة لحدوث بعض المشاكل بينهم من أثر تطبيق الأنظمة القانونية المختلفة (٢) .

٣ـ التنظيم الداخلى للامبراطورية كان هزيلا وهشا ـ حيث ارتكز فى ادارة مساحتها الشاسعه على أمراء الاقطاع Fualism الفج

---

(١) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١٣٧

(٢) د / بطرس بطرس غالى ، د / محمود خيرى عيسى ، المدخل فى علم السياسة ، الطبعة الاولى ١٩٥٩م القاهره ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٢٥

الذين اشتد نفوذهم الى حد جعل الامبراطور الذى كان تتمركز فى يده السلطات أصبح مجردا منها ولم يبق له الا مجرد الولاء الاسمى فقط من قبل هؤلاء الامراء (١) .

كما أن شارلمان قام بنفسه بعد ست سنوات من حكمه فى عام ٨٠٦ م بتقسيم امبراطوريته الشاسعة ثلاثة أجزاء بين أولاده الثلاثة (لويس وبيبين وشارلس) ولذلك لم تكن مثل الامبراطورية الرومانية الأولى التى كانت وحدة متماسكة - بل تجزأت ووجدت صعوبة مع مرور الزمن فى ترابط صروحها نتيجة هذه الانقسامات وتعدد سلطات الحكم والاراء فى كل بقاعها (٢) .

٤ـ حكم الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة لم يكن مقصورا على الامبراطور وحده مثل ما كان يحدث فى الامبراطورية الرومانية الاولى ، حيث كان الامبراطور هو الحاكم الاوحد فى كل ارجائها ، وله السلطتين الزمنية والدينية ـ بل اقتصر فقط على السلطة الزمنية دون غيرها ، وقام البابا بتولى السلطة الدينية ـ وقد حدث نتيجة هذا التقسيم منازعات كثيرة بين السلطتين أدت الى صراعات عنيفة ساعدت على انهيار اركان هذه الامبراطورية (٣) ، بالاضافة الى أن الثقة التى أولاها حكام

---

(١) د /حسنى محمد جابر ، القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص ٤٥

(٢) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٧٢

(٣) د / بطرس بطرس غالى ، د /محمود خيرى عيسى ، المدخل فى علم السياسة ، مرجع سابق ص ١٩٤

هذه الامبراطورية للكرسي البابوى وكبار رجال الدين قد ساعدت على انحراف الكنيسة وحصولها على امتيازات مادية ومعنوية ليس لها حدود ، حيث كان الحكام يعتقدون أن قسم الولاء والتبعية من جانب رجال الدين كان كفيلا لضمان قيامهم باصلاح أحوال شعوب الامبراطورية ، لم يدركوا المغزى الخطير الذى انحرفوا به نتيجة ازدياد نفوذهم وتكوينهم ثروات ضخمة . ولذلك قيل أن الاساقفه ورؤساء الاديره قد اشتركوا مع الكونتات (امراء الاقطاع) فى امتصاص شباب ودماء الامبراطورية الجديدة (١) .

٢ـ لم تكن العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية الشرقية والامبراطورية الجديدة وطيدة مثل ماكانت قبل سقوط روما - وانما كانت صورة من العلاقات الدولية بين مجتمعين سياسيين الترابط بينهما ضعيف ، رغم وجود العامل الدينى والأخطار المشتركة التى كانت تلزم اندماجهما فى كيان سياسى واحد - وذلك يرجع الى عدم الانسجام الكامل بين حكام الامبراطوريتين نتيجة الشكوك التى كانت تسيطر على عقليتهم بأنه من المستحيل أن تعود الوحده للقسمين الشرقى والغربى كما كانت موجوده قبل سقوط روما مما أدى الى عدم اهتمامهم بالأخطار المشتركة التى كانت تهددهم أو النظر

---

(١) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص١٣٨

نحو المصالح المشتركة التى كانت تهم أمورهم ، بل ذهبت كل امبراطورية تدير سياستها بانفراد ، وتدعى شكليا بالترابط مع الأخرى (١) .

ثانيا : ضعف شخصية الاباطره الذين حكموا الامبراطورية بعد شارلمان

١ ـ يعتبر ضعف شخصية الاباطرة الذين تولوا سلطة الحكم بعد شارلمان من الأسباب الهامة لانهيار وتحطيم صرح الامبراطورية ، وأولهم لويس التقى ابن شارلمان الذى تولى الحكم بعد وفاته عام ٨١٤ م ـ حيث قامت فى عهده منازعات وصراعات مريره الى جانب أطماع سياسية مختلفة ـ أدت الى حدوث انقسام وشروخ فى أركان الامبراطورية ، وقيام حروب أهلية طاحنة هلك فيها الكثيرون من خيرة شباب الامبراطورية (٢) .

ويعتبر لويس التقى هو المسئول عن هذه الكارثة حيث أشرك ابنائه معه فى الحكم ولم يكونوا على مستوى المسئولية حيث قامت حروب بينهم ـ مثل معركة فونتانيه Fontanet عام ٨٤١ م التى تعد من أكبر المعارك التى شهدتها القارة الاوربية

(١) د / فتحية النبراوى ، د / محمد نصر مهنا ، د / درية شفيق بسيونى ، تطور العلاقات السياسية الدولية ، ١٩٨٤ الاسكندرية ص ٥٣

(٢) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى مرجع سابق ، ص ٢٧٢

فى العصور الوسطى وأغزرها دماء ، حيث هلك فيها اربعون الفا من خيرة الشباب ، ولم تنته الا بعد تقسيم بلاد الفرنجه الى ثلاثة ممالك (١) .

بعد وفاة الامبراطور لويس التقى عام ٨٤٠ م حدثت خلافات ومنازعات وأطماع سياسية أخرى بين أولاده وأقاربه - ادت الى حدوث اضطرابات وقلق بين شعوب الامبراطورية - ثم هدأت الاحوال بعد عام ٨٧٠ م حيث قسمت بلاد الفرنجه قسمين يفصلهما الخط الممتد على نهر الراين - القسم الأول ضم الفرنجه الغربيين الى فرنسا وتولى حكمه الملك شارل الأصلع ، والقسم الثانى ضم الفرنجه الشرقيين الى المانيا وتولى حكمه الملك لويس (٢) .

٢- فى عهد الامبراطور شارلس السمين (٨٨٢م- ٨٨٧ م) أصبحت الامبراطورية الرومانية الجرمانية مجرد لقب أجوف ، حيث لم ينته القرن التاسع حتى ظهرت الامبراطورية فى صورة خمس دول منفصلة وهى فرنسا والمانيا وايطاليا وبرجنديا العليا وبرجنديا السفلى (٣) ، وذلك بعد أن جاءت غزوات النورمان عام ٨٨٠ م التى أجهزت على ماتبقى من ولاء وترابط لصروح

---

(١) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ١٣٩

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١٧٢

(٣) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٧٣

الامبراطورية ، حيث قاموا بغزو معظم مدن الفرنجه وانطلقوا تجاه نهر الراين يدمرون وينهبون كل ما يحلو لهم ، ولم يجدوا من يتصدى لهم ـ ثم قام الفايكنج بالهجوم على مدينة أخن (اكس لاشابل) العاصمة وخربوها بعد أن نهبوها واتخذوا من قصر شارلمان اسطبلا لخيولهم (١) .

٣ـ وفى عام ٩٢٥ م ظهرت انجلترا فى صورة دولة وتحررت من رابطة الامبراطورية فيما عدا الفترة التى امتدت من سنة ١١٧٣ م الى سنة ١٣٦٦ م والتى كانت فيها تتبع الامبراطورية اسميا فقط ـ ثم تحررت فرنسا من تبعيتها للامبراطورية بعد وفاة الامبراطور اتو الكبير عام ٩٧٣ م ، أما أسبانيا فلم تعترف قط برابطة التبعية لا للبابا ولا للامبراطور حيث كانت معظم اراضيها تحت الحكم الاسلامى والاجزاء الباقية منها كانت بعيدة تماما عن أوضاع هذه الامبراطورية . وفى القرن الحادى عشر تحررت صقلية وممالك اسكنديناوة التى ظهرت فى شكل دول مستقلة غير تابعة للامبراطورية (٢) .

وتعتبر الفترة من عام ١١٠٠ م حتى سنة ١٤٠٠ م العصر الذهبى لحركة التحرر من رابطة الامبراطورية فى غرب أوربا

---

(١) د /فتحية النبراوى ، د / محمد نصر مهنا ، د / درية شفيق بسيونى تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ، ص٥٣

(٢) د / حامد سلطان ، القانون الدولى العام فى وقت السلم ، مرجع سابق ، ص٧٧٦

حيث ظهرت دول عديدة مستقلة وذات سيادة ـ أخمدت تماما شعلة الامبراطورية وأنهت وجودها من القارة الاوربية (١)

ثالثا : فساد الكنيسة والبلاط البابوى

قد حدث انشقاق وشروخ فى الكنيسة والبلاط البابوى نتيجة المنازعات والصراعات الدينية بين رجال الدين وفساد بعضهم مما أدى الى ضعف السلطة الدينية وفقد هيبتها بين شعوب الامبراطورية للاسباب التالية :

١ ـ استيلاء رجال الكنيسة الرومانيين دون زملائهم من الالمان والاجناس الأخرى التى كانت تضمها الامبراطورية ، على الوظائف الدينية الكبرى ، مما ولد الاحقاد والفتن بينهم التى أدت الى حدوث صراعات عنيفة أضعفت هيبة الكنيسة أمام الشعوب الاوربية .

٢ ـ انتشار الفساد فى البلاط البابوى نتيجة الانغماس فى الترف والبذخ الذى ادى الى انصرافه عن رعاية الأمور الدينية للامبراطورية ، واتجاهه نحو المصالح الشخصية وجمع الأموال الطائلة (٢) .

---

(١) د / سعيد عبد الفتاح عاشور ، اوربا فى العصور الوسطى ، الجزء الثانى النظم والحضاره ١٩٧٢ ، دار النهضة العربية ص١٠٦ .

(٢) هـ . سانتل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص٣٨٥ ، ٣٨٧

٣ـ فساد وانحلال النظام القضائى للكنيسة وتفشى الرشوة فيه ، مما أدى الى انحرافه عن تحقيق العدل ، وأضعف هيبته وسلطة الكنيسة أمام الشعوب الاوربية ٠

٤ـ لعب الامراء الاقطاعيون والملوك دور المساومة مع الكنيسة والبلاط البابوى ـ حيث قاموا بدفع أموال طائلة لرجال الدين نظير أن يقروا ويعترفوا لهم بما يسعون الى تحقيقه من أطماع سياسية دون النظر الى ما يهم ترابط كيان الامبراطورية والمصلحة العامة للشعوب الاوربية (١) ، وقد أدى ذلك الى ظهور عوامل الفتن والاضطرابات السياسية التى أضعفت من سلطة الكنيسة ، حيث نظر الى رجالها بأنهم عديموا المبدأ ويمكن شراء كلمتهم بالمال (٢) ٠

٥ـ نتيجة لفساد الكنيسة ورجال الدين وضعف السلطة البابوية فى أوربا ، قام ملك فرنسا بالتمرد على سلطة البابا ـ حيث رفض أن يطيع تعليماته ، ثم تحداه بفرض ضرائب على ممتلكات الكنيسة الموجوده فى فرنسا وعقب ذلك استطاع بما لديه من سلطة أن ينقل عام ١٣٠٥ م مركز البابوية من روما

---

(١) ادوارد برووى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص٤٥٦ ، ٤٥٧

(٢) د / حسنى محمد جابر ، القانون الدولى العام ، مرجع سابق ، ص٤٥

الى مدينة افينون الفرنسية ليجعل البابا تحت نفوذه (١) ، ولما طال بقاؤه فى فرنسا اقامت ايطاليا بابا آخر منافسا له فى روما - مما أدى الى انشطار الكنيسة ، وانقسام السلطة البابوية حيث ناصرت دول اوربية البابا المقيم فى فرنسا واتبعت تعليماته الدينية مثل فرنسا واسبانيا واسكتلندا وبعض المقاطعات الالمانية ودول أخرى ناصرت البابا المقيم فى روما مثل هولندا والمجر والبرتغال وانجلترا ، ومعظم المقاطعات الالمانية والايطالية وهذا الانقسام قد جعل كل بابا يسابق الآخر فى منح الملوك مزيدا من الامتيازات السياسية ليضمن استمرار ولائهم له ، وفى ظل ذلك انهارت السلطة الموحدة للبابا وفسدت الكنيسة وازدادت مصروفاتها بسبب وجود بلاطين الأول فى افينون والثانى فى روما ، وابتدعت وسائل جديده للحصول على المال لسد احتياجاتها المتزايده ، مثل بيع صكوك الغفران - ثم استولى رجال الدين على هذه الأموال فعمت بين الشعوب الاوربية موجه من التذمر ضدهم ، وخاصة نحو البلاط البابوى فى افينون حيث كانوا يعيشون فى بذخ واسراف لا يلائم التقاليد الدينيه (٢) ، وأدى هذا التذمر الى حدوث ثورة كبرى على نظام الكنيسة سميت بثورة الاحتجاج التى انهكت كل قوى السلطة البابوية للامبراطورية فى القرن الخامس عشر (٣) .

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٤٥٨

(٢) ارنولد توينبى ، مختصر دراسة التاريخ ، ١٩٦٧ ، القاهره ، ص ١٣١

(٣) د / بطرس بطرس غالى ، د / محمود خيرى عيسى ، المدخل فى علم السياسة ، مرجع سابق ص ٢٠٣ ، ٢٠٤

رابعا : ظهور الحركة الفكرية للاستقلال والسياده .

منذ بداية القرن الحادى عشر حتى القرن السادس عشر ظهرت حركة فكرية واسعة النطاق على يد فلاسفة كثيرين فى القارة الاوربية تنادى بضرورة التمسك بالمبادىء القومية والاستقلال عن السلطتين الزمنية والدينية للامبراطورية ، وانهاء كل رابطة أو تبعية للاباطرة والبلاط البابوى (١) مثل جان بودان وبوسيه وميكافيلى ، حيث مهدوا الطريق بالكامل للقضاء على الامبراطورية التى انهارت تماما وزالت كل اركانها بوفاة آخر اباطرتها فردريك الثالث عام ١٤٩٣ ميلادية — كما قضت أيضا على كل المزاعم البابوية ، وظهرت الدول الحديثة فى صورة كيانات سياسية كاملة السيادة لتنهى كل أوضاع العصور الوسطى ، وتدخل فى مرحلة التاريخ الانسانى للعصور الحديثة (٢) .

* * واذا كانت القارة الاوربية خلال هذه الفترة قد توحدت تحت لواء الامبراطورية الرومانية الجرمانية ، ثم سرعان ما تفككت وانهارت روابط هذه الوحدة نتيجة للأسباب التى تم ذكرها ، الا أنه كانت توجد فيها علاقات دولية عديدة ذات طابع إنسانى سواء بين المجتمعات الاوربية

---

(١) د / حامد سلطان ، القانون الدولى العام فى وقت السلم ، مرجع سابق ، ص٧٧٨

(٢) د / محمد حافظ غانم ، مبادىء القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص٥٧ .

أو بينها وبين المجتمعات الشرقية خففت من حدة التوتر والصراعات ، وساعدت على بلورة المفاهيم واستقرار بعض الأوضاع بين الشعوب الأوربية ، واعطتهم الدفعة بضرورة التمسك بالأمن والسلام- فقد عقدت معاهدات دولية عديدة أنهت منازعات وحروب وحققت لفترات روابط الود والاستقرار بين الشعوب الاوربية مثل :

١ـ معاهدة فردان Verdun عام ٨٤٣م

فى عام ٨٤١ قامت معركة فونتانية Fontanet بين ابناء الامبراطور لويس التقى الثلاثة ، الذين اشتركوا معه فى حكم الامبراطورية نتيجة للخلافات والمنازعات التى حدثت بينهم بسبب أطماعهم السياسية ورغبة كل واحد منهم فى الاستيلاء على حكم بلاد الفرنجه (١) ، وكانت هذه المعركة كما سجلها التاريخ من أعنف المعارك التى شاهدتها القارة الاوربية فى العصور الوسطى ، كما اعتبرت من أكبر المجازر البشرية حيث هلك فيها أربعون ألفا من خيرة شباب الفرنجه ، واشيع فيها الفوضى والدمار (٢) ، ولم تنته هذه المعركة الا بعد أن تدخل الوسطاء ورجال الدين بين الاطراف المتنازعه ابناء الامبراطور لويس التقى وتمكنوا من تهدئة الموقف ، وتحقيق الصلح بينهم بعقد اتفاقية فردان عام ٨٤٣م ، والتى بمقتضاها اتفق على

---

(١) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٧٣

(٢) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ١٣٨

انشاء ثلاثة ممالك تتألف من ثلاث شرائح مستطيلة من الارض تمتد من الشمال الى الجنوب ويختص كل واحد من الاطراف المتنازعه بحكم مملكة من الثلاث - وهى المملكة الشرقية وتحتوى على جميع ممتلكات الفرنجه الواقعة شرق نهر الراين ، المملكة الوسطى وتمتد من الاراضى المنخفضه مارة باوستراسيا وبرجنديا وبروفانس ، حتى شمال ايطاليا ووسطها ، والمملكة الغربية وتمتد من فرنسا والمناطق المجاوره لها حتى الاطراف الاسبانية (١) .

وبذلك تعتبر معاهده فردان معاهدة سلام الى جانب تضمنها نصوصا رسمت حدودا دولية بين الاطراف المتنازعة ، تحقق منها استقرار الاوضاع وانهاء كل الصراعات والاطماع السياسية التى كانت بينهما وان كانت قد أدت الى حدوث شروخ وانقسام فى وحدة الامبراطورية الرومانية الجرمانية .

٢- معاهدة مرسن Mersen

فى عام ٨٧٠ م أصر كل من لويس ملك الفرنجه الشرقيين وشارل الأصلع ملك الفرنجة الغربيين على ضرورة أعادة تنظيم الأوضاع ورسم حدود دولية جديدة بين المملكتين تجنبا لحدوث أى -

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ١٧٢

منازعات أو حروب قد تحدث بينهما . وبالفعل قد اتفق الطرفان بعد مباحثات عديدة على عقد اتفاقية مرسن Mersen في نفس العام تضمنت نصوصا رسمت الحدود الدولية الجديدة بين المملكتين (١) ، بحيث جعلت الخط الممتد من هرزتال Herstal على نهر الميز الى متز Metz على نهر الراين هو الخط الفاصل بين المملكتين (٢) .

وهذه المعاهدة وان كانت لم تعد من قبيل معاهدات الصلح حيث لم تعقد بعد حدوث نزاع أو حرب بين اطرافها - الا أنها تعد من المعاهدات الدولية للسلام رغم ان معظم نصوصها خاصة برسم الحدود الدولية الفاصلة بين اطرافها ، وذلك لانها حددت الاوضاع المستقبلية لسيادة كل مملكة على اراضيها على أمور مستقره ومتوازنه ، وجنبت بالتالي ما كان يمكن حدوثه من منازعات قد تؤدى الى حروب بين شعب المملكتين .

أقيمت علاقات دولية بين المجتمع الاوربى والمجتمعات الشرقية خلال فترات عديدة باستثناء الفترة التى قامت فيها الحروب الصليبية من القرن الحادى عشر الى القرن الثالث عشر ، وكانت هذه العلاقات عديدة ومتنوعه اقتصادية واجتماعية وثقافية - كما تم تمثيل دبلوماسى دائم بين الشرق والغرب مثل البعثة التى اوفدها شارلمان الى بغداد فى عهد هارون الرشيد بالاضافة الى التمثيل الدبلوماسى الكامل بين اوربا والامبراطورية الرومانية الشرقية (٣) .

---

(١) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ١٣٩

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١٧٣

(٣) د / احمد سويلم العمرى ، اصول العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ٦٣

** وفى ختامنا للعصور الوسطى فى القاره الاوربية نرى انه على الرغم مما حدث فيها من فوضى وظلام كما يشير المؤرخون حيث تصارعت فيها عوامل الخير والشر - الا ان عوامل الخير كانت دائما تنتصر بكفاح واصرار الشعوب الاوربية التى اكتسبت من تلك العصور التجارب العديدة التى اصقلت مبادئهم عن كيفية التطور والسعى نحو ضرورة التنسيق بين قومياتهم من اجل البقاء والاستمرار ، باوضاع جديدة تحقق السلام والاستقرار .

كما لايمكن ان ننكر آثار العصور الوسطى فى القانون الدولى حيث ظهرت قواعد دولية جديدة ، نظمت ما استحدث من علاقات مثل القواعد الخاصة بالقانون الدولى البحرى والدبلوماسى والقنصلى (١) .

وايضا ظهرت قواعد دولية خاصة بمبدأ الحماية الدبلوماسية نتيجة لظهور قوانيين عديدة بجانب القانون الرومانى وترتب عليها حدوث تنازع فى القوانين داخل المجتمعات الاوربية ، وظهور بعض المشاكل الخاصة بالجنسية وحقوق الاجانب والاقليات (٢) - بالاضافة الى حدوث تطور فى العلاقات الاقتصادية والتجارية التى ازدهرت فى نهاية العصور الوسطى خاصة بين بعض الدول الاوربية المطله على البحر الابيض المتوسط ودول ومجتمعات الشرق التى كانت فى زهوة حضارتها (٣)

---

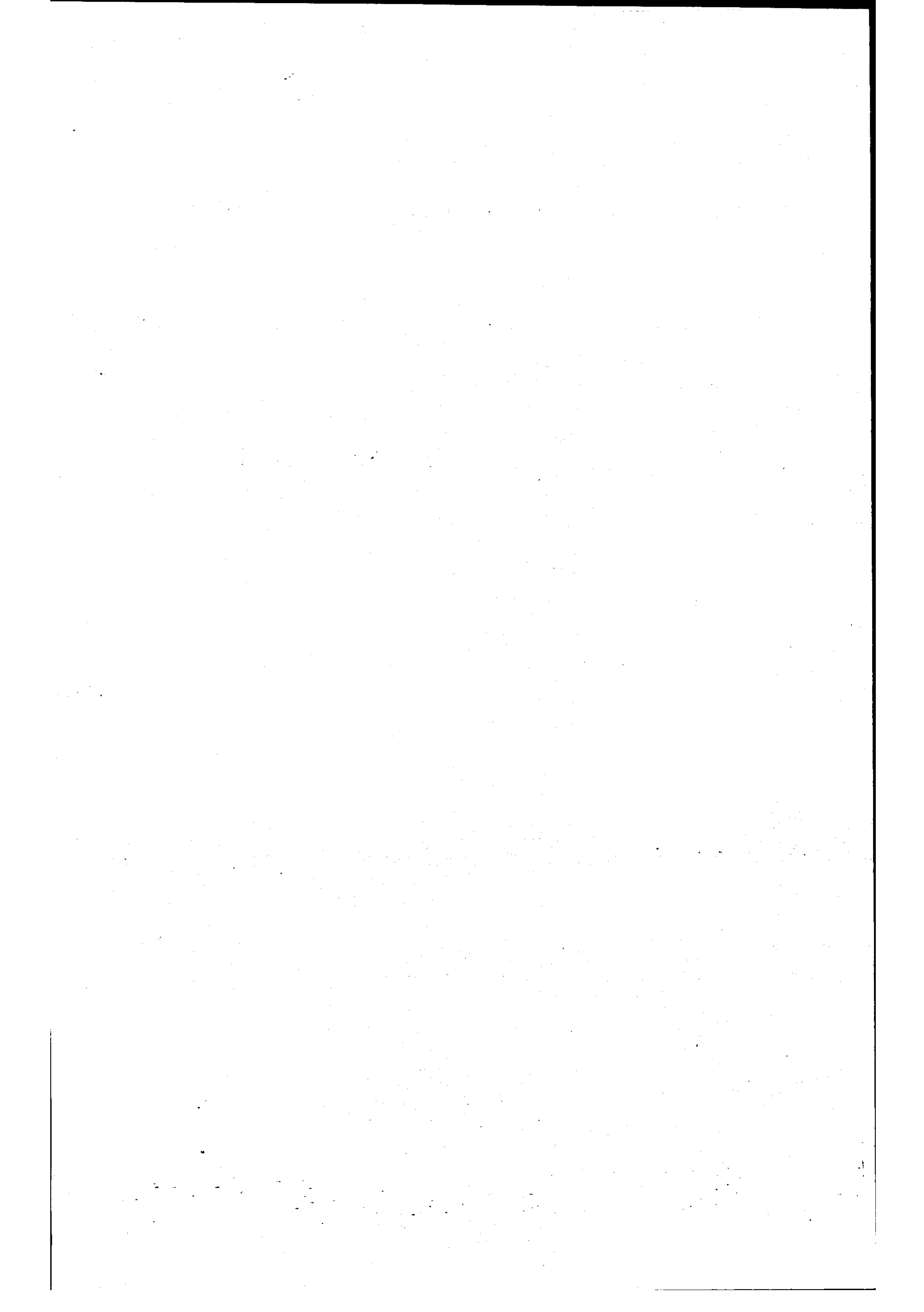
(١) د / عبد العزيز سرحان ،القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص ١٣

(٢) د /عز الدين عبد الله ،القانون الدولى الخاص، الجزء الثانى فى تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائى ، مرجع سابق ص ١٦ ، ١٧

(٣) د / فتحية النبراوى ، د / محمد نصر مهنا ، د /درية شفيق بسيونى تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ١١٩

الباب الثاني

الامبراطورية الرومانية الشرقية



فى عام ٣٢٣ م تمكن (قسطنطين) من الانفراد بحكم الامبراطورية الرومانية بعد أن هزم حليفه وليسنيوس Licinius فى حروب متتالية ثم قتله بعد أن سلم له نفسه ، وصار بالتالى امبراطورا الامبراطورية الرومانية حتى وفاته عام ٣٣٧م (١) .

ولد (قسطنطين) فى مدينة (نيش) Naissus التى تقع فى جزيرة البلقان ـ والدته كانت تدعى (هيلينا) اعتنقت المسيحية وأصبحت شهيرة بالقديسة سانت هيلينا وحجت الى الاراضى المقدسة وتشير بعض الروايات بإنها عثرت هناك على الصليب الذى قيل بأن السيد المسيح قد صلب عليه (٢) .

اشتهر قسطنطين بالقوة والذكاء والمواهب الادارية والعسكرية وقام عقب انفراده بالسلطة بعدة اصلاحات فى جميع ارجاء الامبراطورية من أجل ان يزيد من قوة تماسكها .

ويقال بأنه قد اعتنق المسيحية ايمانا من القلب فى نفس العام الذى توفى فيه سنة ٣٣٧ م ، وكان عدد المسيحين فى ذلك الوقت طبقا للاحصائيات العلمية التى قام بها العلماء ضئيلا

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة (قيصر والمسيح) مرجع سابق ص ٣٨٤ ومابعدها .

(٢) د / عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص ٣٣

جدا ولايتعدى عشر تعداد سكان الامبراطورية أى لم تكن الديانة المسيحية سائدة فى الامبراطورية ، وبذلك اعتبر اعتناق قسطنطين للمسيحية من أهم العوامل التى ساعدت على انتشارها (١) حيث منح رجال الكنيسة كافة الامتيازات التى كانت تمنح لكهنة الوثنية ، واعفاهم من ضريبة الدولة ومن الوظائف التى تعطلهم عن ممارسة واجبهم الدينى ، وسمح للافراد بحرية التبرع للكنيسة التى منحها شرعية الوجود باطار قانونى يحميها - كما سمح بتشكيل المحاكم الاسقفية التى من خلالها أعطى الحق للمتخاصمين فى القضايا المدنية فى أن يلجأوا اليها للفصل فى قضاياهم .

بالاضافة الى ذلك قام ببناء كنيسة القديس بطرس وكنيسة اللاتيران فى روما ، وأبدى اهتماما خاصا بفلسطين ، وامر بتشييد كنيسة القبر المقدس فى اورشليم ، وكنيسة الصعود على جبل الزيتون ، وكنيسة الميلاد فى بيت لحم ، وجاهد فى تأسيس مراكز رئيسية للثقافة والنشاط المسيحى فى روما والقدس (٢) .

وبهذا يعتبر الامبراطور قسطنطين هو أول من دعم مركز المسيحية فى الامبراطورية الرومانية وساعد على انتشارها فى جميع انحائها (٣)

---

(١) اندريه ايمارد ، جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، روما وامبراطوريتها ، ١٩٦٤ . منشورات عويدات . بيروت . ص ٥٤١ ، ٥٤٥

(٢) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكرة ، مرجع سابق ص ٧ ، ١٠

(3)- **Anesaki, Masahru.:** History of japanes Religion. Tokyo. Japan, U.N. University, 1980. p.15

الى أن جاء الامبراطور ثيودوسيوس الأول ، وقرر عام ٣٩٢ م - باعتبارها دين الامبراطورية الرومانية الرسمى ، وحرم فى نفس الوقت اقامة شعائر الديانة الوثنية (١) .

ومن أهم الاحداث التى قام بها قسطنطين أثناء حكمه هو قيامه بوضع أسس الامبراطورية الرومانية الشرقية مستندا على افكار الاباطره السابقين الذين كانوا يفكرون فى انشاء عاصمة جديدة للامبراطورية بعيدا عن روما واتجهت انظارهم نحو الشرق - مثل يوليوس قيصر الذى فكر جديا فى نقل عاصمة الامبراطورية اما الى الاسكندرية أو الى طرواده فى آسيا الصغرى - ولهذا رأى قسطنطين أن يحقق هذه الافكار ليجدد شباب الامبراطورية وقرر بناء عاصمة جديدة لها (٢) ولم يستقر رأيه فى أول الأمر على اختيار بيزنطه بل فكر أولا فى مدينة (نيش) التى ولد فيها أو مدينة صوفيا الجميله أو مدينة طرواده التى كانت ذات اهمية بالنسبة للرومان على اعتبار انها مسقط رأس لينياس الذى وصل منها الى ايطاليا ووضع أساس الدولة الرومانية ، وبالفعل وقع اختياره أول الأمر على مدينة طرواده ، وامر المهندسين ببناء اسوارها - الا أنه بعد فترة

---

(١) د / عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرومانى ، ١٩٦٥ - القاهره ص ١٢٥

(٢) د / عمر كمال توفيق ، تاريخ الدوله البيزنطية ، مرجع سابق ص ٣٤

قصيرة تراجع عن هذه الفكرة وبدأ يبحث عن عاصمة أخرى حتى استقر نهائيا على اختيار بيزنطه التى تقع على ضفاف نهر البسفور لما لها من أهمية استراتيجية واقتصادية لوجودها فى عنق الاتصال بالبحر الأسود والبحر الابيض على حدود آسيا الصغرى ـ كما كانت قريبة من مراكز الحضارة الانسانية الخالدة فى اليونان وسوريا وآسيا الصغرى وفارس ومصر (١) ٠

ومدينة بيزنطة اسمها مشتق من اسم قائد المجموعه اليونانية الذى يدعى بيزاس Byzas ، وكانت هذه المجموعه تقيم فى مدينة ميجارا Megara ثم هاجرت فى القرن السابع قبل الميلاد الى مستعمره تقع على الشاطىء الجنوبى للبسفور واستقروا فيها واسموها كمدينة وأطلقوا عليها اسم بيزنطه Byzantum بالنسبة لاسم قائدهم (٢) ٠

وقد أمر قسطنطين المهندسين الرومان بالقيام بأعمال البناء والتشييد للعاصمة الجديدة بيزنطه على أحدث طراز فى عام ٣٢٥م ، وذلك بعد أن أمر بجمع مواد البناء والعمار من

---

(١) د /اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ١٢

(٢) د / عمر كمال توفيق ، تاريخ الدوله البيزنطية ، مرجع سابق ص ١ ٠

شتى بلاد العالم المتمدينة في ذلك الوقت ـ كما أمر بجمع التماثيل والآثار القديمة من روما وأثينا والاسكندرية وانطاكية من أجل أن يضعها في العاصمة الجديدة لتجميلها (١) .

ويقال أن حوالى ٤٠٠٠٠ من عمال البناء الماهرين قد شاركوا في أعمال البناء والتشييد وخاصة السور الضخم الذى انشىء حول المدينة لحمايتها من أى اعتداء خارجى سواء عن طريق البر أو البحر .

وفى يوم ١١ مايو عام ٣٣٠ م ، انتهت أعمال البناء والتشييد للعاصمة الجديدة ـ وقام قسطنطين في نفس اليوم بافتاحها وسط ابتهاجات واحتفالات رائعة استمرت اربعين يوما ، وكان عدد سكانها قد تزايد وأصبح حوالى ٢٠٠٠٠٠ نسمه تقريبا بعد أن أمر قسطنطين بمنح من يهاجر اليها امتيازات مادية واقتصادية لكى يجذب اليها عددا كبيرا من السكان ـ ومنذ ذلك التاريخ اصبحت بيزنطه العاصمة الجديدة للامبراطورية الرومانية ونهجت منهج روما في أعمال الاداره ثم تغير اسمها بعد ذلك الى القسطنطينية نسبة الى الامبراطور قسطنطين الذى انشأها كعاصمة جديدة بدلا من روما القديمة التى أدار لها ظهره (٢) .

---

(١)اندرية ايمارد ، جانين أوبابه ، تاريخ الحضارات العام ، روما وامبراطوريتها ، مرجع سابق ص ٦٤

(٢)د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ١٣

وبعد أن اعتنق قسطنطين المسيحية عام ٣٣٧م البس العاصمة الجديدة ثوبا مسيحيا بدلا من الثوب البيزنطي الوثني القديم - فشيد فيها أفخر الكنائس التي أبهرت العالم من فن عمارتها مثل كنيسة الرسل وكنيسة القديسة ايريني ، كما وضع الاساس لكنيسة القديسة صوفيا SOPHIA التي أكملت بعد وفاته (١) .

ويشير المؤرخون الى أن اختيار قسطنطين لبيزنطه كعاصمة جديدة للامبراطورية كان اعظم اختيار ، لان موقعها الهام قد ساعد الرومان على مقاومة اعدائهم من الخارج لاستحالة الوصول اليها من ناحية البر أو البحر حيث كانت اسوارها شامخة وذات قلاع متينه تدحر أي عدو يحاول الاقتراب منها ، بالاضافة لاهميتها الثقافية والسياسية والاقتصادية كما كانت في مركز الوسيط التجاري بين آسيا واوربا لموقعها على البحر الأسود والبحر الايجي والبحر الأبيض المتوسط (٢) ، وأن هذا الامر قد جدد شباب الامبراطورية الرومانية وجعلها تدوم ١٥٠ عاما في الغرب حتى سقطت روما ثم اصبحت القسطنطينية المركز الوحيد للحكم الامبراطوري للامبراطورية الرومانية (٣) .

---

(١) ول ديورانت قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مرجع سابق ص٣٩٧

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام العصور الوسطى ، مرجع سابق ص٤٣

(٣) د / حامد سلطان ، القانون الدولي العام في وقت السلم ، مرجع سابق ، ص٧٧٢

وبعد وفاة قسطنطين عام ٣٣٧ م خلفه ابناؤه الثلاثة قسطنطين وكونستانتيوس Constanttius كونستانس وقسموا الامبراطورية فيما بينهم ، ولكن حدث خلاف بعد ذلك بينهم قتل على أثره كل من قسطنطين عام ٣٤٠م ، ثم كونستانس عام ٣٥٠ م وانفرد كونستانتيوس بحكم الامبراطورية عام ٣٥١ م ، وكان متحمسا للديانه المسيحية وحطم بقايا الوثنيه وأمر باغلاق كل معابدها ومنع أى شخص أن يدخل فيها وأصدر قانونا باعدام ومصادرة ممتلكات كل من يقدم القرابين للاوثان - ثم زار روما وأزال كل آثار الوثنية التى كانت باقية فيها (١) .

وفى عهد كونستانتيوس كانت الامبراطورية مهدده من الفرس والجرمان نتيجة لغزواتهما المتكرره على مصالح واقاليم الامبراطورية فناضل كونستانتيوس طوال فترة حكمه لحماية الامبراطورية من هذه الاخطار حتى سقط صريعا فى حربه الأخيرة مع الفرس فى معركة كليكيا عام ٣٦١ م - ونقل جثمانه الى القسطنطينية حيث دفن بعد جنازة هائلة فى كنيسة الرسل التى شيدها والده الامبراطور قسطنطين . (٢)

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مرجع سابق ، ص ٤٠٣

(2) Breassted, H. James.: A History of Egypt, Part.2, London, 1948. p. 18

وحيث لم ينجب كونستانتيوس اولادا لخلافته ، فقد تولى حكم الامبراطورية من بعده ابن عمته وزوج شقيقته هيلينا الامبراطور جوليان (١) وكان ذا شخصية فذة تثير الاعجاب والدهشة حيث كان اديبا وصاحب مؤلفات عديدة في الفكر الادبي والقانوني على الرغم من أنه قد تربى يتيما بعد ان ماتت والدته خلال الشهور الاولى لولادته ، وتوفى والده وهو في السادسة من عمره ، ولكن تلقى تربية وثقافة حسنة طوال فترة نموه وشبابه على يد أعظم فلاسفة وادباء الاغريق والرومان في ذلك الوقت - كما تلقى باهتمام تعاليم المسيحية وعمد وهو صغير ، ولذلك كان على جانب كبير من الفلسفة والعلوم الاجتماعية بالاضافة الى أنه كان جنديا فذا هزم الجرمان في عدة معارك متتالية عندما كان قائدا في عهد الامبراطور كونستانتيوس (٢) .

وبمجرد وصول جوليان الى الحكم الحد ، وارجع نفوذ الوثنية من جديد وأخذ يقاوم انتشار المسيحية وحاول القضاء عليها عن طريق تطوير الديانة الوثنية لكى تروق في نظر الشعب الرومانى لاعتناقها بدلا من المسيحية الا أنه بالرغم من ارتداده عن المسيحية ومحاربته

---

(١) د /اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ،مرجع سابق ص٢٣، ٢٥

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة ،قيصر والمسيح ، مرجع سابق ص ٣٣٠

Bergson, Henry.: Les deux sources de la Morale et de la Religion, Paris, 1962. p. 15

لانتشارها كان رجلا متسامحا مهذبا لايميل دائما الى القسوة وفى بعض فترات حكمه كان يترك للجميع حرية العقيدة (١) .

وفى ربيع عام ٣٦٣م ، غادر جوليان انطاكية على رأس جيش ضخم ليحارب الفرس فى معركة فاصلة ، وأثناء قيادته للمعركة أصيب بسهم أنهى حياته فى منتصف ليلة ٢٦ يوليو عام ٣٦٣م ، وكان يبلغ من العمر ٣٢ عاما وذلك وسط جمع غير من قادته وضباطه الذين أخذوا يبكونه بحرارة بعد أن ودعهم بكلمات والبكاء يجهشه بأنه يشهد نفسه يتدمج فى السماء ويحتضن النجوم وأن المسيحية قد انتصرت عليه ، وطلب منهم أن يختاروا شخصا حسنا يخلفه على عرش الامبراطورية (٢) .

وخلف جوليان الامبراطور جوفيان عام ٣٦٣م ، وكان من المتحمسين لنشر الديانة المسيحية وجاهد من أجل اعادة نفوذها فى كل ارجاء الامبراطورية - الا أن فترة حكمه لم تستمر الا بضعة شهور حيث توفى فجأة فى فبراير عام ٣٦٤م على اثر طعنه قاتله من مجهول (٣) .

خلف جوفيان فى حكم الامبراطورية شقيقاه فالينتينيان (٣٦٤م - ٣٧٥م) وفالنس (٣٦٤م - ٣٧٨م) ، واقتسما حكم الامبراطورية حيث تولى

---

(١) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٢٣

(٢) د /اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص ٢٨

(3) Brom, Field.: Le Monde à Refaire, 1. vol, Paris, 1954. p.39

الاول حكم الغرب والثانى الشرق (١) — ثم توفى فالينتينيان عام ٣٧٥م وخلفه ابناه على حكم الغرب جراتيان (Gratian) ٣٧٥ — ٣٨٣م) وفالينتينيان الثانى (٣٧٥ — ٣٩٢م) ٠

اما فالنس فقد قتل أثناء الحرب مع قبائل الجرمان فى موقعة أدرنه عام ٣٧٨ م ، وعين خلفا له الامبراطور (ثيو دوسيوس) الذى لقب باغسطس وكان قوى الشخصية وتمكن من السيطرة على الامبراطورية فى الغرب والشرق فى عام ٣٨٣م حتى نهاية حكمه عام ٣٩٥م ، واليه يرجع الفضل فى تحطيم الوثنية حيث اضطهد اضطهادا مبالغا من يتبع العبادة الوثنية وأغلق جميع معابدها — وأشهر مافعله هو تحطيم معبد السير اليوم الشهير بالاسكندرية ثم أصدر عام ٣٩٢م مرسوما امبراطوريا منع فيه الديانة الوثنية وحرم كل طقوسها وأنهى بالتالى عهدها للأبد ، ولذلك يقترن اسم ثيودوسيوس دائما بالانتشار الكامل للديانة المسيحية فى الامبراطورية الرومانية الشرقية والغربية (٢) ٠

وعلى الرغم من قوة ثيودوسيوس للامبراطورية — الا أنه سمح للجرمان أن يدخلوا ويندمجوا فى جميع أرجاء الامبراطورية وعين منهم اعدادا كبيرة فى الجيش الرومانى من أجل تخفيف حدة الصراع

---

(١) د /صوفى حسن ابوطالب ، مبادئ تاريخ القانون-١٩٦٧ ،القاهره ٠ ص ٥٥٤

(٢) د /عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص٥٧

معهم والعمل على انهائه — فاعطاهم الفرصة ان يتوغلوا فى شئون الامبراطورية حتى تمكنوا من السيطرة على أمور الجيش والاداره فى الامبراطورية الغربية (١) •

وفى عام ٣٩٥م مات ثيودوسيوس فى ميلان وتم نقل جثمانه الى القسطنطينية ودفن فى كنيسة الرسل • وخلفه فى حكم الامبراطورية ولداه أوكاديوس وهونوريوس الأول للشرق والثانى للغرب وانقسمت بالتالى أيضا الامبراطورية الرومانية الى شرقية وعاصمتها القسطنطينية وغربية وعاصمتها روما •

وقد واجه أوكاديوس فى حكمه للامبراطورية الشرقية مشاكل كثيرة مع قبائل الجرمان — الا أنه تمكن فى النهاية من القضاء عليهم تماما فى الشرق وأخمد كل حركاتهم فى آسيا الصغرى • وفى عام ٤٠٨م توفى وخلفه على عرش الامبراطورية الشرقية ابنه ثيودوسيوس الثانى وكان قاصر (٢) •

تشير المصادر التاريخية بأن الامبراطور أوكاديوس قبل وفاته كان على علاقة وطيدة بالفرس • وانه ترك وصية الى صديقه ملك الفرس يزدجرد الأول لكى يكون وصيا على ابنه الصغير ثيودوسيوس الثانى خوفا من مؤامرات رجال البلاط ضده — وان يزدجرد قام بالفعل بتنفيذ هذه الوصية حيث كانت الامبراطورية الشرقية وفارس على وئام تام فى هذه الفترة • وكان يزدجرد رجلا معتدلا

---

(١) د /اسحق عبيد • تاريخ العصور الوسطى المبكره • مرجع سابق ص٣٢

(٢) اندريه ايمارد • جانين أوبواييه • تاريخ الحضارات العام • روما وامبراطوريتها • مرجع سابق ص٥٤٨

حتى أنه فى عام ٤٠٩ م أصدر مرسوما ملكيا سمح فيه للمسيحين بحرية العبادة فى امبراطوريته ، وأعاد لهم كنائسهم المصادره ، وفى عام ٤١٠م نظم شئون الكنيسة فى فارس واختار اسقف الكنيسة السلوقية فى القسطنطينية ويدعى كتسيفون Ctesiphon رئيسا للكنيسة الفارسية (١) ، وكانت العلاقات الدولية بين فارس والامبراطورية الشرقية فى هذه الفترة كلها ذات طابع عبرت عن مدى الوئام والترابط بينهما بعد الحروب الشرسة التى قامت بينهما — وبلغت ذروتها فى حملة الفرس عام ٢٦٠م على مصالح الامبراطورية الرومانية فى سوريا وبلاد أخرى حتى بحر ايجه ، وهددوا تجارة المنطقة التى كانت من أغنى اقاليم التجارة فى العالم ، وانتهى بهم الأمر الى قيام ملك الفرس بأسر خصمه الامبراطور الرومانى فاليريان بعد أن ألحق بالرومان هزيمة ساحقة (٢) .

فى عهد ثيودوسيوس الثانى كانت الامبراطورية الشرقية أسعد حظا من الامبراطورية الغربية التى تعرضت لغزوات الجرمان المتكررة ولكن اذا كانت الامبراطورية الشرقية قد نجت من غزوات الجرمان الا انها تعرضت لغزوات قبائل الهون الذين وصلوا الى أسوار القسطنطينية ، واضطر الامبراطور ثيودوسيوس الثانى الى عقد معاهدة سلام معهم للكف عن هذا الهجوم نظير دفعه مبلغا من المال لزعمائهم ، كما ترك لهم بعض الاراضى الواقعة جنوب نهر الدانوب

---

(١) د / اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص٣٧

(٢) هـ٠ سانت ٠ ل ٠ ب ٠ موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص٢٤

وذلك خلال عام ٤٤١م ، وساد بعد عقد هذه المعاهدة سلام دائم وعلاقات ودية بينهما طوال فترة حكم ثيودسيوس الثانى (١) .

توفى ثيودسيوس الثانى عام ٤٥٠ م ولم يترك وريثا على العرش فعين قائد تراقيا مارسيان Marcian امبراطورا للشرق وكان جنديا قديرا ورجلا متواضعا ، الا ان فترة حكمه كانت قصيرة وعين بعد منه الامبراطور ليو الأول الذى فى عهده نقض الهون اتفاقهم وأخذوا يثيرون المشاكل مرة أخرى ، ثم تحركوا الى أواسط نهر الدانوب ووصلوا الى الاقاليم الغربية فى غرب اوربا وأثاروا الفزع والرعب فى القارة الاوربية من شراسة قتالهم وما يحدثوه من خراب ونهب للمدن التى يقومون بغزوها (٢) ، الا أن الرومان وقبائل الفرنجه تصدوا فى النهاية لهم وتمكنوا من هزيمتهم هزيمة ساحقة فى قطالونيا وبعدها مات ملكهم (اتيلا) وذلك فى عام ٤٥٣ م مما أدى الى انهيار قوتهم ومحوها من التاريخ — وبالتالى زال الهون عن القسطنطينية تماما . (٣) .

وفى عام ٤٧٤ م مات الامبراطور ليو الاول ، وعين على العرش حفيده ليو الصغير الذى مات فى نفس العام بعد أن أنعم على

---

(١) د /عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص٥٣

(٢) هـ . سانت .ل .ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص٩٨

(٣) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ،العصور الوسطى ، مرجع سابق ص١٩

والده زينون Zeno باللقب الامبراطوري ، الذي أصبح بعد ذلك امبراطور الشرق وفي عهده حدثت أحداث خطيرة في الغرب اذ زاد نفوذ الجرمان ، حتى تمكنوا من اسقاط روما وعينوا قائدهم ادواكر ملكا على ايطاليا بعد خلع الامبراطور الروماني (روميولوس اغسطيولوس) عن الحكم وقتله .- وأمام هذه الاحداث اضطر زينون أن يضحي بالنصف الغربي فداء للنصف الشرقي - كما وقفت الامبراطورية الشرقية تنظر بعين الترقب لما يحدث في الغرب من فوضى ومنازعات وتدفع أي مخاطر تمتد الى داخل حدودها ، واستمر هذا الحال حتى أعتلى جستنيان عرش الامبراطورية الشرقية عام ٥٢٧ م ، وكان عمره ٤٥ سنه ، وكانت له مواهب علمية وادبية ارفع بكثير من المستوى المعهود في بعض اباطرة القسطنطينية السابقين (١) .

قام جستنيان بتكوين علاقات دولية مع الدول المجاورة للقسطنطينية وامتد بعلاقاته وسياسته الفذه حتى الدول العظمى في الشرق الادنى كما رسخت في عهده قدم المسيحية في الخليج الفارسي بعد ان دعم نشرها في فارس التي ازدهرت فيها اسقفيات عديدة [٢] ، واستمر باسلوبه الدبلوماسي في نشر الديانة المسيحية في الشرق الاقصى وبعض الدول الافريقية مثل الحبشة التي أقام معها علاقات ودية

---

(١) د / عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص ٧٠

(2) Bryce, James.: International Relations, London, 1932. p. 144

عديده بعد أن شجع ملكها اكسوم على ضرورة الاهتمام بالمسيحية وساعده على نشرها حتى اصبحت الديانه الرسمية للحبشة (١) .

وكانت سياسة جستنيان لتجديد شباب الامبراطورية الشرقية هو الاستفاده الدائمة من التجارة ، والدبلوماسية ، والعلاقات الدولية الوطيدة ، وحملات التبشير للديانة المسيحية ، من أجل تحقيق آمال الامبراطورية ، وتجنب المشاكل والحروب التى تهدد أمنها ، ولذلك عقد معاهدة صلح وسلام مع ملك فارس عام ٥٣٢ م لكى يتجنب الحرب معه بعد أن دفع له مبلغا من المال ، وتمكن بسياسته الحكيمة أيضا أن يخلص الشمال الافريقى من حكم الوندال الاستبداى بعد أن حطم دولتهم تماما عام ٥٣٣ م ، وذلك لكى يزيل كل الاخطار التى كانت تهدد الامبراطورية ومصالحها فى الشرق (٢) .

وجستنيان بالاضافه الى جهوده الراقية وسياسته الحكيمة فى ادارة شئون البلاد — كان فقيها عظيما حيث وضع مجموعة شهيرة للقانون سميت باسمه — وأصدرها فى عام ٥٣٩م ، وكان لها أثر كبير فى تنظيم شئون الامبراطورية ، كما أثرت بعد ذلك

---

(١) د /عبد الملك عوده ، اثيوبيا من الامبراطورية الى الجمهورية الفيدرالية مجلة السياسة الدولية ، العدد ٤٣ يناير ١٩٧٦ ، القاهره ص٨٦

(٢) د /اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ، مرجع سابق ص٧٧

على قانين دول عديده مثل القانون المدنى الفرنسى (١) .

وقد تمكن جستنيان من استرجاع مجد الامبراطورية القديمة ليس بالحرب وفرض القوة وانما عن طريق علاقاته الدبلوماسية وسياسته الحكيمه ويكفى أنه جنب امبراطوريته خطر الفرس الذين كانت لديهم أكبر قوة عسكرية فى الشرق والغرب طوال فترة حكمه ، وكان عندما يشعر بزيادة تحرشهم لكسر نفوذه فى الشرق يسارع على الفور الى دعم العلاقات الودية معهم ليسود السلام ويتجنب الحرب معهم(٢). وتعد معاهدة السلام التى عقدها فى الفترة الاخيرة لحكمه مع ملك الفرس شوزورس الأول عام ٥٦١م من ارقى المعاهدات الدولية ، والتى لاتختلف صورتها عن معاهدات الصلح والسلام التى عقدت فى العصور الحديثة ، وذلك لانه حدث مفاوض ومباحثات بين وفدى الطرفين الى أن تم الاتفاق ، ثم قام كل وفد باعداد صيغة المعاهدة بلغته ، ثم ترجمت كل من الصيغتين الى اللغة الأخرى حتى يتم التأكد من مطابقة النصين كلاهما للآخر . وكان يتحتم على المترجمين أن يضعوا أختامهم على الوثائق التى يتم تبادلها ـ وبعد ذلك أخذ كل طرف صورة من المعاهدة مكتوبة بلغة الآخر مع صورة أخرى

---

(١) د /عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرومانى ، مرجع سابق ص١٣٤

(2) Fisher, H.A.L.: A History of Europe, 1. vol, London, 1940. p.47

مكتوبه بلغته الوطنية ، بعد أن قام كل من جستنيان ـ وشوزورس بالتصديق عليها (١) .

وكان جستنيان يطمع بعد تهدئة الأوضاع فى الشرق أن يحقق آماله الكبرى وهى استعادة مجد امبراطورية الغرب من جديد ليوحد صفوف الشرق والغرب كما كانت من قبل ، الا أن وفاته فى عام ٥٦٥ م كانت الحائل الوحيد للوصول الى التحقيق النهائى لمخططاته السياسية المحنكة (٢) .

وبعد وفاة جستنيان استمرت الامبراطورية الشرقية تنظر الى أحداث التصدع والمنازعات التى تنخر فى عظام الغرب وتحاول أن تدفع أخطارها بعيدا عن حدودها الى أن ساءت العلاقات بين فارس والقسطنطينية بالاضافة الى ظهور خطورة من قبائل الافار فى بداية القرن السابع الميلادى (٣) ، وفى اثناء ذلك عين هرقل عام ٦١٠ م امبراطورا للشرق ، وكان همه الأول تخليص القسطنطينية من التهديد المزدوج من قبل الافار ، والفرس الذين قاموا بغزوات شرسة وتمكنوا من اسقاط دمشق عام ٦١٤م ، ثم دخلوا بيت المقدس واشعلوا الحرائق والدمار فى كنيسة القيامة

---

(١) د /عبد العزيز سرحان ، القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص ٨٦

(٢) د /عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولية البيزنطية ، مرجع سابق ص ٨٩

(٣) هـ. سانت .ل .ب. موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

التى شيدها قسطنطين • ثم حملوا الصليب المقدس الذى يعد أقدس آثار المسيحية الى بلاد فارس - ثم احتلوا مصر عام ٦١٩ م وتقدموا بغزواتهم فى آسيا الصغرى واسقطوا مدنا عديدة — مما جعل القسطنطينية تعيش فى حصار اقتصادى فقد تفيه كل موارد ها الثمينة وخاصة المواد الغذائية (١) •

ونتيجة لاخطار الفرس والافار فكر هرقل فى نقل عاصمة الامبراطورية الى قرطاجنة بدلا من القسطنطينية لكى يبدأ بها بداية جديدة فى بيئة جديدة • ولكن هذه الفكرة لم تتحقق حيث وجدت صعوبة فى تنفيذها — كما أن هرقل قد نظم اقتصاد بلاده وشئونها الادارية واستعان برجال من أفراد اسرته • وبعض التابعين المأمونين له لمساعدته فى ادارة البلاد(٢) — ثم قام بوضع خطة استراتيجية لانقاذ القسطنطينية المهددة من جانبين فعزم أولا أن يؤدى للافار اتاوة مقابل رحيلهم عن القسطنطينية وتم ذلك بالفعل وأصبح يواجه فقط خطر الفرس حتى قام بوضع خطة فى عام ٦٢٦م سحق فيها قوات الفرس وشتت كل قواهم واستولى على قصر كسرى الذى خلع عن العرش ولقى مصرعه — وعين ابنه شيرويه ملكا من بعده • وقام بعقد معاهدة صلح

---

(١) ادوارد بروى • تاريخ الحضارات العام • العصور الوسطى مرجع سابق ص٥٣ • ٦٢

(2) Croiset, M.: La Civilisation de la Grèce antique, paris, 1932. p.13

مع هرقل عام ٦٢٨ م ، وكانت فى صالح هرقل حيث استرد بمقتضاها كل البلاد التى سقطت فى أيدى الفرس كما استولى على أملاكهم فى الجزيرة العربية والشام ومصر (١) .

وبهذه المعاهدة انتهت الحروب الفارسية مع الامبراطورية الرومانية الشرقية الى الأبد ، كما استردت القسطنطينية انفاسها ، وعاد اليها جميع الاسرى ، وكان من أبرز عوامل النصر هو عودة الصليب المقدس من بلاد فارس الى القسطنطينية واحتفل به احتفالا عظيما .

وبعد ذلك تزعم الرومان الشرقيون حضارة البحر المتوسط ، وسيطروا تماما على جميع سكان آسيا الصغرى والشام ومصر واتجه هرقل الى الاصلاح الداخلى للامبراطورية الشرقية ليجمع شمل العناصر المتنافرة فى الشرق والساخطة على بطريركية القسطنطينية باسترضائهم ، وكسب ودهم واخلاصهم له ، ثم قام بعمل مشروع دينى يجمع شمل هذه العناصر ويوفق بين اتجاهاتهم الدينية ، وتمكن من اقناع كل من بطريركية القسطنطينية والاسكندرية وأنطاكية بوجاهة هذا المشروع ـ كما استطاع أن يكسب به رضا البابا هونوريوس فى روما الذى استمر فى

---

(١) د / عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص ٦٢ ، ومابعدها ـ ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١٣٩

البابوية من عام ٦٢٥م الى عام ٦٣٨ م (١) ٠

وفى النصف الاول للقرن السابع الميلادى شهد الشرق حضارة انسانية راقية تنبع من الجزيرة العربية وهى الدعوة الاسلامية التى سرعان ما تكونت وقويت سواعدها كدعوة عالمية ، وبدأت منذ عام ٦٢٩ م تتجه الى الشام لنشر الايمان والسلام وتخليص الشعوب من ظلم واستبداد حكم الامبراطورية الشرقية ـ فدارت معارك كثيرة بين المسلمين وجيوش هرقل الذى لم يتمكن من صد زحفهم حتى الحقوا به هزيمة ساحقة على نهر اليرموك فى اغسطس عام ٦٣٦م ـ وتمكنوا من فتح جميع مدن الشام وسيطروا عليها مع بلاد فارس ثم زحفوا على مصر وتمكنوا من فتحها فى نفس العام الذى مات فيه هرقل سنة ٦٤١ م وعين من بعده ابنه قنسطانز الثانى (٢) ٠

وخلال الزحف الاسلامى انكمشت الامبراطورية الشرقية بعد أن فقدت السيطرة تماما على معظم ولاياتها فى الشرق خاصة بعد أن فتح المسلمين معظم بلاد الشمال الافريقى ، والاندلس عام ٧١١م (كما سنتبين فى الباب الثالث من هذا البحث) ،

---

(١) د /اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكره ،مرجع سابق ص٧٩

(٢) هـ٠ سانت ٠ل ٠ب٠ موس، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص٢٥٣

وفى عام ٧١٧ م زحفت الجيوش الاسلامية الى القسطنطينية وحاصرتها لمدة سنة ، ولكن لم تستطع تحطيم اسوارها للكفاح المستميت من جانب الجيوش البيزنطية بقيادة الامبراطور ليو ـ فاكتفوا بفرض الجزية وعدلوا عن الفتح عام ٧١٨ م ويقول معظم المؤرخين أن عدم فتح المسلمين للقسطنطينية من الاسباب الهامة التى أوقفت زحفهم وانتشارهم فى جميع أنحاء العالم ، وأن البيزنطيين اعتبروا هذا نصرا هائلا لهم ، واخذوا يرتبون أوضاعهم من أجل أن يستعيدوا مكانتهم فى الشرق مرة أخرى (١) .

قامت علاقات دولية عديدة ذات طابع إنسانى بين البيزنطيين والدولة الاسلامية وخاصة فى عهد الخلافة العباسية ، الا انهم قاموا فى منتصف القرن العاشر بحملات وغزوات شرسة على بعض المواقع الاسلامية فى الشرق لانتزاعها والاستيلاء عليها ، فتعكرت علاقاتهم مع المسلمين ، واعتبر المؤرخون ذلك البداية الحقيقة للحروب الصليبية على الشرق ، حيث استمر هذا الصراع الى أن تم التحالف بين البيزنطيين والدول الغربية بتوجيه من البابا فى روما للقضاء على النفوذ الاسلامى فى الشرق خاصة بعد أن أخذ الضعف السياسى والعسكرى يحل بالدول الاسلامية من تكرار هجماتهم (٢) .

---

(١) محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية ، مرجع سابق ص ٢٥٢

(٢) د /فتحية النبراوى ، د /محمد نصر مهنا ، د /درية شفيق ، تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ٧٣

وفى بداية القرن الثالث عشر واجهت الامبراطورية الشرقية قوى سياسية أخرى تظهر في ساحة الشرق بعد أن أخذت الدولة الاسلامية في التقهقر - وهى الجيوش المغولية التى كونت دولة عام ١٢٠٧ م ، وقامت بقوة كاسحة وغزو مدمر واستولت على افغانستان وشمال ايران ، ثم عبرت جبال القوقاز واحتلت روسيا ، وتقدمت الى اوربا حتى وصلت لحدود بولندا ، وأثناء ذلك انكمش البيزنطيين خلف أسوار القسطنطينية يرقبون الموقف برعب شديد خاصة بعد أن اسقط المغول بغداد عاصمة الدولة الاسلامية وتسيدوا الموقف واصبحوا هم المحركون الحقيقيون للسياسة فى الشرق (١) .

واستمر هذا الوضع الى أن اصيبت دولة المغول بنكبة من أثر قيام الجيوش المصرية بقيادة السلطان قطز بسحقهم فى معركة عين جالوت عام ١٢٥٧م ، مما جعل البيزنطيين ينقسمون بعد زوال هذا الخطر ، وأخذوا يجمعون قواهم واستطاعوا أن يفرضوا سيطرتهم السياسية على الشرق مرة أخرى على مدى مايقرب من مائة عام (طوال القرن الرابع عشر) (٢) .

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص٦٩ ، ٩٣

(٢) د /عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص ٢٢٩

وفى بداية القرن الخامس عشر ظهرت قوى سياسية أخرى مثلة فى العثمانيين الذين سرعان ما فرضوا نفوذهم بعد أن كونوا جيشا قويا وقاموا بعمليات الفتح والاستيلاء على مدن عديدة فى آسيا الصغرى ، والاحلام تراودهم فى تكوين امبراطورية يسجل فيها التاريخ أمجادهم حيث وجدوا جميع مدن الشرق قد اهلكت واصيبت بالشيوخخه وغير قادره على مجابهة ما يحل به الزمان من أحداث (١) .

وكانت بداية تحقيق هذا الحلم لهم هى نهاية وجود الامبراطورية الشرقية حيث قاموا بقيادة السلطان محمد الفاتح بالانقضاض على القسطنطينية وفتحوها فى منتصف القرن الخامس الميلادى (٣٠ مايو ١٤٥٣م) بجيش يقدر بحوالى ١٦٠,٠٠٠ جندى ولم تستطع الجيوش البيزنطية بقيادة الامبراطور قسطنطين الحادى عشر مجابهته (٢) .

ومنذ ذلك الحدث محيت الامبراطورية الرومانية الشرقية من صفحات التاريخ فى الشرق ، فكما انشئت على يد الامبراطور قسطنطين عام ٣٣٠م وسط أفراح وابتهالات - انتهت أيضا من الوجود عام ١٤٥٣م عقب أن دخل محمد الفاتح القسطنطينية فى موكب رسمى ليعلن قيام الامبراطورية العثمانية فى الشرق بدلا منها .

---

(١) د /فتحية النبراوى ، د /محمد نصر مهنا ، د / درية شفيق ، تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ١٢٧

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ٥٨٨ ، ٥١٩

واذا كانت الامبراطورية الشرقية قد انتهت من سجلات التاريخ فى نهاية العصور الوسطى ـ الا أنه لايمكن انكار الدور الانسانى الذى قامت به خلال فترات وجودها فى الشرق ، ويمكن تلخيص أهم جوانبه فى أربع أمور أساسية كالآتى :

١ ـ أنها قامت بتعليم السلالات السلافية فى شرق أوربا أسس الحضارة الإنسانية ـ وأن كلا من روسيا وبلغاريا ومعظم دول شرق أوربا تدين بكل حضارتها للقسطنطينية .

٢ ـ قامت فيها صناعات مختلفة ومتطورة تأثرت بها روسيا ومعظم الدول الاوربية التى تمكنت أن تتعلم منها ، وتصنع مثيلها .

٣ ـ تجاوبت حضارتها مع العرب والدولة الاسلامية العالمية فى فترات عديدة من خلال العلاقات الدولية التى قامت بينهما ومما يدل على وجود ود وتفاهم بين الجانبين خلال فترات عديدة ـ وتوجد رسالة حفظتها المصادر التاريخية ارسلها بطريق القسطنطينيه نيقولا ميستيكس Nicholas Mysticus فى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى الى أمير اقريطش (كريت) ، حيث جاء بها الاتى (الى الامير الأشهر الأشرف الأدنى .. الى المحبه .. ان دولتى العرب والروم ظاهرتان على العالم كله ، وهما تمتازان وتتألفان كالشمس فى القبة الزرقاء

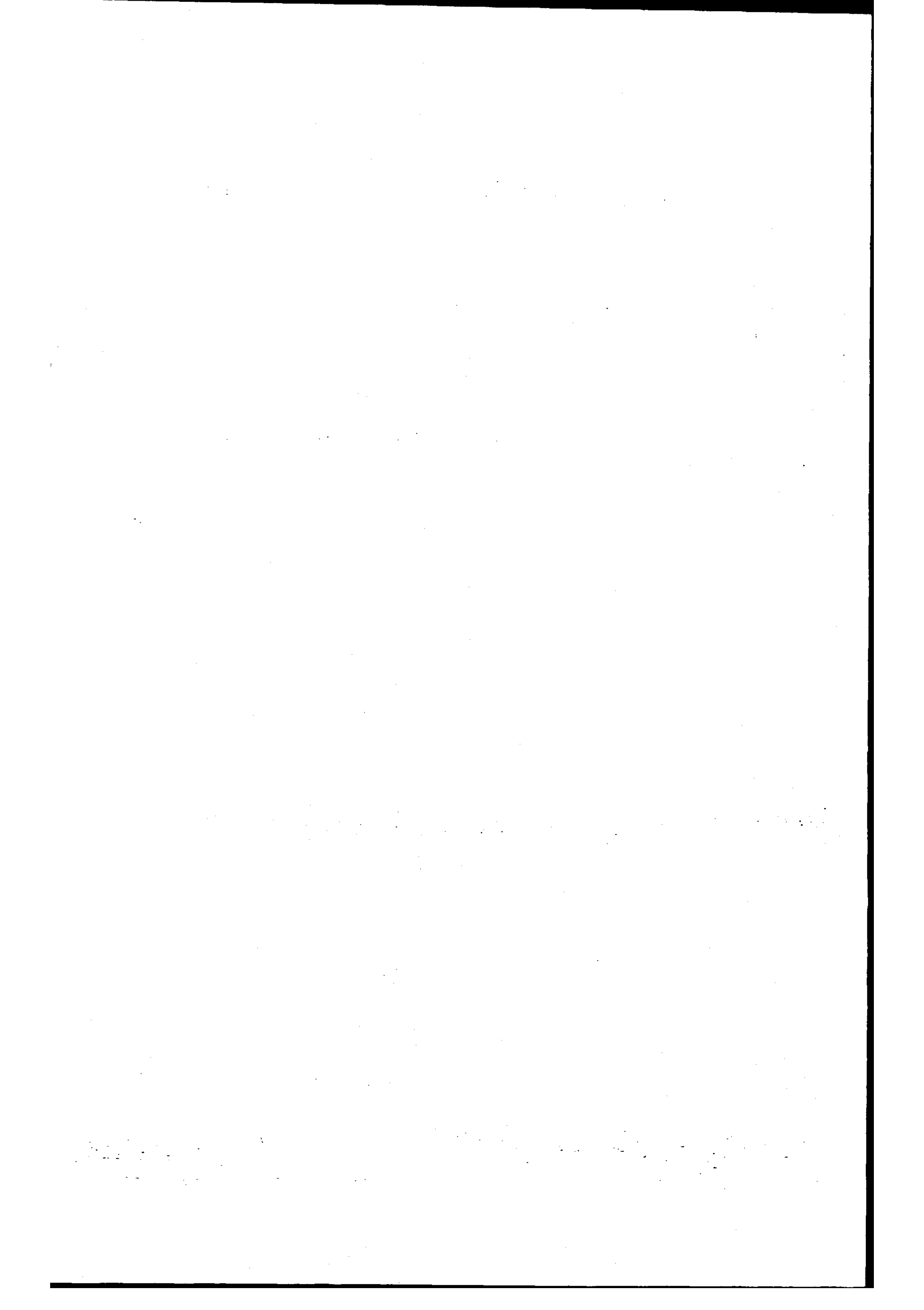
ولهذا لا مندوحة لنا أن نعيش كأخوة بالرغم من اختلافنا في الطبائع والعادات والدين (١) .

٤- ساعدت على تحطيم الوثنية ونشر الديانة المسيحية في الشرق وبعض الدول الافريقية ، كما دعمت في فترات عديدة أسس السلام والمحبة بين الشعوب التى كانت تسيطر عليها في الشرق خلال فترات عديدة (٢) .

---

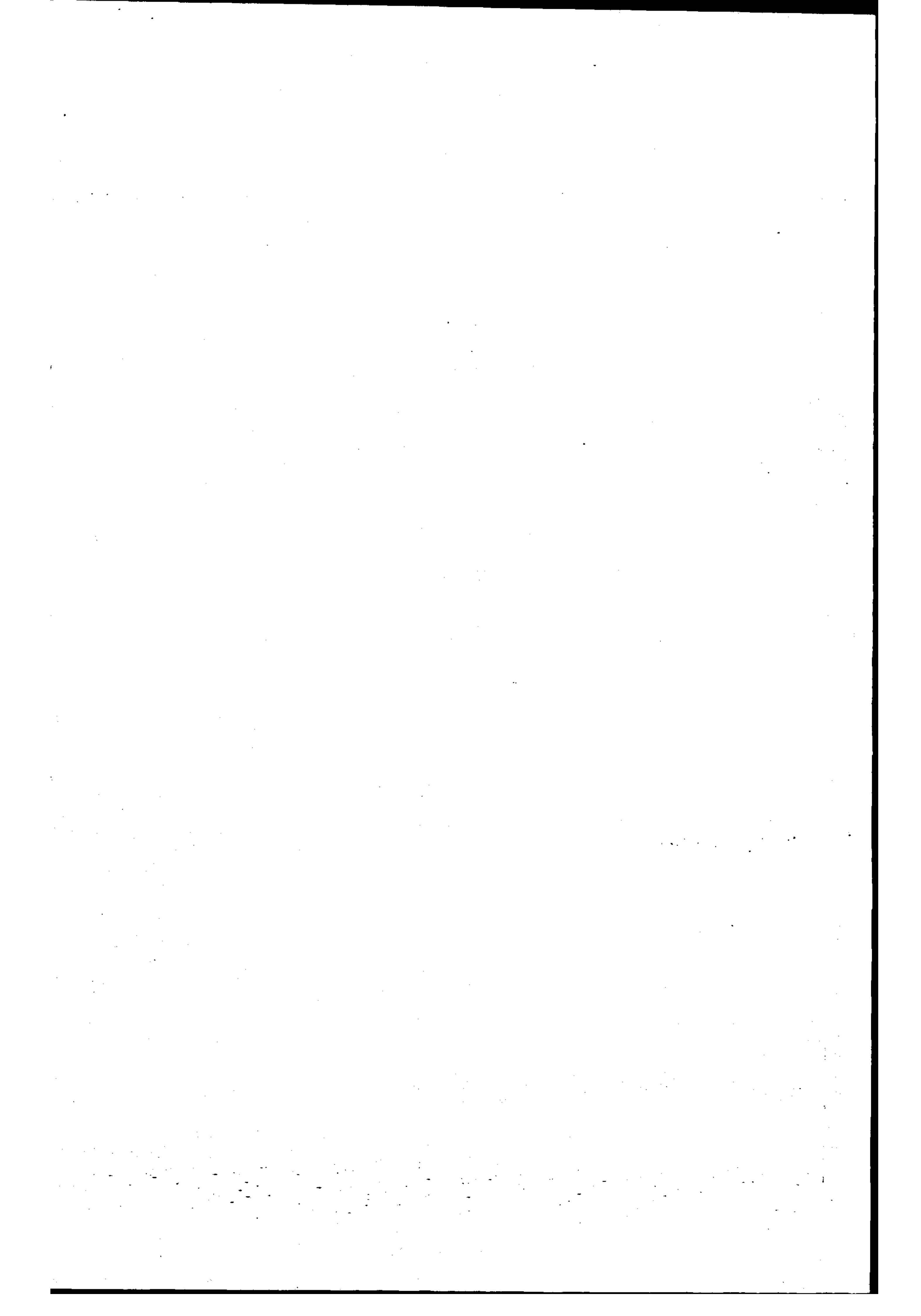
(١) د / عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص ١٠ - ١٣

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٥٩٦



الباب الثالث

الحضارة العربية الاسلامية



بلاد العرب قبل ظهور الاسلام لم تكن قادرة على تكوين حكومة موحدة ، حيث لم تغلبت من غزوات وفتوحات الرومان والفرس التي تناوبت عليها على مر التاريخ .

وكانت الجزيرة العربية شطرها الأكبر من الاراضي الصحراوية يجوب فيها البدو الذين لا يعترفون بأية رابطة الا في حدود القبيلة - وقد اشتغلوا بالتجاره والزراعه ، وكان من بينهم متحضرون ، وعلى اتصال دائم بالأمم والدول القديمة المتمدينه ، كما اتخذوا من موقعهم في هذه المنطقة عملا وسيطا في التجارة المتبادلة بين الشرق والغرب (١) .

وفي أقصى الجنوب العربي كانت توجد اليمن التي استفادت من تجارة البحر الأحمر ، وبلغت بفضلها قدرا عظيما من الوحدة والاستقرار وتكونت فيها حضارة راقية سجلها التاريخ الإنساني وشهدت عليها الآثار والنقوش ، وكانت تعرف بمملكة سبأ (٢) .

وفي المناطق الشمالية كانت توجد قبائل عربية مستقرة في ربوع شرق الاردن والسهول الخصبة المترامية التي تمتد من فلسطين

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ١١٠

(٢) جاك س ريسلر . الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٢٥

الى نهر الفرات ودجله ، وكانت هذه القبائل متدينه رغم أنها كانت أكثر عرضه لغزوات الفرس والروم لاهمية المناطق التى تقيم فيها من الناحية الاقتصادية والتجارية (١)

وفى الغرب كان يوجد عرب الحجاز الذين كانوا يعيشون عيشة مستقرة وان لم يتحدوا سياسيا ، واحترفوا الزراعة مثل مدينة يثرب التى ازدهرت بحرفة غرس النخيل وأقام بها عدد ضخم من السكان الزراع ، وعلى بعد مائتى ميل جنوب مدينة يثرب بامتداد ساحل البحر الاحمر كانت تقع مدينة مكة التى اشتهرت برخائها التجارى وكان تجارها يترددون دائما على أسواق سوريا والمغرب ويزودونها بخشب الورد والبخور الوارد من جنوب بلاد العرب ، فضلا عن السلع الأخرى التى ترد اليها من الهند وأقاصى آسيا كما اعتبرت من أهم محطات التجارة الرئيسية فى العالم حيث كانت ملتقى تجارة الغرب والشرق (٢) ، وكانت مكة بالاضافة الى مركزها التجارى والحضارى مدينة دينية حيث توجد فيها الكعبه الشريفة وحجرها الأسود الحافل بالأسرار ، وهو البيت العتيق الذى يجذب اليه الحجاج من كل أرجاء العالم ، ولهذا كانت مكة ذات مركز تجارى

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى مرجع سابق ، ص١١١

(٢) هـ ، سانت ، ل ، ب ، موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص٢٤٢

وأدبي وسياسي ممتاز لدى العرب (١) .

وبذلك فالعرب لم يعرفوا الرعي فقط ، ولا الزراعة حول الآبار ومصادر المياه فحسب ، بل هم الذين ضربوا منذ العصور الأولى بسهم وافر في التجارة المحلية والدولية ، فكانوا وسطاء في عقد التجارة بين الشرق والغرب ، يأتون بها من الصين وشواطئ الهند الغربية وجزرها الشرقية الى الخليج العربي ثم الى حوض مابين النهرين فسوريا فالبحر الابيض المتوسط ثم الى الدول والمدن التجارية في أوربا ، ويحملون البضائع من شرق أفريقيا الى اليمن فمكة ثم الى بلاد الشام والروم ، كما كانت لهم دراية بالبحر والملاحة قبل كثير من الشعوب التي عاشت حول البحار والمحيطات - وبالتالي لم يعرف العرب الصحراء وحدها بل عرفوا البحر والملاحة والفلك منذ أقدم العصور (٢) وقد اتخذوا على الساحل الشرقي لافريقيا عدة مستعمرات مثل لامور وممبسه وزنجبار وموزمبيق ، ومارسوا فيها جميع أنواع التجارة في العصور الأولى قبل الميلاد (٣) .

---

(١) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ١٩٣٥ ، القاهره ، ص ٦٥

(٢) فليب حتي ، ادوارد جرجي ، جبرائيل جيور ، تاريخ العرب نيويورك ١٩٧٢ ،ترجمة /جبرائيل جيور ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ١٩٧٤ ص ٢٩ ومابعدها

(٣) د /محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية (١) (دراسات قومية) ١٩٧٥-الناشر القاهره للثقافة العربية ، ص ٢٥

وكان العرب يعتقدون دائما أنهم شعب كامل الإنسانية ، وأن الشعوب الأخرى التي تعرفوا عليها لاتصل لدرجتهم وأطلقوا عليها أسم الاعاجم ولذلك كانوا يرفضون تزويج بناتهم لهم ، مهما كانت مكانتهم - ويروى المؤرخون في ذلك أن كسرى ابرويز ملك الفرس قد تقدم لخطبة حزمة بنت النعمان بن المنذر ، ورفض النعمان بن المنذر مصاهرته خضوعا لهذه التقاليد (وهي من العار أن يزوج العربي ابنته لاى عجمي) وبالرغم أنه كان من ولاته ، وبمجرد ان علم كسرى بذلك غضب غضبا شديدا وأتى بالنعمان وهدده ، وعندما فشل أمر بطرحه تحت أقدام الفيلة وسوى معالم جسمه بالتراب اعتقادا بأن ذلك سيوقع الرعب في نفوس العرب - وطلب مرة أخرى من هانى بن قبيصة أن يزوجه حزمة فرفض أيضا (١) - فتولد في نفسه كرها بافتا نحو العرب ، وقرر غزو الامة العربية وتحطيمها واذلالها ، وبالفعل التقت جيوشه مع جيوش العرب وانتهى الأمر بهزيمته وانتصار العرب في موقعة (ذى قار) (٢) .

هذا هو حال العرب قبل الاسلام ، فرغم مكانتهم الا أنهم كانوا متفرقين لاتجمعهم نظرة قومية ، كما وقعوا مرات عديدة

---

(١) د / ثروت أنيس الاسيوطى ، الاسلام والملكية ، ١٩٧٢ ليبيا . ص ٩

(٢) د / محمد رأفت عثمان ، الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الاسلام طبعة ١٩٧٢م القاهره . مطبعة السعادة . ص ٣٠ ، ٣١

لكثرة خيراتهم فريسة لاغارات الفرس والروم التى تعتبر من العوامل الاساسية لتفتيت كيانهم السياسى ، كما كان العرب ذا تركيب طبقى منقسما الى أغنياء وهم الاشراف والى فقراء وكانوا يمثلون طبقة العبيد ، وأطلق عليهم الاحابيش .

وكانت الديانات عندهم مثل السياسة غير منتظمة حيث وجدت عبادة الاصنام بالاضافة الى الديانة اليهودية والمسيحية التى كانت توجد فى بعض المناطق ، الا أن الغالبية العظمى من العرب كانوا متمسكين بعقائدهم الوثنية القديمة التى ورثوها عن أجدادهم مع وجود البعض منهم يؤمن بالتوحيد وخاصة الذين دأبوا على زيارة مكة بصفة منتظمة باعتبارها ذات مكانة دينية كبرى ومنطقة حرام مقدسة (١) .

وفى ظل هذه الاوضاع ولد محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة ويرجح المؤرخون وعلماء الاسلام والمستشرقون أنه ولد بعد وفاة والده عبد الله فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول لعام الفيل (x) - الموافق ٢ اغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية فى مكة بدار جده

---

(١) د / محمد مصطفى شحاته الحسينى ، د / حسن احمد الشاذلى ، العلاقات الدولية (محاضرات فى الفقه الاسلامى) ١٩٨٠ القاهره . ص ١٧

(x) وهو العام الذى قام فيه ابرهه ملك الحبشه بمهاجمة مكة من اجل هدم البيت العتيق بجمع من الفيله وفشل .

عبد المطلب الذى سماه محمدا ، وعندما سأله رجال قريش عن سبب تسمية حفيده بهذا الاسم ولم يسمه أسما من أسماء أبائه ، قال لهم أردت أن يكون بهذا الاسم محمودا فى السماء لله وفى الارض لخلقه (١) .

وقد تربى محمد يتيما الى أن أدرك سن الشباب وتعلم لغة العرب وانتمى مع أقاربه الى المجتمع التجارى بمكة ، وعندما وصل الثلاثين من عمره بلغ درجة معقولة من الغنى وكان على خلق كريم ، وصادق أمين تمتع بحب واعجاب أهل مكة جميعا (٢) .

وفى الاربعين من عمره وكان يوافق عام ٦١٠ ميلادية نزل عليه الوحى وهو يتعبد فى غار حراء بقوله تعالى (أقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) (٣) ثم أخذ حياة التضحية الخالصة لوجه الله والحق

---

(١) د / محمد حسين هيكل ، حياة محمد ١٩٣٨ ، مرجع سابق ص١٠٧

(٢) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، جوتينجن (المانيا) ١٩٠٢ نقله الى العربية د / محمد عبد الهادى ابو ريده ، مراجعة د /حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ١٩٥٨ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره

(٣) سورة العلق ، الايات من ١ — ٥ .

والانسانية نحو رسالة ربه ليبلغها بالصدق والامانه ويدعو الناس اليها بالتى هى أحسن ، نحو وحدانية الله وهدم الوثنية ، فتجمع حوله فى أول الأمر فئة قليلة مخلصة من أصدقائه وأقربائه وبعض الموالى والرقيق ونفر قليل من التجار - كما شارك النساء الطاهرات فى الانضمام لدعوته نحو الحق (١) - وجاهده وحماسته القوية لاضاءة نور الاسلام بين الناس مستندا الى الوحى تمكن من نشر الدعوة الاسلامية التى تكفل المساواة بين البشر على أسس وطيدة من الحق والعدل وقال صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب) (٢) .

وقد وجد محمد صلى الله عليه وسلم معارضة شديدة عند نشر دعوته من الذين تأصلت فيهم العادات القديمة للعبادات الوثنية ، وخاصة الرجال ذو المكانة فى المجتمع القرشى الذى دبت فى نفوسهم المخاوف والشكوك أن تقضى المبادىء الإنسانية للاسلام على مكانتهم وتساويهم بالعامة ، ولذلك اعتبروا الدعوة الاسلامية مبادئها هدامة بالنسبة لهم ، وقاموا بكل مايملكون من قوة وسلطان بمحاربة انتشارها (٣) ، حيث عذبوا وشردوا كل من اعتنق الاسلام واتبع تعاليم

---

(١) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ص ١٢٩ ومابعدها .

(٢) د /صلاح الدين عامر ،مقدمة لدراسة القانون الدولى ، مرجع سابق ص ١١٤

(٣) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ،العصور الوسطى،م.سابق ص ١١٢

الرسول الكريم •

وباستمرار هذا الاضطهاد والاعمال الوحشية من الذين عميت قلوبهم ، هاجر محمد عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة عام ٦٢٢م بأمر من الله العزيز القادر ومعه عدد غير قليل من المجاهدين الصابرين الذين أسلموا بالحق والهداية - ليؤسس الدعوة التي انتشرت في جميع أرجاء العالم ، وسوف نبين ذلك على النحو التالي : -

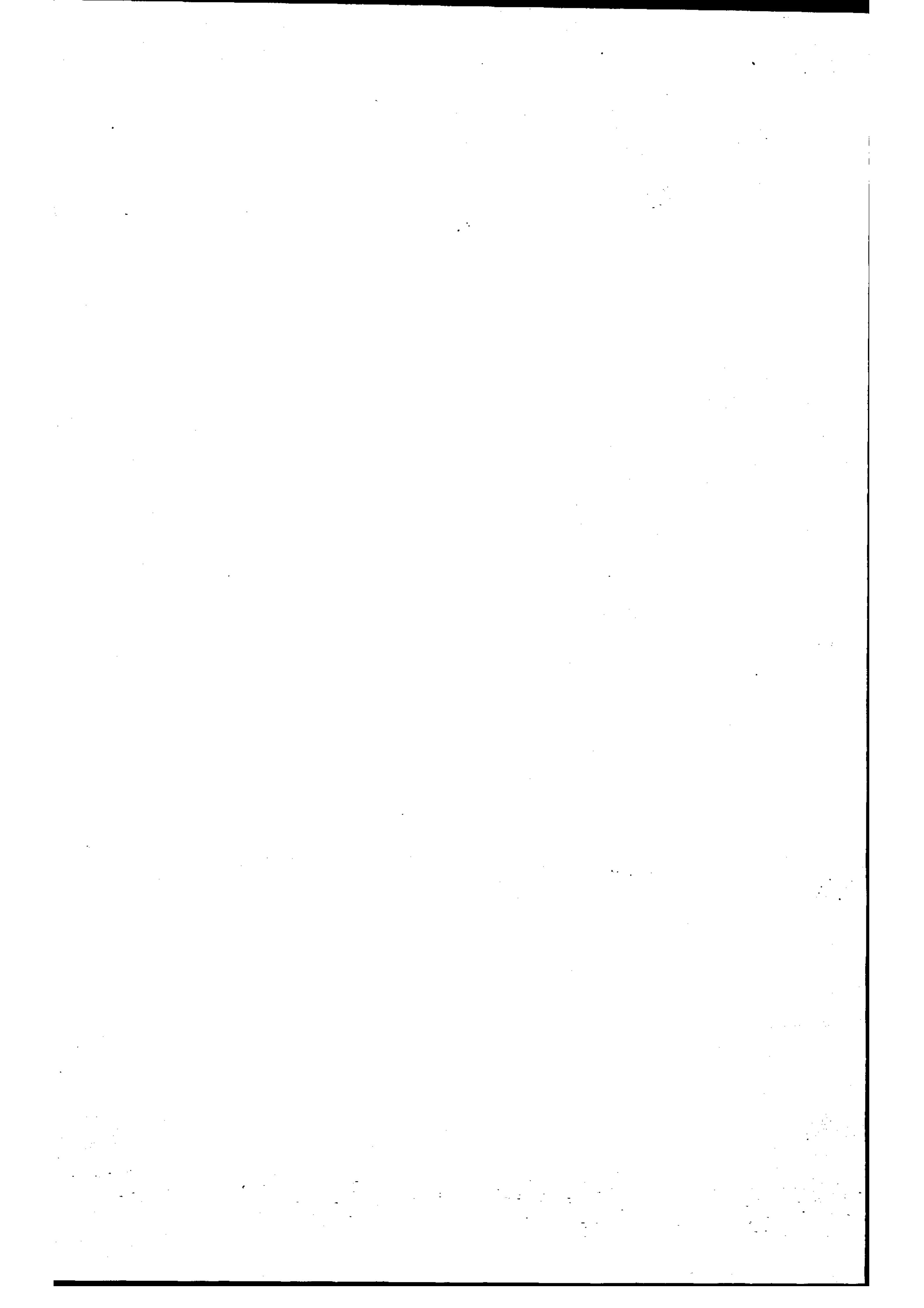
الفصل الاول : تأسيس الدولة الاسلامية

الفصل الثاني : الدولة العالمية الاسلامية

الفصل الثالث: نهاية الخلافة العباسية

الفصـــــل الاول

تأسيــس الدولة الاســلاميــة



الفصل الاول

تأسيس الدولة الاسلامية

تعتبر هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بداية العهد فى تأسيس الدولة الاسلامية وتثبيت أركانها ، حيث كانت المدينة (يثرب) ذات بيئة ملائمة لنشر تعاليم الاسلام ، وقد ظهر ذلك واضحا عندما خرج أهلها رجالا ونساء الى مشارفها وهم فرحون بعد أن علموا بالخبر لاستقبال الرسول عند قدومه (١) .

وضع الرسول فى المدينة أساس الحضارة الانسانية الجديدة النابعة من الدعوة الاسلامية خاتمة الشرائع السماوية ، وتتلخص هذه المبادىء بصورة واضحة فيما روى عن بن على بن أبى طالب عندما سأل رسول الله عن سنته فقال (المعرفة رأسمالى ، والعقل أصل دينى والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى والطاعة حسبى ، والجهاد خلقى ، وقرة عينى فى الصلاة (٢) .

---

(١) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ، ص ١

(٢) د / محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

فقد زاد عدد المسلمين فى المدينة ، وانقلبت مخاوف المهاجرين أمنا لدين الحق ، فرضت الزكاة ، وطبقت الحدود ، وفرض الصيام ، واقيمت الصلاة جهرا بعد أن يلقى فى أذن الحياة نداؤها - وأصبح المسلمون قوة مبعثها العزيمة الصادقة والتضحية فى سبيل الايمان الذى غمر اعماق قلوبهم (١) وبأن الدين لله وحده والعبودية له وحده والناس أمام وجهه الاكرم سواسية وليس لانسان على إنسان سيادة ، لان حجر الأساس فى الاسلام هو الاخاء الإنسانى ، والمرء لايكمل ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (٢) .

فى المدينة نزلت آيات تشريع كثيرة بالاضافة الى آيات أخرى تضمنت قواعد لضبط السلوك التى مثلت القانون الاسلامى المدنى والجنائى من أجل تنظيم حياة المسلمين العامة والسياسية فى كل مكان وعلى طول الزمان (٣) .

عقب دخول الرسول المدينة التقت الاديان الثلاثة حيث كان ضمن سكان المدينة يهود ومسيحيون ، ولذلك التقوا مع

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١١٢

(٢) د /محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ص ٤٦

(٣) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ص ١١

المسلمين وكونوا أعظم مؤتمر إنسانى هدفه غاية روحية بحته ، وقد عقدت بين محمد عليه الصلاة والسلام واليهود أول معاهدة فى الاسلام من أجل أن يسود بينهم الود والمحبة والتحالف ضد أى عدو يهاجم قوات أحدهم - كما ارتبط بعلاقات طيبة مع المسيحيين وحرص على سلامة اقامتهم ، وفى أحد المرات طلبوا منه أن يبعث اليهم رجلا يحكم بينهم بالعدل فى أشياء اختلفوا عليها فى أقوالهم ولبى الرسول طلبهم ، وبعث اليهم أبا عبيده بن الجراح ليقضى بينهم فيما اختلفوا فيه - ولذلك قام الاسلام وتأسس منذ بداية العهد على مبدأ حرية العقيدة (١) .

وبعد أن قويت شوكة الاسلام وجمع حوله مجموعة لايستهان بها من المؤمنيين الذين اسلموا بقلوبهم للحق والهداية ، واستطاع الرسول بمهارته وبقدرته العظيمة أن يجعل من المدينة موطنه الجديد وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل فى سائر أنحاء بلاد الحجاز (٢) اتجه بقوة وعزيمة مخلصة نحو خطوة هامة لتدعيم الاسلام وتثبيت أركانه وهى مقاومة

---

(١) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ص ٢٣٥

(٢) جوستاف أ . فون جرونيباوم ، حضارة الاسلام ، جامعة شيكاغو ١٩٥٣ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة د /عبد الحميد العبادى القاهره ١٩٥٣ ، مكتبة مصر ، ص ١٦ ومابعدها .

الكفر واضطهاد المسلمين ، فوجه ضربات الى قوافل المشركين من أهل مكة انتصافا منهم لكفرهم ، وعلى ماقاموا به من اعمال العذاب للمسلمين وتشريدهم من ديارهم ، ثم بقوة وعزيمة انتصر بجيش المسلمين على قواتهم بعد أن كونوا ائتلافا لمهاجمة المدينة ولم يفلحوا ، وبعد ذلك أصبح السبيل ممهدا لعودته بالمهاجرين ظافرا الى مكة ، فعاد ودخلها مكرما معززا عام ٦٣٠ ميلادية (١) .

وبعد دخول المسلمين مكة اقتنع العرب بالاسلام حيث وجدوا فيه الحق والهداية على أسس سليمة قوامها العدل والمساواة بين جميع البشر في الحقوق والواجبات فأخذوا يدخلون في الايمان بقلوبهم أفواجا - وتوالت على الرسول الوفود من أنحاء شتى في الجزيرة العربية مثل وفد بني تميم ، ووفد الاشعريين ، وبني كعب ، وبني همدان ، ودوس ، ونجران ، الذين جاءوا ليدخلوا في الاسلام ويبايعوا الرسول عن رضى واقتناع لا عن خوف وارهاب (٢) .

وبذلك انتشر الاسلام في الجزيرة العربية وأسلم أهل الحجاز جميعهم وشاع فيهم نور الثورة الانسانية للفكر الاسلامي واحبطوا بسلوكهم القويم وعزيمتهم الصادقة كل محاولات الفتن والاضطرابات

---

(١) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٤٥

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين . الطبعة الثانية . أغسطس ١٩٥٧ - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . بيروت ، لبنان . ص ٢٦

التى حاول الكفار وبعض اليهود الذين خرجوا عن العهد والغير ممسكين على دينهم أثارتها ولم يفلحوا ٠

وبهذا الانتصار اصبح الاسلام دينا ودولة فى هذه المنطقة ودوت مبادئه الإنسانية فى أسماع جميع شعوب العالم فى ذلك الوقت (١) ٠

وقد بدأ الرسول بعد ذلك مرحلة تاريخية هامة فى سير العلاقات الدولية الاسلامية للارتباط والتآخى مع كافة شعوب العالم على السلام والمحبة وعلى نموذج من المثل والمبادىء النابعة من أصول الدعوة الاسلامية (٢) ، التى تجعل من شعوب كافة الأمم أمة إنسانية واحدة بأساس قائم على حرية العقيدة والعدل والمساواة بين الجميع (٣) - ويقول ابن هشام بن أبى بكر الهذلى أن رسول الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته فى عام صلح الحديبية ، وقال (أيها الناس ، ان الله ، قد بعثنى رحمة للناس كافة فلاتختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم) فقال أصحابه وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ، قال (دعاهم الى الذى

---

(١) د /محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ص١٥

(٢) فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص١٧٣

(٣) د /بطرس بطرس غالى ، التنظيم الدولى ، مرجع سابق ص٥١

دعوتكم اليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا ، فرضى وسلم ، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل) ثم ذكر لهم أنه سيبعث الى هرقل وكسرى والمقوقس والحارث الغسانى ملك الحيره والحارث الحميرى ملك اليمن والنجاشى ملك الحبشه رسل ليدعوهم الى الاسلام ، وأمانة وصدق الرسول فى حمل الرسالة التى كلفه الله سبحانه وتعالى بها لنشرها على العالم أجمع - بعث من منطلق الأخلاق والمحبة رسلا من أصحابه وحمل كل منهم كتابا الى هؤلاء الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام (١) مثل :

١- أرسل دحية بن خليفة الكلبى الى هرقل امبراطور الروم الشرقيين بالقسطنطينية برسالة نصها كما تقرر المصادر التاريخية على النحو التالى :

(بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم

سلام على من اتبع الهدى - أما بعد ..

فأننى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين (x) يا أهل

---

(١) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ، ص ٣٧١

(x) الاريسيين ، معناها الراعايا ، ويراد بها فى هذا الخطاب أنه المسئول عن اثم رعيته لصده اياهم عن الدين الاسلامى

الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ، ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا باننا مسلمون) (١) وتشير المصادر بأن دحية بن خليفة الكلبى حمل هذه الرسالة وسافر بها الى هرقل ، وتقابل معه فى مدينة حمص أثناء ذهابه الى بيت المقدس ليحج ويضع الصليب المقدس فى مكانه بعد أن استرده من الفرس الذين استولوا عليه أثناء غزوهم لبيت المقدس عام ٦١٥م وذلك عقب انتصاره العظيم عليهم عام ٦٢٦ ، ويؤكد المؤرخون ومن بينهم بتلر Butler الالمانى وبيورى Bury الانجليزى أن هرقل قد تسلم الرسالة من دحية وأمر المترجمين أن يتلوها عليه — وأنه عقب أن سمع مضمونها لم يغضب ولم تثر ثائرته ، ولم يفكر فى ارسال جيش يغزو بلاد العرب وانما رد على الرسالة ردا حسنا ، لدرجة جعلت بعض المؤرخون يزعمون خطأ أنه قد أسلم (٢) .

٢— الى المقوقس ملك مصر أرسل حاطب بن أبى بلتعه بكتاب موقع عليه بخاتم (محمد رسول الله) ، وأن المقوقس عظيم قبط مصر قد استقبل حاطب وتسلم منه الرسالة ، وعقب اطلاعه

---

(١) د /عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ، ص ٩٣

(٢) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ، ص ٣٨

قد تلقيا الرسالة وعلما ما بها ، وأن أحدهما قد رد عليها ردا حسنا مظهرا استعداده للاسلام ولكنه اشترط تنصيبه حاكما بعد اسلامه ، وأنه عقب وصول الرد الى النبى واطلاعه عليها لعنه لمطامعه. وتشير المصادر التاريخية أيضا أن هذا الملك قد علم رد الرسول عليه وعدم موافقته على هذا الشرط وأنه لم يلبث الا عاما واحدا ثم مات بعد ذلك (١) .

٦- وبعث النبى الى ملوك حمير كتابا مع ابن أمية المخزومى الذين قاموا بالرد عليه ردا حسنا ، ويعلنون اسلامهم (٢) وقام الرسول بالرد عليهم بكتاب قال فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال ، اما بعد ..

فانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو ، فأنه قد وقع بنا رسولكم منقلبا من أرض الروم ، فلقينا فى المدينه ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ماقبلكم ، وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه ، وأن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقتم الصلاة وأتيتم الزكاة وأعطيتم من الخمس خمس الله وسهم

---

(١) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ، ص ٣٨٢ .

(٢) فضيلة الشيخ محمود شلتوت، الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، طبعة ١٩٥١ . القاهره . مطبعة الازهر الشريف . ص ٦٦

رسوله وصفيه ، وما كتب على المؤمنين من الصدقه من العقار عشر ما سقت العين والسماء ، وعلى ماسقى العزب نصف العشر ، وأن من الابل الاربعين ابنه لبنون وفى ثلاثين من الابل ابن لبون ذكر ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاه ، وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشتركين فأنه من المؤمنين له ما لهم ، وعليه ماعليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فأنه لايرد عنها ، وعليه الجزيه على كل حال ذكرا أو انثى حرا أو عبدا ، دينار واف من قيمة المعافر ، أو عوضة ثيابا فمن أدى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان له ذمة الله ورسوله ، ومن منعه فانه عدو الله ورسوله - فان رسول الله محمدا النبى أرسل الى زرعة بن ذى يزن انه اذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيرا ، معاذ بن جبل ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة ، وأصحابهم وأن أجمعوا ماعندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وأبلغوا رسلى ، وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا)

ويعد هذا الخطاب معاهدة من أهم المعاهدات التى حفظتها لنا المصادر الاسلامية حيث ظهر فيه بوضوح خطوط الدعوة الاسلامية وأسسها كما بين اطار سير العلاقات بين المدن أو المجتمعات الاسلامية حيث وضح ما لهم وماعليهم للتعاون كشركاء فى الاسلام (١) .

---

(١) د /فتحية النبراوى ، د /محمد نصر مهنا ، د /درية شفيق بسيونى تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ ، ٣٥

٧ـ وأرسل النبى كتابا مع عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى أنو شروان ملك الفرس، الذى بمجرد أن وصله ، وتلى عليه مضمونه ، بأن محمدا عبد الله ورسوله يدعوه الى الاسلام استشاط غضبا ومزق الكتاب (١) ، وكتب الى بازان عامله على اليمن يأمره بأن يبعث اليه برأس هذا الرجل الذى بالحجاز ، ولما علم النبى ما قاله كسرى وما فعل بكتابه قال (مزق الله ملكه) وبالفعل تحقق بأمر الله هذا حيث هزمه هرقل امبراطور القسطنطينية هزيمة ساحقة وحطم ملكه ، وقتل بعد ذلك وعين بدلا منه ابنه شيرويه ملكا للفرس، وأثناء ذلك أوفد بازان رسله الى محمد وهو لايعلم ما حدث لكسرى ، فما على الرسول الكريم الا أن استقبل رسل بازان وأخبرهم بما حدث لكسرى وطلب منهم أن يكونوا رسله الى بازان يدعونه الى الاسلام ، ولما رجع رسل بازان وأبلغوه رسالة النبى كان سعيدا بأن يسلم وأن يبقى عامل النبى صلى الله عليه وسلم على اليمن ، وكان انضمام بازان لمحمد نقطة ارتكاز قوية للاسلام فى جنوب شبه الجزيرة العربية بعد ذلك (٢) ٠

٨ـ وعندما أرسل النبى معاذ بن جبل الى اليمن مع قوات من المسلمين لدعوة أهلها الى الاسلام أوصاه وقال له (لاتقاتلوهم حتى تدعوهم فان أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدؤكم

---

(١) على على منصور، الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام ، طبعة ١٩٦٢ ٠ القاهره ٠ دار القلم ٠ ص ٢٨٤ ٠

(٢) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ، ص ٣٨١

فان بدوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ، ثم أروهم ذلك ، وقولوا لهم " هل الى الخير من هذا السبيل " فلان يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس وغربت(١) .

٩- وبعث رسول الله الى نبى كعب خالد بن الوليد لكى يدعوهم الى الاسلام ، وجاء رد خالد بن الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير فيه أن بنى كعب قد أسلموا - وأنه يقيم معهم- يأمرهم بما أمره الله ورسوله وينهاهم عما نها عنه الله ورسوله ، ويعلمهم تعاليم الاسلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعندما وصل كتاب خالد بن الوليد الى رسول الله رد عليه بكتاب قال فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبى رسول الله الى خالد بن الوليد

سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد ..

كتابك جاءنى مع رسولك يخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا الى ما دعوتهم اليه من الاسلام ، وشهدوا الا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله

---

(١) د/محمد رأفت عثمان ، الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص١١٧

وأن قد هدا هم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (١) .

١٠ - وقد بعث النبى كتابا مع عمرو بن العاص السهمى الى جيفر وعباد بن الجلندى الازديين ملكى عمان يدعوهما الى الاسلام ، الا أنهما عقب استلامهما كتاب النبى وعلمهما ما به رفضا الدخول فى الاسلام ، وأرسلا الى النبى ردا فاحشا مثل ما فعل كسرى ملك الفرس ، ولذلك كان مصيرهما مثل مصيره ، أما الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام ، فقد استلم الرسالة التى بعثها اليه النبى مع شجاع بن وهب الاسدى من أجل دعوته للدخول فى الاسلام ، الا أنه طبقا لما تشير اليه بعض المصادر التاريخية قد اكتفى بالصمت ولم يرسل ردا على كتاب النبى (٢) .

وبذلك فقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم رسلا الى هؤلاء الملوك والامراء ، وأنه لم يثبت من المصادر التاريخية أن أحدا من رسل محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) د /فتحية النبراوى ، د /محمد نصر مهنا ، د /درية شفيق بسيونى تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ٣٥ ، ٣٦

(٢) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ص ٣٧٢ ، ٣٨٢

قد قتل أو سجن ، بل عادوا إليه كلهم بما حملوا من رسالات فى أكثرها رقة وعطف وفى بعضها غلظه وشدة (١) ، رغم أن معظم هؤلاء الملوك والامراء قد خامرتهم الدهشة من شجاعة النبى وقوة عزيمته وهو يدعوهم الى الاسلام وطاعة الله ورسوله ـ وهو رجل بسيط دون أن يخشى نفوذهم وقوة سلطانهم (٢) ، فلقد تلقى الملوك رسالة الدين الجديد من غير أن يتألبوا على صاحب هذه الدعوة ، كما لم يتضامنوا على سحقه وذلك لان حالة العالم فى ذلك الوقت كانت تحتاج الى الهدى والاصلاح لان المادة قد طغت على الروح ، واصبح الترف غاية الحياة وأصبحت الامم تقتتل حبا فى الظفر ، وارضاء لمطامع ملوكها وساداتها ، أو طمعا فى مزيد من الترف تريد أن تبلغه لتستمتع به ، ولذلك لم يلبث الناس حين سمعوا دعوة جديدة للايمان فيها بساطة وفيها قوة ، وفيها مساواة أمام رب واحد ، وأن من آمن بها وتاب يقوى على الاضطهاد ، وعلى الظلم ، وعلى التعذيب ، وعلى كل ما فى الحياة المادية من قوى ، دخلوا أفواجا الى الاسلام وقلوبهم مبشرة بالخير من هذا الايمان اليقين وغير مبالين بما يحدث لهم من بطش أو عذاب من ملوكهم أو أمرائهم فازداد المسلمون وازداد ايمانهم قوة وعزيمة (٣) .

---

(١) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ، ص ٣٨٣

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ، ص ٢٥

(٣) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ، ص ٣٨٣

وبهذا انتشر الاسلام فى الجزيرة العربية كلها وظهر نور الايمان بأهلها على أسس إنسانية لاتقوم على الضعف والاستكانة ، وانما على الصبر والشجاعة والثقة العقلية الخالية من الشك والغموض والتعقيد (١) ، وبالتالى توحدت قوة العرب فى اطار دولة اسلامية قوية ـ بعد أن كانوا قبائل متنافرة ، وجماعات متناثرة على أرض الجزيرة العربية مفككة الاوصال ، ومقطوعة الروابط وأصبح لهم نظام سياسى واقتصادى واجتماعى واحد بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم (٢) • الذى جاء بدستور السماء (القرآن الكريم) وسنته الطاهره لينظم أركانها بعد أن شيد مبادئها نحو الحق والايمان •

لقد أسس محمد عليه الصلاة والسلام دولة عربية قوية قائمة على العدل والمساواة والرحمة ضمت فى شعبها المسلمين من العرب والاعاجم (٣) ، مثل سليمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، وهم ليسوا عرب الأصل ، وقد خطب الرسول فى ذلك بالقول (أيها الناس أن الرب واحد ،

---

(١) فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، مرجع سابق ، ص ٢٤

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ، ص ٢٤

(٣) فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب مرجع سابق ، ص ١٧٤

والاب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى (١) ، ومن العوامل الهامة التى جعلت اشخاصا غير عرب يسلموا وينضموا مع الشعب العربى المسلم تحت لواء هذه الوحدة ، هو قيام الدولة الاسلامية على مبادئ إنسانية تنبذ فكرة السيطرة والخضوع فى كل الشئون الدينية والدنيوية ، ففى نطاق العقيدة الدينية لم تقم ثمة سلطة وسيطة بين الخالق والمخلوق ، - فالمخلوق يتصل بالخالق مباشرة دون وساطة من أحد ، وفى نظام شئون الدولة قام الحكم فيها على العدل والشورى والمساواة (٢) .

وفى نطاق العلاقات الدولية بين الدولة الاسلامية التى أسسها رسول الله والدول الأخرى ، قامت على أساس التعاون الإنسانى الكامل القائم على المحبة والسلام والأخوة - لان الاسلام يجنح للسلم لا للحرب، وأنه لايجيز قتل النفس لمجرد انها لاتدين بغير الاسلام ، ولايبيح للمسلمين الاعتداء على حقوق غير المسلمين (٣) ، كما لاتوجد آية فى القرآن الكريم تدل أو تشير على القتال فى الاسلام لحمل الناس على اعتناقه ، بل سبب

---

(١) د /محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ، ص٥٨

(٢) د /حامد سلطان ، الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام ، مرجع سابق ، ص٦٣ .

(٣) فضيلة الشيخ محمد ابوزهرة ، نظرية الحرب فى الاسلام ، مقالة فى المجله المصرية للقانون الدولى العدد ١٤ عام ١٩٥٨ ، ص٥٤ ومابعدها .

القتال واضح ينحصر فقط في رد العدوان وحماية الدعوة وحرية العقيدة ، والايات التي تشرع القتال الغرض منها هو رد جوانب الطمع والاستئثار واذلال الضعفاء ، والسعي نحو تحقيق السلام والاطمئنان وتركيز الحياة على موازين العدل والمساواة (١) ، وكانت تعاليم الرسول دائما تؤكد على ذلك بأن على المسلمين أن يحسنوا معاملة أهالي الاقاليم ، لايتعرضوا للمدن والقرى الأمنه ، والا يحرقوا زروعا ولا يدمروا بيعا ، وأن يحترموا رجال الدين ، والا يسيئوا معاملة الاطفال أو النساء أو الشيوخ الغير مسلمين وبذلك فالعلاقات الدولية الاسلامية منذ بدايتها بنيت على طابع إنساني مستمد من مبادىء الاسلام التي تجعل الروابط بين المسلمين والشعوب الأخرى ضرورية لقيام الوحدة الإنسانية على المحبة والسلام والأخوة (٢) ، قال تعالى (ولا تعتدوا أن الله لايحب المعتدين) (٣) ، (وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (٤) .

---

(١) فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب ، مرجع سابق ، ص٣٧

(٢) د /جعفر عبد السلام ، مبادىء القانون الدولي العام ، مرجع سابق ص٥٠

(٣) سورة البقرة آية ١٩٠

(٤) سورة المائدة آية ٢٠

وبعد حجة الوداع التى أصطحب فيها الرسول عشرات الالوف من المسلمين من أهل نجد واليمن ، وكل بقاع المدن الاسلامية فى الجزيرة العربية – عاد الى المدينة واشتد عليه المرض الا أنه كان يقاوم ويخرج للمسجد ليصلى بالناس ، ولما فرغ من آخر صلاته بالمسجد ، أقبل على الناس رافعا صوته حتى سمعه من كان خارج المسجد ، قال (أيها الناس ، سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وانى والله وما تمسكون على بشئ ، انى والله لم أحل الا ما أحل القرآن ولا أحرم الا ما حرم القرآن ولعن الله قوم أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، وعقب ذلك عاد الى منزله وأخذ يستذكر حياته منذ بعثه الله هاديا ونبيا ، وما لاقى فيها ، وما أتم الله عليه من نعمته وما شرح به صدره من فتح قلوب العرب لدين الحق ، ثم نظر الى زوجته عائشة رضى الله عنها وقال اللهم أعنى على سكرات الموت – وفاضت روحه الى الرفيق الاعلى وكان ذلك فى يوم ٨ يونيو عام ٦٣٢م الموافق عام ١١ هجرية (١) .

وبذلك توفى محمد عليه الصلاة والسلام بعد أن أرسى قواعد الاسلام وكون للمسلمين دولة ذات قوة إنسانية جامعة

---

(١) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ، ص٤٧٦

فى بلاد العرب على أسس الايمان والعدل والمساواة (١) ، ولا ينقصها من الدين والمبادئ شيء طبقا لقوله عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ، مات رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن أدى الامانة التى كلفه بها الله سبحانه وتعالى بقوة وعزيمة وصدق وجهاد (٢) قال تعالى ((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين)) (٣) .

---

(١) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ، ص ٣٢

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١١٢

(٣) سورة آل عمران ، الاية ١٤٤

الفصل الثاني

الدولة العالمية الاسلامية

الفصـل الثانـى

الدولة العالمية الاسلاميـــة

اختيـر بعـد وفـاة النبـى صلـى اللـه عليـه وسلـم أبو بكر الصديق خليفـة للمسلميـن ، وعقـب توليـه أمـور الخلافـة رأى ضـرورة تنفيـــذ مـا كـان يفكـر فيـه النبـى قبـل وفاتـه نحـو توطيـد الدعوة الاسلاميـة فى الشـام ، وحمايـة المسلميـن المقيميـن فيـه مـن الاضطهاد والتعذيب والقتـل ، حيث كـان الرسـول قـد كلـف اسامـة بـن زيـد بتجهيـز جيـش المسلميـن للسفـر الـى فلسطيـن للقضـاء علـى الكفـار الذيـن جلـوا عـن شبـه الجـزيـرة العربيـة وسكنـوا فيهـا ، وأخـــذوا ينـاوئـون أهلهـا ، الا أن مرضـه الـذى اشتـد عليـه بعد حجة الوداع قـد حـال دون تنفيـذ هـذا الأمـر بعـد أن استعـد اسامة والجيـش معـا للجهـاد والسفـر الـى فلسطيـن (١) .

ولهذا قـام الخليفـة أبو بكـر الصديق باعـداد جيشيـن من جنـود المسلميـن للسفـر الـى الشـام لتأميـن الدعـوة الاسلامية ودعـم نشرهـا وحمايـة المؤمنيـن مـن الكفـار وبطـش الـروم والفـرس، الا أنـه توفـى قبـل أن يتـم تنفيـذ ذلـك ، واختيـر مـن بعـده عمـر بـن الخطـاب رضـى اللـه عنـه خليفـة للمسلميـن الـذى استأنـف المسيـرة التى كـان النبـى وابو بكر الصديق يريـدان تنفيذ هـا ، وقـام باعـداد جيش قـوى

---

(١) د /محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، مرجع سابق ، ص٤٧٨ ، ٤٧٩

من المسلمين مجهزا بكل المعدات والقادة الاذكياء وأمرهم بالزحف الى الشام لتخليص أهلها من الظلم والفساد ونشر نور الاسلام للحق والهداية (١) .

وعندما علم هرقل امبراطور الرومان بهذا الزحف جمع كل جيوشه من أجل التصدى لقوات المسلمين ومنعهم من تنفيذ ذلك حيث كانت الشام بأسرها تخضع لسلطانه ، الا أنه لم يستطع أن يوقف هذا الزحف ، حيث تقابلت جيوشه مع جيش المسلمين على نهر اليرموك فى أغسطس عام ٦٣٦ م ، ودارت بينهما معركة طاحنة ولم يقدر هرقل وكل قواته التى تزيد عددا أن يقاوم قوة المسلمين فى القتال فحلت به وجيوشه هزيمة ساحقة ، ودمرت كل قواه (٢) .

وبعد الانتصار العظيم الذى حققه جيش المسلمين على الرومان تقرر مصير الشام أمامهم ، فقاموا بفتح انطاكية فى نفس العام ثم تمكنوا فى العام التالى سنة ٦٣٧ م من فتح مدن عكا وصور وصيدا وبيروت الساحلية وقاموا بعقد معاهدات صلح مع أهلها أمنوهم على حياتهم وحرياتهم وعباداتهم ، كما

---

(١) د /محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ، ص ١٠١ ومابعدها

(٢) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ، ص ٣٩

تمكنوا بقيادة خالد بن الوليد من فتح دمشق ثم حمص التى طلبت بعد فترة وجيزة من اعلان الحرب عقد صلح مع خالد بن الوليد (١)، ثم زحفت جيوش المسلمين على القدس، الا أن بطريق بيت القدس قد طلب عدم تسليم المدينة الا ليد الخليفة عمر بن الخطاب، وقد لبى طلبه وحضر عمر بن الخطاب فى عام ٦٣٨ م وقام باستلام المدينة بعد أن عقد مع أهلها معاهدة صلح ايلياء (بيت المقدس) واعطاهم فيها الامان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وبالا يكرهون على دينهم ، وشهد على هذا الصلح خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن ابى سفيان (٢) وقد احتفظت المصادر التاريخية الاسلامية بنصوص هذا الصلح وأشار بذلك الطبرى بأن عمر بن الخطاب صالح أهل ايلياء وكتب لهم الآتى : -

(بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان ، وأعطاهم أمانا لانفسهم ، وأموالهم ، ولكنائسهم

---

(١) د /محمد مصطفى شحاته الحسينى ، حسن أحمد الشاذلى ،العلاقات الدولية (فى الفقه الاسلامى) مرجع سابق ص ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) على على منصور ، الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام ، مرجع سابق ، ص٢٧٧

ولاتهدم ولا ينقص منها ولا من غيرها ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولايكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء أحد من اليهود ، وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فأنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، عليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فأنهم امنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن شاء رجع الى أهله فأنه لا يوخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ،وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية (١) .

وهذا الصلح كان على غرار صلح المسلمين لاهل مدن الشام ولكن أهميته من النواحى السياسية والادارية والتشريعية تعد على أساس أنه أول معاهدة يعقدها عمر بن الخطاب وأول معاهدة فى سجل العلاقات الدولية للخلفاء الراشدين (٢) ، والتى ظهر فيها المسلمون ما هو مأثور عنهم من التسامح الدينى وحرية العقيدة ، كما قام عمر بن الخطاب ببناء مسجدا

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك جـ ٣ ، دار الكتب المصرية ص ٦٠٩

(٢) د /فتحية النبراوى ، د / محمد نصر مهنا ، د / درية شفيق بسيونى تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص

كبيرا عرف بجامع عمر ليكفل لمسلمى بيت المقدس حرية العبادة ، وحتى لايتخذوا من أحد الكنائس مسجدا ويعتدوا على حقوق المسيحيين (١) .

وبعد ذلك زحفت جيوش المسلمين نحو قيساوية العاصمة الادارية للامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطه) وقاموا بحصارها حتى تمكنوا من فتحها عام ٦٤٠ م وأمنوا أهلها على حياتهم وأموالهم ، وفى أثناء ذلك تمكنت جيوش المسلمين من فتح العراق بعد أن هزموا الفرس هزيمة ساحقة فى معركة القادسية وأسقطوا عرش كسرى ودانت لاولياء الله جميع البلاد الفارسية (٢) .

وبهذ النصر العظيم أصبحت بلاد الشام والعراق بأسرها تحت رعاية الدعوة الاسلامية ، بعد أن كانت تخضع لسيطرة الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطه) التى انكمشت فى حدودها الضيقة بالقسطنطينية والامبراطورية الفارسية التى انهارت وأصبحت فى سجل دول العالم القديم (٣) .

---

(١) د /محمد كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص٩٦

(٢) فضيلة الشيخ محمد شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، مرجع سابق ص٦٨

(٣) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص٢٧

وعقب ذلك طلب عمرو بن العاص وهو أحد قادة العرب الاربعة الذين عملوا فى جبهة الشام وكان له الفضل الأكبر فى فتح فلسطين ومعاقلها من الخليفة عمر بن الخطاب أن يأذن له فى فتح مصر حيث كان عمرو بن العاص قائدا ذكيا ، وخشى أن يودى بقاء مصر فى أيدى الرومان الى تهديد مراكز المسلمين الجديدة فى الشام ، خاصة بعد أن لجأ الارطبون الحاكم البيزنطى لبيت المقدس الى مصر ، وأخذ يجمع الجنود ويحشد القوات تمهيدا للاغارة على المسلمين لاسترداد فلسطين وبعض بلاد الشام (١) ، الا أن الخليفة عمر بن الخطاب عقب أن علم بهذه الامور تردد فى الاجابة على عمرو بن العاص حيث خشى أن يفتح المسلمون جبهة جديدة فى مصر قبل أن تتوطد أقدامهم فى الشام ، كما رأى أن هذا التوسع فى بلاد حوض البحر الابيض المتوسط يتطلب ضرورة تملك المسلمين أسطولا كبيرا للدفاع عن شواطىء البلاد التى استقروا فيها ضد هجمات واغارات الروم المفاجئة ، وأن ذلك غير متوافر لديهم ، ولكن بعد أيام قليلة أدرك الخليفة عمر بن الخطاب مدى الخطورة التى يتعرض لها المسلمون فى الشام اذا ظلت مصر فى أيدى الروم ، فسمح لعمرو بن العاص بعد أن أثنى عليه لذكائه ووعيه السياسى أن يسرع بفتح مصر وجهز له أربعة آلاف رجل من جيش المسلمين (٢) .

---

(١) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص ٢٧

وأثناء ذلك كانت أحوال مصر تحت الحكم البيزنطي قد بلغت حدا شديدا من السوء ، فالحالة الاقتصادية كانت متدهوره للغاية بسبب قسوة الضرائب الباهظه التى جعلت بعض المزارعين يتركون أرضهم ، كما كان حكام مصر الرومان يعتبرون المصريون دائما الطبقة السفلى فى المجتمع التى تأتى بعد الرومانيين واليونانيين واليهود ، ففرضوا عليهم بقسوة أشد الالتزامات وحرموهم من أبسط حقوقهم الاجتماعية (١) .

ومع هذه الأوضاع كان المصريون يتعرضون أيضا للاضطهاد منذ اعتناقهم الديانة المسيحية فى بداية القرن الأول الميلادى واستمر حتى فترة حكم الامبراطور دقلدينوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥) ثم خفت حدته بعد أن اعترف الامبرطور قسطنطين الأول بالمسيحية عام ٣١٣ م وأصدر فى تلك السنة مرسوم ميلان الشهير الذى أطلق حرية العقيدة للمسيحيين ، ثم جاء الامبراطور ثيودسيوس فى أواخر القرن الرابع واعتبر المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية ، الا أنه بالرغم من ذلك لم يترك أباطرة القسطنطينية أقباط مصر يتمتعون بحرية العقيدة وحق التعبير عن رأيهم فى تفسير الأمور المتعلقة بالمسيحية ، وذلك على أثر الخلاف الذى حدث بين المسيحين فى القرن الخامس الميلادى حول

---

(١) فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ ومابعدها

تفسير طبيعة المسيح والذى أدى الى انقسامهم لمذهبين :
الاول ، قال أن للمسيح طبيعة واحدة (المذهب المونوفيزتى)
والثانى قال بأن للمسيح طبيعتان أحداهما آلهية والأخرى بشرية (المذهب الملكانى) .

وقد أجمع المصريون على اعتناق مذهب الطبيعة الواحدة فى الوقت الذى قرر فيه مجمع خلقدونية الدينى الذى عقد تحت اشراف السلطة الامبراطورية البيزنطية عام ٤٥١م ، الاخذ بمذهب الطبيعتين ، ونتيجة لتمسك المصريون بمذهبهم تعرضوا لموجة من الاضطهاد والتعذيب من جانب الاباطرة البيزنطيين من أجل أن يتركوا هذا المذهب ويعتنقوا مذهب الطبيعتين ، واشتدت فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادى حملات القسوة والاعمال الوحشية اللانسانية حيث كان يلقى ببعض المصريين أحيانا فى مواقد الحمامات العامة لتكون لحومهم وعظامهم وقودا لنيرانها (١) ، وبالاضافة الى هذه الأوضاع السيئة قام كسرى الثانى ملك الفرس بالاستيلاء على مصر بكل مدنها من الاسكندرية شمالا حتى أسوان جنوبا ٦١٦ م ، والحق بها الخراب والدمار حتى تمكن الرومان بقيادة هرقل من هزيمتهم فى عام ٦٢٩ م وطردهم من مصر ليستمروا فى السيطرة عليها واذلال وتعذيب شعبها (٢) .

---

(١) د / عبد الرحمن الرافعى ، د / سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ١٩٧٠ ، القاهره . دار النهضة العربية . ص ٢٢

(٢) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٥٠٠

وقد أدى ذلك الى تصاعد كره المصريين للحكم الرومانى وتزايد عدائهم لهم ، وقاموا بثورات عارمة من أجل التخلص منهم ، وخاصة فى الوقت الذى اتجه فيه عمرو بن العاص يشق الصحراء الشرقية فى طريقه الى الدلتا عام ١٨ هجرية الموافق ٦٣٩ ميلادية (١) ، حيث سلك الزحف من قيسارية على شاطىء فلسطين الى مدينة العريش أول حدود مصر ومكث بها للاحتفال مع جنوده بعيد الاضحى ، ثم اتجه الى بلبيس وعندما اقترب من حصن بابليون (الموقع الفريد على مدخل الوجهين البحرى والقبلى الذى أقامه الرومان لحماية القاهرة ومدخل مصر) ، شاهد جموعا ضخمه من البيزنطيين الذين تحصنوا وحشدوا كل مالديهم من قوة عسكرية ، فأحس بما سيعانيه من مقاومة فأرسل الى الخليفة عمر بن الخطاب مستنجدا به ، وطلب منه التعزيز بالقوات والسلاح ، فأمده على الفور بأربعة آلاف مقاتل قوى فيهم رجال الواحد منهم بألف رجال ، وبعد أن وصلت هذه التعزيزات واكتملت حشود المسلمين ، أحس تيودور القائد العام للجيوش البيزنطية فى مصر فى ذلك الوقت بخطورة الموقف وأن قوة المسلمين ليست مجرد غارة من تلك الغارات التى كانت تتعرض لها مصر من وقت لآخر ، فحشد كل قواه وضاعف من قوة دفاعه بحصن بابليون الامر الذى جعل المسلمين يلاقون مقاومة عنيفة استمرت عدة

---

(١) توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم ، دار النهضة العربية ، القاهره . ١٩٥٧ . ص ١٤٢

شهور ، وعندما طال القتال حاول المقوقس الحاكم البيزنطي لمصر عقد صلح مع المسلمين ، الا أنه لجأ الى اسلوب التهديد والترغيب من خلال مفاوضاته مع المسلمين ، اذ قال لهم بأن استمرار حصارهم سيزيد حالتهم سوءا والافضل لهم الصلح على أساس أن يأخذ كل رجل من المسلمين مبلغ دينارين وعمرو بن العاص مائة دينار والخليفة عمر بن الخطاب الف دينار ، ولكن عمرو بن العاص رفض هذا العرض ، وترك للمقوقس اختيار حل من ثلاثة حلول وهي (الدخول في الاسلام ، وأما الجزية ، واما القتال) (١) .

وخلال هذه المفاوضات التي استمرت بين الطرفين أدرك المقوقس اصرار المسلمين على تحقيق غرضهم ، وعدم استعدادهم للمساومة فأضطر للاستسلام ، ووافق على مبدأ دفع الجزية وتسليم المسلمين حصن بابليون ذا الموقع الهام بعد أن اشترط شرطين .

أولا : أن تترك للروم حرية الاختيار بين قبول شروط الصلح أو الخروج من أرض مصر .

ثانيا : أن تبقى الكلمة الاخيرة في الصلح للامبراطور هرقل فان رفض عادوا للقتال .

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١١٣

ويفهم من ذلك أن مصر وشعبها بعيدون كل البعد عن شروط هذا الصلح حيث أن البيزنطيين يتساومون على مصيرهم دون اعتبار لهم (١) .

وقد أرسل المقوقس هذا الصلح الى هرقل الذى أسرع بالرد عليه يؤنبه ويطلب منه القتال ، وفى أثناء ذلك كان عمرو بن العاص قد سيطر على مدينة الاسكندرية وأقام فيها حصونا ، وبالتالى تمكن المسلمون من الصمود والسيطرة عندما اشتبكت معهم القوات البيزنطية فى معارك عديدة (٢) ، ويقال أن هرقل نفسه قد استعد للخروج الى الاسكندرية لطرد المسلمين لولا أن دهمه الموت فى أوائل عام ٦٤١ م ، ومع استمرار المعارك انهارت القوات البيزنطية وسيطر المسلمون على مدينة الاسكندرية كما سيطروا على دمنهور ومنوف وسخا والفيوم — وبلاد أخرى فى اقليم الدلتا (٣) ، وكان المصريون قد وقفوا موقفا سلبيا من جهود البيزنطيين فى الدفاع عن مصر ، فلم يتحمسوا فى الاشتراك فى المقاومة حيث لم يروا فى المسلمين خطرا يهددهم ، وقد أشار حنا النقيوس وهو مسيحى مصرى فى أكثر

---

(١) د /عبد الرحمن الرافعى ، د /سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٥

(٢) جاك س . ريسلر . الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٤٠

(٣) د /عبد الرحمن الرافعى ، د /سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٦

من موضع بأن (أقباط مصر لم يلتزموا الموقف السلبي فقط بل أن غالبيتهم كانوا يهاجمون جنود الروم ويجردونهم من أسلحتهم ، ثم يسلمونها لجيش المسلمين تعبيرا عن كرههم للبيزنطيين ، وبأنهم وجدوا في الفتح العربي الاسلامي فرصة لرفع الاضطهاد عنهم) . حيث كانت العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين اساسها السلام في المعاملة والتعاون الحسن في تبادل المنافع بينهما (١) .

وعندما أدرك المقوقس تعذر استمرار قواته في المقاومة واستحالة الدفاع عن مصر أمام الفتح الاسلامي اتفق مع عمرو بن العاص على الصلح النهائي والتسليم ، وأبرم معه معاهدة الاسكندرية في نوفمبر عام ٦٤١م الموافق عام ٢١ هجرية ، والتي تعتبر من أهم المعاهدات الدولية التي شهدها القرن السابع الميلادي حيث حفظت المصادر العربية نصوصها عن المؤرخ المصري يوحنا النقيوس الذي عاصر ظروف انعقادها - وقد اشتملت هذه المعاهدة على شروط عبرت بصورة واضحة عن طبيعة العلاقات الدولية الإنسانية التي عرفها المسلمون ومارسوها مع غيرهم من الشعوب الأخرى (٢) ومضمونها على النحو التالي :

---

(١) د /بطرس بطرس غالي ، د /محمود خيري عيسى ، المدخل في علم السياسة ، مرجع سابق ص ١٧٠

(٢) د /فتحية النبراوي ، د /محمد نصر مهنا ، د /درية شفيق بسيوني تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ٤٣

١ ـ أن يدفع الجزية كل من دخل العقد (والجزية في الاسلام لم تكن عوضا ماليا عن دم أو عقيدة ، وانما هي علامة عن الرضا والولاء والكف عن الاذى والمشاركة في حمل اعباء الدولة ، ويقابلها الزكاة على المسلمين (١) .

٢ ـ أن تعقد هدنة مدتها احد عشر شهرا من اول شهر بابه القبطي الموافق ٢٨ من سبتمبر عام ٦٤٢ م .

٣ ـ أن يبقى العرب المسلمون في مواقعهم مدة الهدنة ولايسعون الى قتال بالاسكندرية كما يكف الروم عن القتال .

٤ ـ أن تزول مسلحة الاسكندرية في البحر ، ويحمل جنودها معهم متاعهم وأموالهم جميعا .

٥ ـ الا يعود جيش الروم الى مصر أو يسعى الى ردها (٢) .

٦ ـ أن يلتزم المسلمون بعدم أخذ كنائس المسيحيين ولايتدخلون في أى أمر من أمورهم الدينية .

٧ ـ أن يباح لليهود الاقامة في الاسكندرية .

---

(١) فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب ، مرجع سابق ص ٣٨

(٢) فليب حتى ، ادوارد جرجي ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

٨ـ أن يبقى الروم رهائن من قبلهم مائة وخمسين من جنودهم وخمسين من غير الجند لانفاذ العقد (١) ٠

وبمقتضى هذه المعاهدة سيطر المسلمون على ماتبقى من القطر المصرى وقاموا بترتيب شئون البلاد على أساس الود والمحبة بين أهلها واختاروا عاصمة جديدة قرب حصن بابليون القديم فظهرت فى الوجود مدينة الفسطاط لتكون المركز الرئيسى لسلطان العرب المسلمين مثلما حدث فى بلاد العراق بأن جعلت الكوفة مقر الحكم وقلعة العروبة (٢)، وقد شهدت مدينة الفسطاط ازدهارا كبيرا خلال القرون الثلاثة التى أعقبت انشاءها وكانت الحكمة من اختيارها بدلا من الاسكندرية التى كانت العاصمة فى عهد الرومان هو موقعها الفريد على نهر النيل عند ملتقى رشيد ودمياط، وقربها من بلاد العرب ، كما كانت توجد على الطريق التجارى بين الشرق والغرب فى ذلك الوقت (٣) ٠

وقد قام المسلمون باصلاح شئون مصر ورفع المعاناه عن شعبها والآلام التى ذاقوها فى القرون الماضية على يد الغزاة السابقين من اليونانيين والروم والفرس ، كما شيدوا نهضة ثقافية

---

(١) د /فتحية النبراوى ، د /محمد نصر مهنا ، د / درية شفيق بسيونى ، تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص٤٣ ، ٤٤

(٢) هـ ٠ سانت ٠ل ٠ ب ٠ موس ،ميلاد العصور الوسطى ،مرجع سابق ص٢٥٣

(٣) هنرى جونسون ، تدريس التاريخ ، نيويورك ١٩٤٠ ـ ترجمة د ٠ ابو الفتوح رضوان ٠ الطبعة الاولى ١٩٦٥ القاهره ٠ دار النهضة العربية ص٧٨

راقية لتنظيم صفوف المصريين وتلقيهم العلوم المختلفة ، ثم قاموا ببناء المساجد ، وكان أول مسجد تم بناؤه هو جامع عمرو بن العاص الذى شيد عام ٦٤١م ، ثم بعد ذلك شيدت جوامع أخرى كثيرة مثل جامع صالح بن على العباسى ، وجامع ابن طولون ، وكل هذه المساجد بالاضافة الى تخصصها فى ممارسة شعائر الاسلام كانت أيضا منبرا للعلم والثقافة أى كانت مجهزة للعبادة وللتعليم (١) .

وقد تجمع فى مصر بعد ذلك عدد هائل من العلماء والفلاسفة المسلمين الذين أسهموا بجد وأخلاص فى تطوير الفكر وأضاؤوا بما لديهم من علم الظلام الذى عاشت فيه مصر فى سنوات الظلم الماضية قبل الفتح الاسلامى (٢) .

ويقول المؤرخ سير توماس ارنولد عن الدعوة الاسلامية وفتح مصر بأن (أقباط مصر الذين ذاقوا الامرين فى العصر البيزنطى قد وجدوا فى الاسلام حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك ، وأن بعضهم قد أقبل على الاسلام حتى قبل أن يقوم عمرو بن العاص بفتح مصر بالكامل وأنه ليس هناك أى أدلة تثبت بأن اسلام بعض المصريين كان راجعا الى اضطهاد أو ضغط وقع عليهم من الحكام المسلمين (٣) ولذلك

---

(١) جاك س . ريسلر . الحضارة العربية ، مرجع سابق ، ص٢٥٧

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ، ص٢٧

(٣) توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، مرجع سابق ، ص١٢٤

غير صحيح الرأى القائل بأن بعض المصريين قد دخلوا الاسلام تهربا من دفع الجزية ، لان الجزية كانت مفروضة فقط على الرجال القادرين على القتال ، واعفى منها الاطفال والشيوخ والنساء الذين أسلم غالبيتهم . وكانت أشبه بضريبة دفاع مقابل حماية أرواحهم وممتلكاتهم واعفائهم من الخدمة العسكرية كما أن الجزية كانت دينارين فى السنة ، ولايعقل أن يكون هذا - المبلغ البسيط هو الذى دفع المصرى ليتخلى عن دينه وعقيدته السابقة ليدخل فى الاسلام (١) ، بالاضافة الى أن شعب مصر العنيد الذى رفض التخلى عن مذهبه ، وتحمل اضطهاد وعذاب أباطرة الرومان بصبر وشجاعة ، لايمكن أن يكون معظمه قد تخلى عن عقيدته ومذهبه واعتنق الأسلام لمجرد التهرب من دينارين يدفعها سنويا القادر من الرجال (٢) . كما أن الثابت كما أشار رحنا النقيوس بأن (انتصار المسلمين على الرومان فى فتح مصر جاء نتيجة قوة وعزيمة جيش المسلمين وقائدهم عمرو بن العاص من جانب ، ومساعدة المصريين الذين ذاقوا عنف واضطهاد الاباطرة والحكام الرومان من جانب آخر) ، وبالتالى لم يفرض الحكم الاسلامى على مصر دون ارادة شعبها ، وانما جميع

---

(١) فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، مرجع سابق ص٦٩

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص٢٧

- فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، مرجع سابق ص ٢٢٣

شعب مصر هو الذى ساند قوات المسلمين فى فتح بلادهم ليتخلصوا من الظلم والفساد ويتحقق لهم الحرية والمساواة فى ظل حكم الاسلام العادل (١) ٠

وقد اعتبر فتح مصر ذا أهمية بالغة حيث كان بداية لانتشار الاسلام بين شعوب بلاد شمال افريقيا ، كما كان لمصر فضل عظيم للدعوة الاسلامية من الناحية العملية والادبية بالاضافة الى أن مصر كانت الحلقة الوسطى لسلسلة الفتوحات الاسلامية المستمرة نحو المغرب ثم الاندلس (٢) - ولذلك بعد أن توطدت أقدام المسلمين فى مصر واستقرت أحوال البلاد ، وجد عمرو بن العاص من فتح المغرب ضرورة استراتيجية هامة لحماية حدود مصر الغربية من خطورة تواجد الروم فى الشمال الافريقى ، واحتمال أن يعاودوا هجومهم على مصر من هذا الطريق بالاضافة الى تأمين الدعوة الاسلامية ونشر نورها فى تلك البلاد مع تحقيق فوائد مادية وسياسية وجغرافية للعرب المسلمين كما أدرك عمرو بن العاص أن مقاومة تلك البلاد ستكون ضعيفة لانها كانت ولايات تابعة للقسطنطينية التى أصبحت عاجزه عن حمايتها بعد أن هلكت من حروب الفرس والفتوحات الاسلامية (٣) ٠

---

(١) د /عبد الرحمن الرافعى ، د /سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٥

(٢) د /محمد حسين هيكل ، تراجم مصرية وغربية ، القاهره ١٩٢٩ ٠ ص ١٧

(٣) هـ ٠ سانت ٠ ل ٠ ب ٠ موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٥٤

ولهذا كان أول قائد عربي وجهه عمرو بن العاص لفتح بلاد المغرب هو عقبة بن نافع الذي قاد جيوش المسلمين وبكفاح مشرف تمكن من فتح زويلة ثم استمر حتى تمكن من فتح برقة وأتم السيطرة عليها حتى توجه اليها عمرو بن العاص بنفسه وصالح أهلها على العلاقات الطيبة ، وعلى أن يدفعوا الجزية ، وكان مقدارها ثلاثة عشر الف دينار (١) ، ثم استمرت الجيوش الاسلامية في الزحف بقيادة عمرو بن العاص وتمكنوا من فتح طرابلس بعد مقاومة عنيفة من أهلها عام ٢٢ هجرية الموافق ٦٤٣ ميلادية ، ثم عاهدهم على العلاقات الطيبه وحسن المعاملة بشرط أن يدفعوا الجزية المقرره لحمايتهم (٢) .

كتب عمرو بن العاص أخبار هذا الفتح والنصر الى الخليفة عمر بن الخطاب الذي فرح بانتصار المسلمين ، الا أنه أرسل لعمرو بن العاص يأمره بعدم التقدم في البلاد الافريقية الشمالية حيث أن أهلها أفضل كفاءة في التدريب القتالي من

---

(١) د /خالد الصوفي ، تاريخ العرب في الاندلس، مرجع سابق ص ١١

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص ٢٨

جنود المسلمين بالاضافة الى كثرة عددهم ، مما يخشى أن يؤدى استمرار الفتح الى تدمير جيوش المسلمين ، وأطاع عمرو بن العاص الامر وعاد الى مصر واستمر بها حتى اغتيل عمر بن الخطاب وتولى الخلافة من بعده عثمان بن عفان الذى عزل عمرو بن العاص وعين بدلا منه ابن عمه عبد الله بن سعد بن أبى سرح عام ٢٥ هجرية الموافق ٦٤٦ ميلادية (١) .

توقفت الفتوحات الاسلامية لحدوث بعض الاضطرابات فى الدولة الاسلامية بسبب الخلافة وتعيين حكام المدن الا أنه سرعان ما استقرت الامور وأصدر عثمان بن عفان قراره عام ٢٧ هـ (٦٤٨م) بضرورة استمرار الفتح ، وتم تجهيز جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد وزحفوا الى الشمال الافريقى (٢) فى الوقت الذى تمكن فيه الرومان من السيطرة الكاملة عليه بقيادة الحاكم البيزنطى جريجوريوس الذى امتدت سلطته من طرابلس الى طنجه ، وعندما اقترب عبد الله بن سعد بجيوش المسلمين من مدينة سبيطله التى اتخذها (جريجوريوس) مقرا له لاهميتها الاستراتيجية دار قتال عنيف بين جيش الرومان بقيادة جريجوريوس وكان عددهم مائة وعشرين الفا

---

(١) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٤١ ، ٤٥

(٢) فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب مرجع سابق ص ٢٣٧ ومابعدها .

وجيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد وكان عددهم عشرين ألفا فقط، واستمر القتال بشراسة عدة أيام قاوم المسلمون بكل كفاح وبطولة أذ هلت جريجوريوس لد رجة جعلته يقرر بأنه سوف يزوج ابنته لاى جندى يستطيع قتل عبد الله بن سعد قائد جيش المسلمين ـ ولما طالت الحرب قام عبد الله بن الزبير الذى كان ضمن جيوش المسلمين بعرض خطة على القائد عبد الله بن سعد ـ تتلخص بأنه فى الوقت الذى يرتاح فيه الجنود الرومان بعد المعركة أثناء فترة الظهيرة يقوم فرسان المسلمين بالانقضاض عليهم من خلال كمائن تعد لهم، وقد وافق عليها عبد الله بن سعد وتم تنفيذها فى اليوم التالى، اذ بدأ القتال بين المسلمين والرومان فى الصباح كالعادة، وعندما حان وقت الظهر خفف الروم هجماتهم تمهيدا لايقاف القتال مثل مايحدث كل يوم غير أن جيش المسلمين تلقى اشارة بمتابعة القتال ساعة اخرى لاستنفاذ طاقة العدو وقدرته على القتال، وبالفعل استمر القتال هذه الساعة حتى أوقف بين الجانبين، وانسحب كل فريق الى خيامه ليستلقى ويستريح، وفى تلك اللحظة خرجت كمائن المسلمين التى كان بها جنود مستعدون بفرسانهم داخل الخيام وانقضوا على معسكرات الروم الذين فوجئوا بتلك الهجمه ولم يتح لهم الوقت الكافى لارتداء ملابسهم وحمل سلاحهم وركوب الخيل فلم يتمكنوا من المقاومة وسرعان

ما دبت الهزيمة بين صفوفهم خاصة بعد أن اشتبك عبد الله بن الزبير مع قائدهم جريجوريوس بنفسه وقتله (١) .

وبعد أن انتصر المسلمون على الرومان وقاموا بفتح مدينة سبيطله دب الزعر بين الروم الباقين فى البلاد الافريقية الباقية على أثر الهزيمة التى الحقت بجيوشهم ومصرع قائدهم (٢) ، فلجأوا الى المفاوضات ، وأرسلوا الى عبد الله بن سعد من يفاوضه حتى تم عقد صلح بين المسلمين والرومان على أساس أن يسود سلام وعلاقات طيبة بينهما بعد أن يدفع الرومان ثلاثمائة قنطار من الذهب وأن تكون المغانم التى حصل عليها المسلمون قبل الصلح لهم ، وأن يردوا ما غنموه بعد الصلح ، وبعد قبول الطرفين هذا الصلح سادت فترة سلام وتمت بينهما علاقات دولية عديدة طول الوقت الذى ظل فيه عبد الله بن سعد واليا على المدن الافريقية التى قام بفتحها حتى عزل عنها وعن مصر عام ٣٦ هـ (٦٥٧م) واتجه الى فلسطين وعاش فيها حتى مات بمدينة عسقلان (٣) ، وبعد ذلك ساءت العلاقات مرة أخرى بين الطرفين نتيجة للغزوات المتكررة من القوات البيزنطية

---

(١) د / خالد الصوفى ، تاريخ العرب فى الاندلس ، مرجع سابق ص ١٥ ومابعدها

(٢) جاك ٠ س ٠ ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٤١

(٣) د / خالد الصوفى ، تاريخ العرب فى الاندلس ، مرجع سابق ، ص ١٧

على المدن الاسلامية فقام القائد العربي معاوية بن جديج بفتح صقلية واشترك مع عبد الله بن مروان فى صد هجوم القوات البيزنطية التى أرسلتها القسطنطينية بقصد استرجاع السيطرة على الشمال الافريقى حيث تمكنوا من هزيمتهم وطردهم وأسقاط أهم حصونهم فى مدينة جلولا ، وسيطرت قوات المسلمين على أهم مناطق الشمال الافريقى ثم عاد بعد ذلك معاوية بن جديج الذى كان والى مصر وافريقيا عام ٤٦هـ الى الفسطاط وعين عقبة بن نافع واليا على الشمال الافريقى الذى قام بتشييد مدينة القيروان لتكون حصنا للمسلمين فى هذه المنطقة (١) - واستمر عقبة بعد ذلك فى فتوحاته حتى أقصى المغرب العربى (٢) ، الى أن قتله الزعيم البربرى كسيله بن لمزم الذى اشتبك غدرا بقواته مع جيش المسلمين عند منطقة تهوده ، جنوب جبال اوراس ، وكانت قواته تتراوح خمسين الفا فى حين قوات عقبه كانت قليلة ، وكان القتال مريرا قتل فيه جميع جنود المسلمين الذين دافعوا عن أنفسهم دفاعا بطوليا أمام هذا الجيش الكبير الذى استمر بعد ذلك فى الزحف حتى استولوا على مدينة القيروان عام ٦٣ هـ (٣) - الا أن المسلمين جمعوا كل قواهم بقيادة زهير ابن قيس العلوى وتمكنوا من سحق كسيله وجميع قواته

---

(١) على على منصور ، الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام ، مرجع سابق ص٣٣

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص٢٨

(٣) د /خالد الصوفى ، تاريخ العرب فى الاندلس ، مرجع سابق ص٢٩

وتحرير مدينة القيروان عام ٦٩ هـ وعادت هيبة الاسلام في تلك المنطقة .

في عام ٧٨ هـ استشهد زهير بن قيس العلوى في معركة برقة مع البيزنطيين وعين بعده حسان بن النعمان الغساني واليا على افريقيا من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان الذى أعطاه جيشا قويا مدربا ومنظما أعاد به هيبة الاسلام في هذه المنطقة مرة أخرى، وهزم الروم ونجح في ضم بعض البربر الى جيوش المسلمين ، وأنشأ مدينة تونس ، وجدد مدينة القيروان ، واعطى للمغرب طابعا عربيا اسلاميا لأول مرة .

وقد استمر في ذلك حتى عزل عن افريقيا وتولى من بعده موسى ابن نصير عام ٨٦ هـ (٧٠٥م) الذى عزم على فتح جميع أنحاء المغرب الأقصى (١) . فتوجه الى أقصى الساحل المغربي حيث توجد عدد من المدن الحصينه على رأسها طنجه وسبته التى لم يستطع عقبة بن نافع فتحها لدهاء حاكمها يوليان الذى تجنب الدخول في نزاع مسلح مع المسلمين ، عن طريق اظهار ولائه وخضوعه لهم ، بالاضافة الى قيامه في مرات عديده بتقديم التعاون للمسلمين أثناء عمليات فتح المغرب العربي - الا أنه بعد أن شاهد قوة جيوش المسلمين ،

---

(١) د/احمد ابراهيم الشعراوى ، الامويون (امراء الاندلس الأول) ١٩٦٩ م ، دار النهضة العربية ص٩

واصرارهم على ضرورة فتح مدينة ذات الموقع الاستراتيجي الهام حيث تقع على المضيق الفاصل بين القارتين الاوربية والافريقية الذى سمى بعد ذلك بمضيق جبل طارق ، رأى عدم التهاون وامتنع عن التعاون مع المسلمين (١) .

وقام موسى بن نصير بتكليف طارق بن زياد وكان من أحد قواده ، بفتح طنجه ، وبالفعل قام طارق بن زياد ة بالتوجه اليها وفرض عليها حصارا قاسيا حتى تمكن من فتحها عام ٨٩ هـ (٧٠٨م) ، وأسلم معظم أهلها كما تم مدهم ببعض علماء المسلمين لتعليمهم أصول الاسلام ـ ثم اتجه موسى بن نصير وطارق بن زياد بعد ذلك الى سبته الا أن حاكمها يوليان قام بحزم ودهاء بتحصين المدينة تحصينا منيعا ، وقويا جعل من فتحها والاستيلاء عليها شبه متعذر (٢) ، ومع ذلك حاصر موسى وطارق بن زياد هذه المدينة حصارا شديدا ، وكانت المعارك تتجدد كل يوم ، الا أن مدينة سبته كانت تتلقى أثناء الحصار كل المؤن والمساعدات العسكرية التى تحتاج اليها من الشواطئ الاسبانية ، وبذلك لم تنجح محاولات المسلمين فى فتحها واضطر موسى بن نصير أن يعود الى طنجه ليرسم خطة جديدة لفتحها ـ الا انه أثناء ذلك اتصل به يوليان حاكم سبته وطلب منه الصلح

---

(١) جاك ٠ س ٠ ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٤١

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ١١٤

والتعاون فى اقامة علاقات ودية ، وحثه على أن يتحالف معه فى فتح الاندلس التى تتبعها مدينته (١) .

(x)
وقد ذكر المؤرخون أن يوليان عرض تحالفه مع المسلمين لفح الاندلس لانقاذ شعبها من الفوضى والدمار التى ارتفعت حدته من حكم ملكها

---

(١) د /خالد الصوفى ، تاريخ العرب فى الاندلس، مرجع سابق ، ص٥٧

(x) سمى المؤرخون والجغرافيون العرب مايعرف بشبه الجزيرة الايبيرية وهى المنطقة التى تقوم فيها الان دولتان حديثتان هما اسبانيا والبرتغال باسم الاندلس، وذكر أن اسم الاندلس فى اللغه اليونانية تعنى أشبانيا وانها سميت الاندلس من أسماء الاندليش الذين سكنوها ، وقد تعرضت هذه المنطقة لغارات وغزوات عديدة ، فوصل اليها الفينيقيون القدماء واسسوا فيها بعض المستعمرات ، ثم تعرضت للغزو والاحتلال الرومانى لمدة ستة قرون الى أن هاجمتها قبائل الوندال فى القرن الثالث الميلادى وسيطرت عليها ونهبت كل خيراتها حتى جاءت قبائل القوط الغربيين وسيطرت عليها وطردت الوندال عام ٤٢٩ م - وقد استغل القوط حادث انقسام الامبراطورية الرومانية وضعفها ، وأعلنوا استقلالهم نهائيا بهذه المنطقة وأسسوا مملكة خاصة بهم بعد ان قاموا بتوحيد كل مدنها سياسيا ودينيا واتخذوا من مدينة طليطله عاصمة لهم - وقد حكم هذه المملكة ملوك عديدون كان معظمهم اقوياء مثل خامبا (٦٧٢م - ٦٨٠م) ، وأخيكا ثم ابنه غيطشه (٧٠٠ م - ٧١٠ م) الا أنه بعد وفاة الملك غيطشه تعرضت المملكة لفوضى اضطرابات قام بها لذريق أحد قواد الجيش الذى انتهز هذه الفرصة وانتزع السلطة وعين نفسه ملكا بدلا من الملك اخيلا الوريث الشرعى للعرش بعد وفاة والده الملك غيطشه وأنه أحدث الفوضى والاضطرابات وافسد كل أحوال المجتمع وفتت تماسكه (د / احمد ابراهيم شعراوى ، الامويون (امراء الاندلس الأول) مرجع سابق ص٧ - ١٦) .

الفاسد لذريق الذى اغتصب السلطة وارتكب فيها أقصى صور الظلم والاستبداد ـ وهناك سبب آخر اجمعت عليه كل المصادر العربية ، وهو أن الملك لذريق انتهز فرصة وجود فلورندا (Florinda) بنت يوليان عنده فى القصر وقام بالاعتداء على عفافها بالقوة ، وانها كتبت سرها الى ابيها واخبرته بما حدث ، فغضب وحزن حزنا شديدا وأخذ يشاطر ابنته التفكير فى الانتقام من لذريق الذى لوث شرفه حتى اهتدى الى الاتصال بموسى بن نصير ليعرض عليه التحالف لكى يقضى على لذريق الذى أهانه ، ولم يحترم مكانته ، ويخلص الاندلس من حكمه الفاسد وينقذ شعبها من الفوضى والخراب .

أكد المؤرخون أن يوليان قد شرح هذه الأسباب لموسى ابن نصير عندما استوضحه عن الدواعى التى دفعته الى عرض هذا التحالف ، وأنه عرض فى عقد التحالف بأنه سيضع كل السفن التى يمتلكها تحت تصرف جيوش المسلمين ، وسيقوم بقواته بتوجيه الضربه الأولى حتى يشق فيه موسى بن نصير (١) .

وبعد أن اقتنع موسى بن نصير أرسل الى الخليفة الوليد ابن عبد الملك فى دمشق يخبره بهذا التحالف ، وبالأهمية الكبرى

---

(١) د /خالد الصوفى ، تاريخ العرب فى الاندلس ، مرجع سابق ص ٧٧ ـ ٨٠

التى ستتحقق للمسلمين من فتح الاندلس ، الا أن الخليفة طلب منه أن يتخذ الحذر حتى لا يغرر بجيش المسلمين ، أو تكون هناك مؤامرة أو خيانه لتدميرهم ، وبالفعل اتخذ موسى ابن نصير الحذر بعد أن عقد التحالف مع يوليان ، وأرسل فى أول الأمر سرايا من الجنود يقدر عددهم حوالى ٤٠٠ جندى بقيادة طريف بن مالك الى الاندلس ليكتشفها ويختبر قوتها قبل اقتحامها . وعبرت هذه السرايا بمراكب يوليان التى وضعها تحت تصرف المسلمين ، ونزلت فى جزيرة خضراء استولت عليها بسهولة فى شهر رمضان عام ٩١ هـ ، الموافق ٧١٠ م ، وسميت بعد ذلك بجزيرة طريف (١) .

وبعد هذه الغزوه تأكد موسى بن نصير من صدق يوليان فى التحالف وضعف المقاومة فى الاندلس لفساد حكم لذريق ، فقرر تنفيذ عملية الفتح ، وولى قيادة الجيش الذى تكون من سبعة الاف مقاتل الى طارق بن زياد الذى خرج بهم وعبر المضيق ونزل بالقرب من صخرة ضخمة (أطلق عليها بعد ذلك جبل طارق) عام ٧١١ م ، ثم حرق السفن التى عبر بها لكى يدفع جنود المسلمين الى ضرورة الاستبسال فى القتال حتى النصر (٢) .

---

(١) د /احمد ابراهيم شعراوى ، الامويون (امراء الاندلس الاول) مرجع سابق ، ص ١٧ ، ١٨

(٢) جاك . س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ، ص ٤٠

وعندما علم لذريق بهذا الهجوم جمع كل قواته التي تزيد عن اربعين ألفا واشتبك مع قوات المسلمين بالقرب من ضفاف نهر (وادى لكة) يوم ٢٨ رمضان ٩٢ هـ الموافق ٢٩ يوليه عام ٧١١ ، وكانت معركة ضارية انتصر فيها جيش المسلمين بقيادة طارق بن زياد بالرغم من قلة عددهم وفر لذريق وقتل أثناء هروبه ، وارسل طارق بعد ذلك الى موسى بن نصير يخبره بالنصر وبأن الطريق سهل الى قلب البلاد (١) .

واستمر طارق فى السير ففتح مدينة استجه وقرطبه ، ثم طليطله العاصمة ، وفى ذات الوقت حضر موسى بن نصير بنفسه الى الاندلس ومعه عشرة آلاف مقاتل ليعاون طارق بن زياد فى فتح الاندلس بالكامل واتمام السيطرة عليها ، فهاجموا كل المواقع الحصينه ثم فتحوا مدن لشذونه وقرمونه واشبيلية وماردة ثم غرناطه ومرسيه ـ ثم تمكنوا من فتح جميع بقاع شبه جزيرة الاندلس ، واصبحت تخضع للحكم الاسلامى بعد الاستيلاء عليها بسرعة رهيبه لم تستغرق أكثر من سنتين فقط ، واستخلف موسى بن نصير ابنه عبد العزيز حاكما

---

(١) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص ٢٩ .

عليها بعد أن طلب منه أن يجعل عاصمتها اشبيلية عام ٩٤ هـ الموافق ٧١٣ م . (١) .

وقد حقق الفتح الاسلامي للاندلس أهدافا ونتائج عديدة اذ رفع الاضطهاد الديني الذى كانت تعانى منه بعض فئات الشعب ، وعلى رأسها اليهود ، كما أجريت اصلاحات عديدة حسنت من أحوال المزارعين الذين يعملون فى الزراعة وتركت لهم حرية العمل ، وتوحدت البلاد وانتظمت أحوالها بعد الفوضى والفساد التى عاشتها أثناء حكم لذريق قبل الفتح الاسلامى مباشرة (٢) ، حيث حقق الحكام المسلمون كل عوامل الاستقرار لشعب الاندلس واعطوهم الحرية الكاملة للعقيدة واشتهرت الاندلس فى ظل الحكم الاسلامى بالتسامح الدينى فى الوقت الذى استرسل فيه المسيحيون الاوربيون فى التعصب والغلظه (٣)

لقد أضاء العرب المسلمون من خلال فتحهم للاندلس الظلام الذى عاشت فيه القارة الاوربية بعد سقوط روما ، واستطاع العلماء والفلاسفة المسلمون أن يلقنوا الشعوب الاوربية ثقافة العرب

---

(١) د / احمد ابراهيم شعراوى ، الامويون (امراء الاندلس الاول) مرجع سابق ص ١٩ ، ٢٠

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص ٤٨

(٣) فليب حتى ، ادوارد جرجس ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ ومابعدها .

الانسانية التى قامت على اكتافها نهضة العصور الحديثة ، حيث كانت المدن فى الاندلس ذات موطن ثقافة قوية قدر لها أن تؤثر فى العالم المسيحى تأثيرا عميقا (١) ، وكانت من أهم الأسباب التى جعلت أوربا تتحد تحت امبراطورية شارلمان عام ٨٠٠م ، لكى يحذو حذو المسلمين فى الاتحاد والتماسك من ناحية ، ولكى يتمكنوا وهم متحدون من وقف الزحف الاسلامى عليهم بعد وصوله الى الحدود الجنوبية لفرنسا من ناحية أخرى .

وكانت الاندلس فى القرن العاشر أكثر بلاد أوربا ثروة وكان المسيحيون من رجال الدين وغيرهم يفدون اليها من جميع أنحاء أوربا بكامل حريتهم ، وتمتعوا أثناء تواجدهم فى جميع مدنها مثل قرطبه وطليطله واشبيلية سواء كانوا طلابا للعلم أو زائرين بالأمن والاستقرار (٢) . ويقول ول ديورانت بأن أحد المسيحين قد اشتكى من التسامح الدينى الموجود فى الاندلس بعبارات تذكرنا بشكاية العبرانيين القدماء من اصطباغ اليهود بالصبغة اليونانية - وقال أن اخوانى المسيحيين يعجبون بقصائد العرب المسلمين وقصصهم ، وهم لايدرسون مؤلفات فقهاء المسلمين وفلاسفتهم ليردوا عليها ويكذبوها ، بل ليتعلموا الاساليب العربية الصحيحة الانيقه - واحسرتاه

---

(١) د /محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية ، مرجع سابق ص ٢٧٢ .

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص١٣٦

أن الشبان المسيحيين الذين اشتهروا بمواهبهم العقلية لايعرفون علما ولا أدبا ولا لغة غير علوم العرب المسلمين وآدابهم ولغتهم ، فهم يقبلون في نهم على دراسة كتب العرب ويملؤون بها مكتباتهم ، وينفقون في سبيل جمعها أموالا كبيرة ، وهم اينما كانوا يتغننون بمدح علوم العرب المسلمين . (١) .

ويقول جاك ريسلر (أن الاندلس الاسلامية كانت تكتب على باب جامعاتها بأن العالم يستند الى أربعة أركان (علم الحكماء ، عدل العظماء ، دعاء الصلحاء ، شجاعة الشجعان) ، ولهذا لم يكن بطريق المصادفه أن تحتل المعرفه في الاندلس المرتبة الأولى في أوربا لانه بالعلم تأصلت حقا الحضارة الاسلامية فيها ، واستمرت دائمة الذكرى الخالدة التي لايمكن أن تمحى بعد أن نفذت علومها الاسلامية الإنسانية من جمال رونقها وعظمة حضارتها بعمق الى الثقافة الغربية) . (٢) .

وكما اتسعت الدولة الاسلامية في الشمال الافريقي والغرب حتى حدود فرنسا الجنوبية ـ اتسعت أيضا في الاتجاه الشرقي حيث اندفعت جيوش المسلمين أعلى نهرى دجله والفرات

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة (عصر الايمان) ترجمة /محمد بدران ص ٢٩٧ .

(٢) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ١٦٤

حتى اقتربت من سلاسل الجبال الارمنية ، ثم اندفعوا في زحف خاطف ووضعوا أقدامهم في وديان نهر السند ونهر امودا ريا ، واستولوا على تركستان وطقشند وسمرقند وبلغوا حدود منغوليا ثم اندفعوا في الجنوب بعد عبورهم نهر السند وتمكنوا من نشر الاسلام واستقراره في الاقاليم المتاخمة للهند عام ٧١٢م (١) .

وفي عام ٧١٧ م زحفت الجيوش الاسلامية على القسطنطينية وقامت بحصارها ، وقام الامبراطور ليو بنفسه بعد أن حشد كل قواته بالدفاع عنها دفاعا مستميتا من خلف أسوارها الشاهقة ، لاقى فيه المسلمون جهدا كبيرا فولوا وجوههم عن فتح القسطنطينية بعد أن اتفقت الدولة البيزنطية أن تقوم بدفع الجزية (٢) ، ويشهد بذلك بأنه في عهد الامبراطورية ايريني (٧٩٧م – ٨٠٢ م) كانت الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطه) تقوم بدفع الجزية سنويا تعبيرا عن ولائها للدولة الاسلامية ، وكان ذلك التاريخ في عهد هارون الرشيد الذي اعتبره المؤرخون بحق سيد الشرق. كما واصل المسلمون فتوحاتهم في جزر البحر الابيض المتوسط

---

(١) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ، ص ٣٢٧

(٢) هـ . سانت . ل . ب . موس ، ميلاد العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٢٥٨ .

وسيطروا على صقلية ومالطه عام ٨٧٠ م اللتين كانتا ذات مركز تجارى هام للعرب المسلمين فى الغرب (١) .

وبذلك قامت امبراطورية اسلامية من أقصى حدود الشرق الى الحدود الجنوبية لفرنسا فى الغرب ، ومن بحر ارال شمالا الى اقليم السنغال جنوبا ، وكانت دولة عالمية متماسكة لم يشهدها العالم من قبل لروعة مبادئها الإنسانية ، وكان نظام الحكم فيها قائما على دعائم ثلاثة هى العدل والشورى والمساواة . (٢) .

وقد قامت الدولة الاسلامية العالمية بعلاقات دولية متنوعه مع الدول الاوربية ، وخاصة العلاقات التجارية التى ازدادت وتطورت مراكزها فى مصر والشام واليمن ، كما أصبح البحر الابيض المتوسط الذى كان يعرف ببحر الروم تحت النفوذ والسيطرة العربية الاسلامية وتحول الى بحيرة عربية ، وكان للسيطرة البحرية الاسلامية أثر كبير فى تغيير مجرى العلاقات الدولية فى ذلك الوقت ، اذ استطاع المد الاسلامى

---

(١) د /فتحية النبراوى ، د /محمد نصر مهنا ، د /درية شفيق بسيونى تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص٤٧

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى مرجع سابق ، ص١١٣

أن يصل الى ترقية الجزر الموجوده فى البحر المتوسط التى مهدت بهذا الطريق وصول الحضارة الاسلامية العربية الى المدن الاوربية (١) ، وبانتهاء الخلافة الاموية من دمشق وقيام الحكم العباسى فى بغداد عام ١٣٢ هـ ٧٥٠م ، ظهرت مرحلة جديدة فى العلاقات الدولية الإنسانية بين الدولة العالمية الاسلامية ، والدول المسيحية فى الغرب ، والشرق (بيزنطه) حيث تغيرت تماما كل السياسات العدائية الى سياسة ود ومحبة وازدادت بصورة واضحه فى عصر هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ) (٨٠٢ – ٨١٥ م) الذى كان مولعا بالموسيقى والفن والحكم الجيد وحماية الحدود ، وقيادة الجيوش بحذر ، والقضاء بالعدل (٢) ويقول جاك ريسلر عنه الاتى :(هارون الرشيد سيظل الى الابد من بين جميع الملوك العظام النموذج للخليفة الاسطورى فى تقاليد المجتمع الاسلامى فهو ملك مرح مثقف إنسان الى أبعد الحدود الإنسانية ، تقى متمسك بالدين ، عادل الى أقصى درجات العدل ، حكيم

---

(١) د / بطرس بطرس غالى ، د /محمود خيرى عيسى ، المدخل فى علم السياسة ، مرجع سابق ، ص ١٥٧

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ١٣٧

وكان المال يتدفق من بين يديه ، وكان كرمه الفائق يجذب ذوى الكفايات والمواهب تجاه العاصمة بغداد ، وكان يجتمع حوله مجلس لايبارى من الشعر والفقهاء والاطباء والادباء والموسيقيين والمتغنيين ، وذوى العقول الراجحه ، وكان على دراية كاملة بتقييم أعمالهم بروح الانصاف وكان يكافئهم بسخاء ، وكان هو نفسه شاعرا وعالما مثمرا وخطيبا بليغا وذاعت شهرته عالميا وتقربت اليه جميع الدول واقامت معه علاقات إنسانية رائعة) . (١)

لقد وصلت الدولة العالمية الاسلامية الى أوج مجدها ، وبلغ الاسلام فى هذه الفتره عصره الذهبى ، وتطورت — العلاقات الدولية الى درجة لم يشهدها العالم من قبل فى الطابع الانسانى ، حيث تقدم السفراء الى هارون الرشيد من الصين ، والملك شارلمان فى الغرب ، والقسطنطينيه وكانت بغداد آنذاك تفوق أوربا والعالم كله فى مضمار الادارة والتجارة وكافة العلوم الإنسانية والثقافية . (٢) .

واذا كانت العلاقات الدولية بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية فى العصر العباسى تتسم بالود والوفاق ، الا أنها كانت تتغير فى بعض فترات القرن التاسع الميلادى الى علاقات

---

(١) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ١٤٠

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص ٣٤ .

عدائية ، ولكن كان التفوق الاسلامى ، واضحا فى الحروب التى نشبت بينهما ، ومن أشهر المعارك التى خلدها المؤرخون والشعراء موقعة عمورية التى حقق فيها جيش المسلمين نصرا عظيما على البيزنطيين فى قلب آسيا الصغرى عام ٨٣٧ ميلادية- وقد اعتبر المؤرخون هذه المعركة والمعارك التى تلتها فى القرن العاشر الميلادى نتيجة الاعتداءات المتكرره من البيزنطيين هى بداية الحروب الصليبية ، التى على أثرها حدث بعد ذلك تحالف بين البيزنطيين ودول أوربا فى القرن الحادى عشر لتحطيم الدولة الاسلامية وانتزاع الاراضى العربية منها تحت ستار الدين ، حيث ادعوا أن السبب الحاسم لحروبهم هو حماية المسيحية فى الشرق بعد أن أشاعوا كذبا بأن خليفة المسلمين يضطهد المسيحيين وأمر بتدمير كنيسة قبر المسيح فى عام ١٠٠٩ ميلادية (١) .

ولذلك بدأ ضد العالم العربى الاسلامى أغرب وأطول عدوان شهده العصر الوسيط حيث استغرق قرنين من الزمان توالت فيه تسع حملات صليبية تتستر وراء الدين على التعاقب بداية من عام ١٠٩٦م حتى منتصف القرن الثالث عشر بعدد كبير من الجنود (٢) - فقد بدأت بوصول القوات الفرنسية بقيادة

---

(١) جاك . س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ١٥٩ ، ٢٤٣

(٢) د /محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

ريمون ثم تابعتها الحملات الاخرى وتجمعوا فى القسطنطينية بجنود يقدر عددهم ٧٠٠,٠٠٠ تقريبا ثم زحفوا على الاراضى العربية (١) ونشبت معارك طاحنة اريقت فيها دماء الابرياء ومارست فيها القوات الصليبية عوامل لا أنسانية ضد العرب المسلمين (٢) .

وعلى الرغم من هذه المعارك والمنازعات كان دور العلاقات الدولية ظاهرا لكف اراقة الدماء ، والتوصل لانهاء هذه الحروب بعد ما ذاقت قوات الطرفين المرارة والدمار من اندلاعها . ونذكر منها مايلى :

١ ـ صلح الرملة :

بعد أن حقق المسلمون نصرا مؤزرا على الصليبيين فى حطين بقيادة صلاح الدين الايوبى . الذى استمر فى كفاحه حتى حقق نصرا عظيما آخر على الجيوش الصليبية التى كان يتولى قيادتها ريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا . حدثت مفاوضات بين صلاح الدين والملك ريتشارد عام ٥٥٨ هـ الموافق ١١٩٢م . اعقبها صلح من أهم شروطه الآتى :

---

(١) ادوارد بروى . تاريخ الحضارات العام . العصور الوسطى . مرجع سابق ص ٣١٢ ومابعدها .

(٢) على على منصور . الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام . مرجع سابق ص ٣٥

أ - عقد هدنة بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات وثلاثة اشهر .

ب - أن يسلم الصليبيون عسقلان وغزة والداروم التى أحتلوها الى المسلمين .

جـ - أن يبقى للصليبيين البلاد الساحلية مابين صور ويافا .

د - أن يحق للمسيحيين الحج الى بيت المقدس دون أن يدفعوا ضرائب للمسلمين . (١)

وكان صلاح الدين دبلوماسيا بارعا بجانب أنه قائد حربى عظيم ، حيث استطاع أن يوحد الشعوب العربية فى جيش واحد وحقق انتصارات عظيمة على القوات الصليبية مازال التاريخ يذكر مجدها (٢) ، كما يشير بعض المؤرخين بأن صلاح الدين عقب تصالحه مع ريتشارد قلب الأسد أقام معه علاقات ود وسلام ومحبة وأنه نتيجة لذلك اقترح ريتشارد أن يزوج اخته جان ملكة صقلية لشقيق صلاح الدين ، وعلى أن يحكم الزوجان بيت المقدس ولكن هذا الاقتراح لم يتم بسبب ظروف عودة ريتشارد لبلاده (٣) .

---

(١) د . فتحية النبراوى ، د . محمد نصر مهنا ، د . دولة شفيق بسيونى تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص٨٦ .

(٢) د . محمد حسين هيكل ، تراجم مصرية وغربية ، مرجع سابق ص١٨ .

(٣) د . محمد حسين هيكل ، تراجم مصرية وغربية ، مرجع سابق ص١٨ .

٢- تحالف صلاح الدين مع بيزنطة :

نتيجة لدبلوماسية صلاح الدين استطاع أن يقيم علاقات ودية مع البيزنطيين عقب صلح الرملة وتمكن من خلال هذه العلاقات أن يعقد صلحا وتحالفا مع الامبراطور البيزنطي (اسحق انجليوس) أهم ما تضمنه الآتي :

أ- الا يعتدى أى منهما على الآخر .

ب- أن تستمر العلاقات الطيبة بينهما على الود والتسامح .

وقد استجاب الامبراطور البيزنطي لتعاهده ووعد صلاح الدين بأن يخبره بتحركات الحملة الصليبية الثالثة ، كما أنه قد تحالف بالفعل مع جيش المسلمين ضد السلاجقة في آسيا الصغرى . (١)

٣- صلح يافا .

عقد بعد فشل الحملة الصليبية بين الامبراطور فردريك الثاني قائد الجيوش الصليبية والملك الكامل عام ١٢٢٩م ، ومن أهم شروطه الآتي :

---

(١) جاك س. ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٣٤٩ .

أ ـ أن يتقرر الصلح بين المسلمين والصليبيين لمدة عشر سنوات يسود فيها سلام تام .

ب ـ ان تكون كل قرى القدس للمسلمين .

جـ ـ أن يظل الحرم بما يحويه من الصخره والمسجد بأيدى المسلمين لا يدخله الصليبيون .

د ـ أن يتسلم الصليبيون الناصره وبيت لحم ـ وان يسمح لهم بدخول بيت المقدس . (١)

وبعد هذا الصلح غادر الملك فردريك عكا فى مايو ١٢٢٩م عائدا الى بلاده حيث كانت مصالحه فى الغرب تستدعى وجوده هناك دون أن تسفر حملته التى قادها الى أى نتائج سوى أنها اضافت مشكلات أخرى للصليبيين حيث طردوا من بيت المقدس كما حدثت بينهم منازعات بعد ذلك مع سكان عكا اسفرت عن استيلاء المسلمين عليها وطردهم منها . (٢)

٤ ـ صلح المصريين مع الصليبيين .

عقب الهزائم المتكررة للحملات الصليبية على الشرق وفشل كل الحملات لتحطيم الدول الاسلامية اسرعت البابوية فى اوروبا لعقد

---

(١) د . فتحية النبراوى ، د . محمد نصر مهنا ، د . درية شفيق بسيونى ، تطور العلاقات الدولية السياسية ، مرجع سابق ، ص٨٦

(٢) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٢٥٠ .

مؤتمر ليون عام ١٢٤٠م ، تقرر فيه ارسال حملة صليبية أخرى قوية الى الشرق لاسترداد بيت المقدس من المسلمين مع بعض المدن الساحليه التى فقدوها وكانت هذه آخر حملة صليبية قامت بها قوات صليبية ذات طابع فرنسى تحت قيادة لويس التاسع ملك فرنسا (١) ، ويذكر المؤرخون بأن هذه الحملة كانت توسعيه ، هدفها الاول الاستيلاء على مصر ، ثم تطويق مدن الشرق الاوسط كلها ، وبالفعل وصلت الحملة الى شواطئ دمياط فى يونيو عام ١٢٤٩م واحتلتها ، الا أن المصريين قاوموا هذه الحملة بكفاح مرير (٢) حتى تمكنوا من هزيمتها فى المنصورة اثناء تقدمها للاستيلاء على مصر بهزيمة ساحقة ، أسر فيها عدد كبير من الصليبيين من بينهم ملك فرنسا لويس التاسع الذى أودع فى سجن دار بن لقمان (٣) ، وبعد ذلك حدثت مفاوضات بين المصريين والصليبين انتهت بعقد صلح على شروط اساسية من أهمها الاتى :

أ - أن يتسلم المصريون دمياط نظير فك اسر لويس التاسع .

ب - أن يدفع الصليبيون مقابلا ماليا عن بقية الاسرى .

جـ - أن تنسحب القوات الصليبية من الاراضى المصرية .

د - تعقد هدنة مدتها عشر سنين بين الطرفين .

---

(١) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص ٥١

(٢) د . عبد الرحمن الرافعى ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٥٠

(٣) د . محمد حسين هيكل ، تراجم مصرية وغربية ، مرجع سابق ص ١٨ .

وقد وافق ملك فرنسا على ذلك ووقع على شروط الصلح وانسحب بجميع القوات الصليبية من الاراضى المصرية واتجه الى الشام (١)

وبعد ذلك استمر المسلمون يقاومون القوات الصليبية فى الشام ، حتى قام الظاهر بيبرس سلطان المماليك فى مصر بقيادة جيوش المسلمين ووجه الضربات الاخيرة للصليبيين ، فاحتل غزة عام ١٢٦٣م ، وقيصريه عام ١٢٦٥م ، ويافا وانطاكيه عام ١٢٦٨م ، وحرر عكا عام ١٢٩٠م من فرسان المعبد الذين كانوا يحتلونها ثم حرر بعد ذلك مدن صور وصيدا وبيروت وطرطوش وقذف بآخر الصليبيين فى البحر لينهى اخر وجود لهم فى الشرق العربى ، ويكشف للعالم بأن حملاتهم عديمة الجدوى ، وقامت بدون وجه حق (٢)

وقد وضحت العلاقات الدولية التى تمت خلال الحروب الصليبية الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين المسلمين والقوات الصليبية ، وبأن الغرب لم يسبق المسلمين فى معرفة القواعد الدولية حيث كانت علاقات المسلمين بغيرهم من الشعوب تخضع لقواعد منظمة مستمدة من أحكام القرآن الكريم وتسودها روح العدالة والتسامح والشعور بالواجب (٣) ، وأن جيوش المسلمين ليست همجية ، وانما كانت نظامية وتعامل أسرى العدو بروح مشبعة بالشهامة والانسانية .(٤)

---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ١٢٢ ومابعدها .

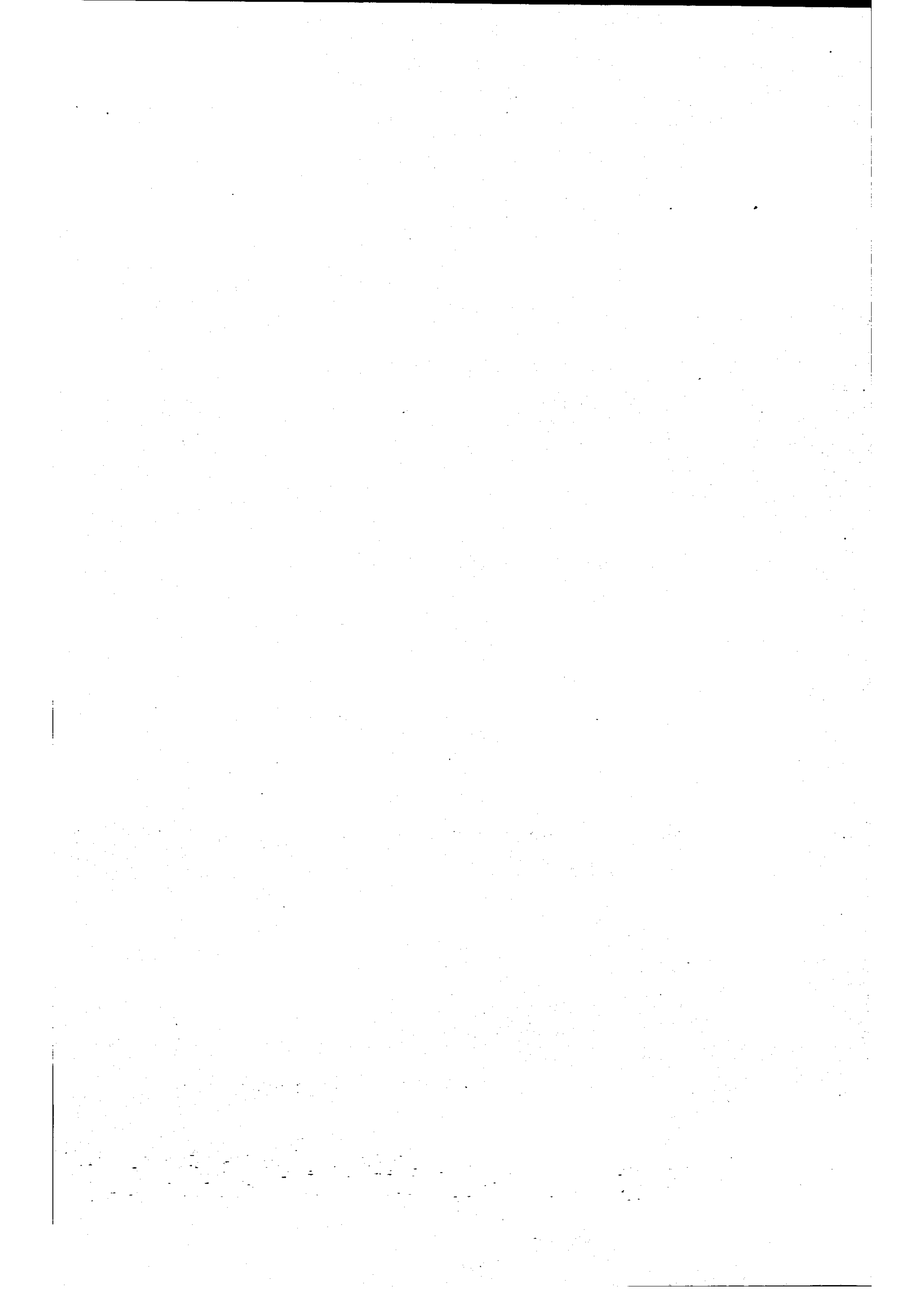
(٢) د . على صادق ابو هيف ، القانون الدولى العام - ١٩٧٥ - الاسكندرية . ص ٣٧

(٣) د . فتحية النبراوى ، د . محمد نصر مهنا ، د . درية شفيق ، تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ٩٥

(٤) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٢٥٠

الفصل الثالث

نهاية الخلافة العباسية



الفصل الثالث

نهاية الخلافة العباسية

في العهد الاخير للخلافة العباسية في بغداد ـ ظهرت بوضوح بعض الانقسامات في أركان الدولة الاسلامية ـ نتيجة لزيادة الاعباء ، وعدم قدرة الخليفة والموظفين التابعين له في عاصمة الخلافة على تنظيم ادارة الاقاليم ، والسيطرة على كل أرجاء الدولة الاسلامية التي بلغت حدودها نطاقا شاسعا (حيث كان الشخص يذهب من سمرقند الى سرقسطه في ثمانية عشر شهرا) ولذلك قضت الضرورة في الفترة الاخيرة للخلافة العباسية أن يترك لحكام الاقاليم البعيدة عن العاصمة بغداد الحكم الذاتي (١) ، الا أنه نتج عن ذلك ظهور بعض المنازعات والخلافات الشخصية والمذهبية بين حكام تلك الاقاليم ـ مما أدى الى حدوث تجزئه وتفكك في أرجاء الدولة الاسلامية ، ولم تستطع السلطة المركزية في بغداد أن تتمكن من ضبط هذه الأمور خاصة بعد أن قام حكام بعض الاقاليم باعلان استقلالهم الذاتي ـ فدبت الفوضى السياسية في الدولة الاسلامية وخملت السلطة المركزية في بغداد ، وضعفت قوتها وارتبكت في تنظيم شئونها (٢) .

---

(١) جاك . س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٥٦١ ، ٥٦٣

وأثناء ذلك ظهر المغول الذين كانوا يتضورون جوعا يقفون على أبوابها ، وعلى أتم الاستعداد للانقضاض على الحضارة الاسلامية بعد أن سحقوا بجيوشهم الدولة الخوزامية عام ١٢٢٠ م ، وسقطت تحت اقدامهم افغانستان الحالية وشمال ايران ، وروسيا - وعندما أدركت القيادة الاسلامية فى بغداد هذا الخطر المحدق حاولت تجميع جيوش المسلمين من كل الاقاليم الا أن حكام تلك الاقاليم لم يبالوا بنداء الخليفة (١) ٠

ونتيجة لهذا الاستهتار شهدت الدولة الاسلامية سقوط الخلافة بكارثة مروعة ألمت بالمسلمين بعد غزو جيوش المغول المدمره لعاصمة الخلافة - حيث بدأوا الهجوم الكاسح اللاإنسانى على بغداد عام ١٢٥٨م بعد أن دمروا وخربوا بلادا عديدة فى طريقهم ، ولم يستطع جيش الخلافة العباسى فى ذلك الوقت من صد هذا الهجوم لوجود بعض المشاكل وسوء التنظيم - مما أدى الى تعرضهم لهزيمة ساحقة (٢) ٠

---

(١) فليب حتى ، ادوارد جرجس ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، مرجع سابق ص ٥٦١ ، ٥٦٣

(٢) د /فتحية النبراوى ، د /محمد نصر مهنا ، د / درية شفيق بسيونى تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ١١١

وبالتالى لم تصمد بغداد ، ووقعت تحت جحافل المغول الأمر الذى اضطر به الخليفة المستعصم (آخر الخلفاء العباسيين) ، وكان عالما ورعا واهبا نفسه للدين والعلم ان يستسلم فى ١٠ فبراير عام ١٢٥٨م ، حيث خرج ومعه ولديه وثلثمائة من الموظفين الكبار فى الدولة الاسلامية الى هولاكو قائد المغول ليعرض عليه التسليم بدون قيد ولا شرط (١) .

ويقال أن ٨٠٠٠٠ من سكان بغداد ذبحوا ، و ٢٤٠٠ عالم دين نفذ فيهم حكم الأعدام ، ومات الاف من العلماء والشعراء والمشتغلين بدراسة العلوم الابرياء فى هذه المجزره البشعة ، ونهبت واتلفت ثروة المسلمين ، وقذف بالمراجع والكتب فى نهر دجله ، ومن كثرتها سدت مجراه وشكلت جسرا من الشاطىء الى الشاطىء الآخر ـ وحرق المغول بقية ماشاهدوه طافيا خوفا من عدم سريان الماء بالنهر حتى أصبحت لونها خلال أيام سوداء من حبر ملايين الكتب والمحفوظات التى القيت فيه ، والتى كانت تعد ثروة لاتقدر بمال للمسلين وللعالم أجمع (٢) ـ كما قام المغول الذين يسجلون فى الصفحات السوداء للتاريخ الإنسانى لما ارتكبوه من عوامل لا أخلاقية مع الشعوب

---

(١) د /عبد الرحمن الرافعى ، د /سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى العصور الوسطى ، مرجع سابق ص٤٣٦

(٢) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص٢٦٧ .

البربرية .. باشعال النيران فى بغداد استمرت اربعين يوما دمرت فيها كل مظاهر العمران والحضارة وقضوا على كل ما احتفظت به الدولة الاسلامية فى ذلك العصر من علم وثقافة (١) ـ وبعد ذلك امعن هولا كو فى اذلال الخليفة العباسى الذى انصاع لاوامره وسلمه خزائن الدولة الاسلامية وأمواله الشخصية ، ثم فى النهاية أمر بقتله بعد أن تحولت بغداد الى كومة رماد قبر فيها اغلب سكانها البالغ عددهم مليونا نسمة (٢)

ويقول ابن الاثير عن هذه الكارثة ـ (لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة كارها ان اذكرها فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ـ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ـ فياليت أمى لم تلدنى وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فلو قال قائل ان شعوب العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الان لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ـ فان التاريخ لم يتضمن ما يقاربها أو يدانيها ، ولعل الخلق لا يرون مثل

---

(١) فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، مرجع سابق ص ٦٤٥

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص ٣٧

هـذه الحادثة الـى أن ينقـرض العالـم (١)

توجـد مصـادر تاريخـية عديـدة تنوه وتشير بأن الصليبيين قـد تحالفـوا مـع المغـول للقضـاء على العالـم الاسلامـى واحتـلال اراضية خـاصة بعـد أن أكـد بعـض المؤرخـون بـأن المغـول كـان اتجاهـهم الأصلـى فـى التوسـع نحـو الشـرق فـى اقلـيم الصـين ـ ولكنهـم تحولـوا فجـأة الـى الأتجـاه العكسـى نحـو غـرب آسيـا تجـاه قلـب العالم الاسـلامى بعـد أن سعـت قيـادة الصليـبين الـى اغرائهـم بخطـة مشتركـة للقضـاء علـى الاسـلام ، بعـد أن فشلـت جيوشهـم مـن خـلال المعارك والغزوات المتكـررة أن تحقـق ذلك بمفردهـا (٢) ـ وقـد اشـار بذلـك جيمس وستفـال توسون استـاذ التاريخ الاوروبـى بجامعة كاليفورنيـا فـى محاضـرة لـه تحـت عنوان حضـارة عصـر النهضـة ترجمها الاستـاذ / عبد الرحمن تركى قـال فيهـا بـأن (البابـا انيوسنـت قـد أوفـد بعثـة بابويـة عام ١٢٤٥ م الـى حاكـم المغـول هولاكـو لاستمالتـه الـى المسيحيـة واستخدامـه

---

(١) د ٠ فتحية النبراوى ، د ٠ محمد نصر مهنا ، د ٠ درية شفيق ـ تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ١١٢

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٨٤٠

فى القضاء على الاسلام ، وأن هذه البعثة قد تقابلت مع هولاكو بعد أن اخترقت الطريق البرى عبر اوروبا وآسيا فى عام ١٢٥٢ م أوفد لويس التاسع ملك فرنسا الذى كان يتولى قيادة القوات الصليبية اثناء وجوده فى عكا سفيرا له الى هولاكو ليتحالف معه من أجل القضاء على العالم الاسلامى) (١)

وتؤكد المصادر العربية والغربية صحة ذلك التحالف الذى يضرب به المثل فى الابادة والتخريب والفناء ـ بأن البابا انوشنتيوس الرابع قد أوفد مندوبه الراهب (جان دى بيان كاربينو) عام ١٢٤٥م الى منغوليا للتمهيد لعقد هذا التحالف مع المغول ـ وبأن لويس التاسع ملك فرنسا قد ارسل بعثة أخرى عام ١٢٥٠ م منها الراهبان (جان دى كاركاسون) ، (اندريه دى لونجومو) ليجدد السعى فى هذا السبيل (٢) وأنه أجريت مباحثات بين رسله ورسل المغول فى قبرص اثناء مروره بالجيوش الصليبية ، وهو فى طريقه

---

(١) د ٠ محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية ١٩٧٠ ، القاهره ص ٢٥٥ ، ٢٥٦

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٨٤

لغزو مصر ، وبعد هزيمته وفشل حملته على مصر ارسل بعثة أخرى عام ١٢٥٢م يقودها رجل الدين (جيوم ردبروك) - الى قائد المغول في مدينة (قراقورم) لنفس الغرض كما ارسلت القيادة الصليبية في نفس العام (هيتوم) ملك امارة قيليقيلية الصليبية في ارمينية الصغرى الذى اقنع قائد المغول بالحملة المشتركة على العالم الاسلامي العربي ، وأن الدليل الذى أكد انعقاد هذا التحالف المدمر هو قيام البطريق الارمني المسيحي ليمنح البركة القدسية للمغول الوثنيين في الحرب ضد المسلمين - وانضمام الملك هيتوم بجيش صليبي الى الحملة المغولية ليساندها في الزحف على بغداد - وقيام هولاكو عقب اسقاطه لبغداد باستثناء جميع المسيحيين من المجزرة البشرية التى نصبها لسكانها (١)

وبعد سقوط بغداد زحف هولاكو بجيوشه المدمره على بلاد الشام فاستولى على حلب ، وبعد ستة عشر يوما استولى على دمشق ونهبها ودمر عمرانها ، ثم

---

(١) د . محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ص ٢٣١ ، ٢٣٢

اتجه الى بعلبك وغزة وقامت جيوشه باشعال الخراب فيها (١) - ثم اتجه الى مصر حيث أرسل خطاب تهديد الى قطز حاكم مصر فى ذلك الوقت يطلب منه تسليم مصر - الا أن قطز قام بقطع رووس الرسل وعلقها على باب زويلة تعبيرا عن ضرورة القيام بالدفاع المستميت عن أرض مصر ضد هذا الخطر الكاسح ، والدمار المحدق للاسلام والعروبة ، فأخذ يعد الجيوش المصرية (٢) واختار الظاهر بيبرس أحد قواده على رأس هذا الجيش الذى خرج بعزيمة واصرار وتقابل مع جيش المغول فى عين جالوت اثناء زحفهم على أرض مصر - ودارت بينهما معركة مصيرية طاحنة أنتصر فيها جيش مصر والمسلمين بعد أن ضربوا أروع الأمثال البطولية فى الكفاح وسحقوا جيش المغول عام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) (٣)

---

(١) فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب مرجع سابق ص ٥٦٤ ، ٥٦٥

(٢) د ٠ عبد الرحمن الرافعى ، د ٠ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى العصور الوسطى مرجع سابق ، ص ٤٤٤

(٣) د ٠ محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ص ٢٣٥

وتعتبر معركة عين جالوت نقطة تحول خطيرة في الشرق حيث سحق فيها جيش المغول المدمر ، واوقفت حركة انتشاره وحطمت ما كان يحلم به جنكيز خان وحفيده هولاكو من تكوين امبراطورية بالارهاب وسيل دماء الابرياء ومحو سبل الحضارة والعمران (١) . فبعد هذه المعركة انهارت كل قوى المغول وبددت كل مطامعهم بعد أن لوثوا بعض صفحات التاريخ في العصور الوسطى لما ارتكبوه من قسوة ونهب ودمار - فهم لم يتوطنوا في البلاد الاسلامية توطنا حقيقيا بل اجتاحوها كالعاصفة المدمرة وتركوا وراءهم آثار الخراب والدمار ، فكان مصيرهم الفناء من الوجود ليؤكد التاريخ بأنه لا بقاء لشعب أو أمة انحرفت عن الأخلاق والعوامل الإنسانية في معاملة الشعوب (٢)

وقد اعتبر المؤرخون حركة المغول المدمرة من الفترات المظلمة للدولة الاسلامية حيث كسرت ظهرها في عز مجدها (٣)

---

(١) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ص ٥٣٤

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٣٨٩ .

(3) Kahn, David.: Scientists of Code Analysis. Civilized study, New York, 1966. p.102

الحضارى والثقافى فى وقت كانت فيه القاره الاوربية تعانى من آثار الفوضى والحروب التى حطمت أواصر شعوبها وبأنه لولا ضربة عين جالوت ما توقفت حروب هؤلاء الارهابيين فى تدمير كل ما هو حضارى وأخلاقى للشعوب الاسلامية بأسرها (١)

ولا شك لقد ادت الكارثة التى الحقها هولاكو ببغداد الى تفكك الدولة العالمية الاسلامية ، وتشتت روابطها القومية بين المدن والولايات التابعة لها ، وأصبح العالم الاسلامى يعيش لأول مرة منذ ٦٠٠ عام تقريبا بلا رئيس دينى أو أمام للشعوب الاسلامية خلال فترة الغارات المدمرة التى قامت بها جيوش المغول على الاراضى الاسلامية (٢) . الا أنه بالرغم من هذه الكارثة المفجعة التى اتت على الدولة الاسلامية - قد تمكنت شعوب العالم الاسلامى بما لديها من مبادىء إنسانية وقوة وعزيمة أن تصمد فى مواجهة تحديات الصليبيين وحلفائهم الوثنيين لان الاسلام دعوة عالمية قامت على اعتبار انها آخر

---

(١) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ص ٥٣٤

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى مرجع سابق ، ص ٣٨٧

الشرائع السماوية من أجل أن تشعل لجميع شعوب العالم نور الحق والقيم الاخلاقية وتؤسس مبادىء الحضارة الانسانية

وقد غفل على الحاقدين المتآمرين هذه الحقيقة بأنه لايمكن القضاء على دعوى مهداة من الله سبحانه وتعالى الى جميع شعوب العالم لاتباع الحق والهداية الى حسن الصواب ولذلك اذ سرعان ما شاهدوا وجود منبرها يظهر مرة أخرى فى أرض مصر التى حملت لواء العالم الاسلامى بعد سقوط بغداد ، وبعد أن قام شعبها بسحق المغول وقوى الصليبيين من الشرق على يد القائد العظيم الظاهر بيبرس الذى اعطاهم درسا لا ينسى على افعالهم اللاأنسانية ومؤامراتهم الدنية ـ سجله التاريخ لكى تطلع عليه الاجيال المتعاقبة وتشيد بالفخر والعظمة التى كانت عليها قوة المسلمين فى العصور الوسطى (١) ـ وبأنه مهما تعرضوا لعوامل لا إنسانية من الصليبيين والمغول كان دائما النصر فى النهاية لهم لكى ترتفع دائما راية الاسلام (٢)

---

(١) فليب حتى ، ادوارد جرجى ، جبرائيل جبور ، تاريخ العرب ،مرجع سابق ص٧٠٣ ومابعدها .

(٢) على على منصور ، الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام ، مرجع سابق ، ص٣٥ .

فقد استطاع الظاهر بيبرس أن يسرع فى احياء الخلافة الاسلامية فى مصر ليكسبها شرفا عظيما . وقد اشار بعض المؤرخين بأن الظاهر بيبرس لم يكد يسمع بوصول أحد ابناء البيت العباسى الى دمشق الا وأرسل يستدعيه فورا مع اتخاذ كافة الاحتياطات لسلامته وراحته — وأنه قد وصل من بينهم الامير العباسى أحمد بن الظاهر بن الناصر العباسى الذى استقبله بيبرس بالحفاوة والتكريم وبايعه كخليفة للمسلمين ولقب بالمستنصر بالله وباشر الخليفة الجديد منصبه فى مصر وتبعه القضاة والعلماء وسائر الناس — ثم قام بتقليد بيبرس السلطنة فى حفل كبير ليصبح سلطانا للمسلمين بتفويض من السلطة الشرعية الكبرى فى العالم الاسلامى وهى الخلافة الجديدة بعد سقوط بغداد .

وعلى الرغم مما قام به الظاهر بيبرس من تقليم اظافر الصليبيين وخاصة مملكة قيليقية فى ارمينية الصغرى التى ساندت المغول فى تدمير بغداد اذ حطم كيانها بهزيمة كبرى فى موقعة دربساك فى ٢٤ اغسطس عام ١٢٦٦م وازال عرش مالكها هيثوم . الا أنه بعد أن حطم كل قلاع الصليبيين والمغول وكل من ساند وهم فى غزواتهم العدوانية مثل ملك القبرص الذى لم يغفر له بيبرس تهديده لسفن المسلمين فى شرق حوض البحر المتوسط ومساعدته للصليبيين ضد المسلمين — قد اقام علاقات دولية بروح الإسلام الانسانية مع الامبراطور البيزنطى ميخائيل بالبولوجس حيث عقد معه حلفا دفاعيا عام ١٢٦٢م بعد العداوة التى دبت بين بيزنطة ودول الغرب — كما تحالف وتعاهد مع المغول القفجاق أو القبيلة الذهبية عند بحر

قزوين الذين اعتنقوا الاسلام واشتدت العداوة بينهم وبين المغول الوثنيين (١) ٠

وفي عام ١٢٦٩ م طلب قائد المغول ابغا الصلح من بيبرس بعد أن ارسل يقول له (فأنت لو صعدت الى السماء أو هبطت الى الارض ما تخلصت منا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا) ولكن بيبرس كان يعلم أن الصلح مع المغول أمر لا يرضى عنه أي مسلم - بعد أن دمروا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله ٠ وفعلوا بالمسلمين في العراق ما يتنافى مع قواعد الإنسانية والرحمة ٠

لذلك رفض بيبرس طلب ابغا للصلح ، وأعلن بالرغم من استقباله لرسل المغول في دمشق واعطائهم بعض الهدايا لابغا ، بأنه لم يكف عن مواجهتهم حتى يسترد جميع البلاد التي اغتصبوها من المسلمين ، وتمكن من ذلك بعد أن سحقهم في موقعة ابلستين مع حلفائهم السلاجقة عام ١٢٧٦ م (٢) ٠

---

(١) د ٠ عبد الرحمن الرافعي ، د ٠ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر في العصور الوسطى ، مرجع سابق ص ٤٥٠ ، ص ٤٥٦ ٠

(٢) د ٠ عبد الرحمن الرافعي ، د ٠ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر في العصور الوسطى ، المرجع السابق ص ٤٤٩ ، ٤٦٠

وقد توفى الظاهر بيبرس بدمشق عام ٦٧٦ هـ (١٢٧٧م) بعد أن قام بجهود كبيرة للمسلمين وفى تدعيم دولة المماليك بمصر التى استمرت تحمل شعلة الاسلام والحضارة الانسانية طوال العصور الوسطى ـ حتى تسلمتها الامبراطورية العثمانية فى مطلع العصور الحديثة عقب قيام محمد الفاتح بفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م وأزال الامبراطورية الرومانية الشرقية من صفحة التاريخ ثم انتصار سليم الاول على المماليك فى موقعة مرج دابق عام ١٥١٦ م اذا سيطر العثمانيون على كل البلاد الاسلامية وتولوا زمام أمور العالم الاسلامى فى الشرق ، وبذلك صار العثمانيون الاتراك آخر الامر فى العصور الحديثة ورثة الدولة الاسلامية العالمية فى الشرق والغرب (١) .

** وبذلك لم ينته العالم الاسلامى كما كان يريد الحاقدون الفاسدون ولم تكن الامة العربية التى وحدتها الدعوة الاسلامية سوى الطليعة للامة الاسلامية التى لم تقم على اساس عنصرى أو مذهبى أو دينى مغلق بل على أساس موضوعى للوحدة الإنسانية المفتوحة لشعوب العالم اجمع بلا اكراه ولا غصب ـ فالاسلام ثورة إنسانية على الفساد والطغيان ، وثورة لتحقيق العدالة والمساواة ، وثورة من أجل اسعاد كافة الشعوب بالحق والكرامة (٢)

---

(١) يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، مرجع سابق ص ٥٣٤
(٢) جوستاف أ ، فون جرونيباوم ، حضارة الاسلام ، مرجع سابق ص ٤٤٢

وبعض المؤرخين الاوروبيين يؤكدون بأنه لو كانت الجيوش الاسلامية فتحت القسطنطينية عام ٨١٧م ٠ وانتصرت فى معركة بواتييه على نهر اللوار فى فرنسا عام ٧٣٢ م ٠ اثناء انتشار الاسلام فى الاندلس نحو القارة الاوروبية واستفادت جيدا من انتصاراتها الساحقة فى ارمينيا على الامبراطورية الرومانية الشرقية عام ١٠٧١م - لصارت اوربا من شرقها الى غربها قارة اسلامية ، واصبحت كل شعوب العالم مسلمين (١) - وكتب روجيه جارودى فى كتابه عن الحضارة العربية والدور الذى مثلته فى التاريخ بأن الفيلسوف الامريكى درابوقال (أن أكثر ايام التاريخ شؤما هو اليوم الذى جرت فيه معركة بواتييه سنة ٧٣٢م حين تراجع العلم والفن العربى الاسلامى أمام البربرية الفرنجية ، أى معركة بلاط الشهداء التى ردت فيها جيوش الغال بقيادة شارل مارتل الجيوش العربية الزاحفة على فرنسا من اسبانيا بقيادة (عبد الرحمن الغافقى) (٢) .كما قال جواهر لال نهرو فى كتابه (لمحات من تاريخ العالم) بأنه (فى سهول بواتييه خسر

---

(١) د ٠ محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية ، مرجع سابق ص ٢٥١ ٠

(٢) د ٠ محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ص ٢٠٧ ٠

العرب امبراطورية العالم التى كانت تقع فى قبضتهم ولا جدال لو انتصر العرب المسلمون لتغير وجه التاريخ الاوربى) (١) وقال جاك ريسلر فى كتابه (الحضارة العربية) بأنه (لاشك أن موقعة بواتييه كانت أحدى المعارك الحاسمة فى التاريخ ، فقد انقذت هذه المعركة طبقا لاتفاق الرأى لعدد كبير من المؤرخين ، أوربا كلها وحسمت مستقبلها) (٢)

وقال جوستاف لوبون وهو يسخر من كلام بعض كتاب الغرب عن حضارة العرب المسلمين (بأننا ينبغى أن ننظر الى العرب المسلمين نظرة أخرى تختلف عن نظرتنا فى الوقت الحاضر على اعتبار أنهم شعوب نامية ، اذ فى العصور الوسطى كان الحال يختلف تماما ـ فكان العرب ـ المسلمون هم المتحضرون والاوربيون هم الجهلة المتأخرون وأكبر دليل على ذلك أن العصور الوسطى الاوربية

---

(١) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، مرجع سابق ص ٢٩

(٢) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ٤٣ .

كانت مظلمة ، كنت اتمنى أن العرب يستولوا على باريس في موقعة بواتييه وتصير مثل قرطبة مركزا للحضارة والعلم حيث كان رجل الشارع في قرطبة يكتب ويقرأ بل يتلو الشعر في الوقت الذى كان فيه ملوك اوروبا لا يعرفون كتابة اسمائهم) (١)

فقد سيطر الاسلام سيطرة كاملة على العالم خلال العصور الوسطى فترة ستة قرون بقوة الايمان والعلم وبالتفوق الحضارى ، ودعم مجال العلاقات الدولية الإنسانية مع الشعوب الأخرى الغير اسلامية (٢) ، ولذلك قال الفيلسوف الامريكي دارير (تأخذنا الدهشة احيانا عندما ننظر في كتب العرب المسلمين – حيث نجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد الا في زماننا) ، ويقول جورج سارتون صاحب تاريخ العلم (يكفى أن اشير هنا الى بضعة اسماء عربية لامعة ، دون أن يقابلها معاصرون في الغرب أمثال جابر بن حيان ، الرازى ، الفارابى ، الغزالى الطبرى ... الخ) (٣) وقال هنرى جونسون المؤرخ الامريكى

---

(١) د . أحمد ابراهيم الشعراوى ، الامويين (امراء الاندلس الأول) مرجع سابق ص ٢٥

(٢) د . محمد حافظ غانم ، مبادىء القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص ٤٩

(٣) محمد عمارة ، فجر اليقظة القومية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦

فى كتابه (تدريس التاريخ) (أن من يزيف تاريخ الحضارة العربية الاسلامية يزيف حقيقة الفهم للحياة الإنسانية فالحضارة العربية الاسلامية لا يمكن انكارها ، فقد ظلت غنية بالحسرية متمتعة بلذة الامن والعدالة) (١)

واذا كانت الحضارة الاسلامية قد قامت بعلاقات دولية مع الشعوب الأخرى فانها اسهمت ايضا بدور عظيم فى تطوير العلاقات الدولية على أسس انسانية مثل قاعدة الوفاء بالعهد التى تعد اساس الاتفاقات الدولية حيث كانت تعتبر من المبادىء الاساسية التى قام عليها الاسلام وتمسك بها المسلمون فى علاقاتهم مع الشعوب الاخرى وان هذه القاعدة قد ظهرت فى الدين الاسلامى من أجل المحافظة على العهود والوفاء بها وعدم الخيانة أو العمل على نقضها بهدف احلال الأمن والسلم محل الاضطراب والخراب (٢) ، قال تعالى (وأوفوا بعهد الله

---

(١) هنرى جونسون ، تدريس التاريخ ، مرجع سابق ص ١٣١ .

(٢) فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، مرجع سابق ، ص ٥٩ ، د . جعفر عبد السلام ، مبادىء القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص ٥١ .

اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ماتفعلون) (١) ـ وقد اشار الفقيه الفاريز أستاذ القانون الدولى العام فى امريكا اللاتينية الى ذلك حيث قرر بأنه (من التعصب عدم ابراز دور الدين الاسلامى فى تطوير قواعد القانون الدولى (٢)

وعلماء الاسلام أول من اخرجوا فقهيا المؤلفات القيمة التى عالجت الكثير من المشاكل الدولية ونظمت العديد من المسائل المتعلقة بالأمن والسلام الدوليين ، كما استحدثت قواعد دولية جديدة اتبعتها الشعوب فى علاقاتها المختلفة لطابعها الانسانى المستند على روح العدل والمساواة وذلك مثل :

١ ـ السير الكبير : تاليف الأمام محمد بن الحسن الشيبانى (٧٤٩م ـ ٨٠٤م) ومن يتفحص هذا المؤلف يجده كاملا

---

(١) سورة النحل ، الاية ٩١

(٢) د • عبدالعزيز سرحان ، القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص١٥

من حيث الموضوعات الدولية ، ومن حيث الاحكام التى وردت فيه . حيث تناول بالعرض والشرح والتفسير جميع القواعد والاحكام الدولية الخاصة بتنظيم العلاقات الدولية فى السلم والحرب فى حين أن الفقه الاجنبى لم تبدأ حركته الموضوعية فى هذا المجال الا فى القرن السادس عشر وذلك عن طريق بعض الفقهاء أمثال فيتوريا وسوارس والكتاب الذى يمكن أن يقارن بمؤلف الشيبانى من حيث الشمول والدقة هو كتاب جروسيوس وعنوانه قانون الحرب والسلم ، وقد ظهر فى القرن السابع عشر أى بعد ظهور مؤلف الشيبانى بثمانية قرون (١) ، واعترافا بمكانة هذا الفقيه الاسلامى قام علماء القانون الدولى فى مختلف بلاد العالم بتأسيس جمعية فى المانيا باسم (جمعية الشيبانى للحقوق الدولية) هدفها التعريف بالشيبانى واظهار آرائه ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولى الاسلامى - كما قامت جامعة باريس

---

(١) د . حامد سلطان ، الشريعه الاسلامية والقانون الدولى العام مرجع سابق ص١٠٥ .

عام ١٩٧٠م بالاحتفال بذكرى مرور الف ومائتى عام على وفاته (١)

٢- كتاب الاحكام السلطانية للامام ابى الحسن على بن محمد بن الخليل الماوردى (٩٧٤ - ١٠٥٨م) وهو من المراجع الهامة التى تفيد أى باحث فى القانون الدولى .

٣- كتاب الخراج للامام ابى الفرج قداة (٨٩٧ - ٩٦٧ م) الذى عالج فيه الكثير من نظم العلاقات الدولية بين الشعوب الاسلامية والغير اسلامية .

٤- كتاب الاراضى للامام ابو يوسف - وهو من المراجع الهامة التى تفيد فى دراسة نظام اكتساب الاقاليم فى القانون الدولى العام .

٥- كتاب الهداية : تأليف الامام برهان الدين الذى ظهر فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وهو من المراجع التى تفيد فى دراسة نظام الحرب والتغلب عليها ، ونشر السلام بين الشعوب (٢)

---

(١) د . ابراهيم محمد العنانى ، القانون الدولى العام ١٩٨٤ القاهره . ص٨

(٢) د . صلاح الدين عامر ، مقدمة لدراسة القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص٢٣

ويعد علماء الاسلام ايضا أول من عرفوا التنظيم الدولي على اسس مستمدة من ضرورة التعاون والتقارب بين الشعوب على مبدأ الاخوة الإنسانية ، مهما كانت مختلفة في العقيدة أو في الاصل (١) ـ مثل ابو نصر الفارابي الذي يعتبره المؤرخون من أعلام عظماء العصور الوسطى (٢) حيث كان فيلسوفا اسلاميا عالميا ـ ولد بمدينة فاراب أحدى مدن البلاد التركية ، واستقر في العراق ثم ذهب الى حلب ومات في دمشق عام ٩٥٠م (٣) وقد قام اثناء وجوده في بغداد بتأليف مرجع هام في العلاقات الدولية وأصول التنظيم الدولي ، وعنوانه (آراء اهل المدينة الفاضلة) ضمن فيه دعوة صريحة الى ضرورة اقامة اتحاد بين دول العالم ، وأشار بأن ذلك

---

(١) د • جعفر عبد السلام ، مبادئ القانون الدولي العام ، مرجع سابق ص ٥٢

(٢) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى مرجع سابق ص ١٣٦

(٣) جوستاف أ • فون جرونيباوم ، حضارة الاسلام ، مرجع سابق ص ٤١٩ ، ص ٤٢٠

يعد اساس الحياة الدولية الصالحة ، حيث قرر بأن الانسان لا يمكن أن ينال الكمال الذى لاجله جعلت له الفطرة الطبيعية الا باجتماع جماعات كثيرة متعاونة ، وعلى أن تقدم كل جماعة للاخرى ما تحتاج اليه (١) ، ومجمل آرائه تتلخص فى الاتى :

١ ـ يجب أن يقوم بين جميع الشعوب اتحاد كامل لانها جميعا فى حاجة الى بعضها .

٢ ـ أن يكون هذا الاتحاد تحت رياسة شخص واحد .

٣ ـ اذا لم يوجد شخص واحد يصلح للملك تكون الرياسة لجماعة توجد فيها هذه الصفات (الحكمة ـ قوى الجسم قوى العزيمة ، الفهم الجيد ، الحفظ الجيد ، الزكاء ، حب العلم ، حسن العبارة ، القدرة على تحمل المتاعب حب الصدق ، كرم النفس ، حب العدل ، الشجاعة ، ضبط اللذات الجسدية) .

٤ ـ ليست العبرة بالنظم والقوانين ولكن العبرة بالصفات والأخلاق التى يكون الرئيس مطبوعا عليها (٢)

---

(١) د . محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية ، مرجع سابق ، ص٢٨٦

(٢) د . بطرس بطرس غالى ، التنظيم الدولى ، الطبعة الاولى ١٩٥٧ ـ القاهره . مكتبة الانجلو المصرية ص ٥٢ ومابعدها

ومن الملاحظ أن القديس توما الاكويني قد استعمل نفس التعبير الذى استعمله الفارابى مما يدل على أنه تتلمذ على يده ـ ولذلك اذا كان الغرب يعتبر نظرية توما الاكويني عن (الجماعة الفاضلة) هى النواة الاولى لفكرة التنظيم الدولى ـ فأن الحقيقة أن نظريته ليست الا اقتباسا من نظرية الفارابى التى ضمنها كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) ـ وان الفارابى هو احد اساتذته ومصادره (١) •

وخير دليل على فضل الحضارة الاسلامية فى تطوير العلاقات الدولية والقواعد الدولية التى تنظمها هو أن كل علماء وفلاسفة القانون الدولى الاوربيين الاوائل قد نشأت مواهبهم فى بيئة اسلامية ودرسوا وتعمقوا فى الفكر القانونى الاسلامى ، مثل توما الاكوينى ، ايليا Ayala وسوتو Soto وفيتوريا Vittoria ، ليناتو الايطالى ، والالمانى بيفندروف (٢) ، كما اثبت المستشرقون المطلعون أن الفقيه الهولندى جروسيوس الذى يعتبره الغرب رائدا للقانون الدولى

---

(١) د • محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية ـ مرجع سابق ص ٢٨٧

(٢) جاك س • ريسلر • الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ١٦٤ ، ١٦٥

كان منفيا فى الاستانه بتركيا ، وأن هذا قد اعطاه فرصة الاتصال بالعالم الاسلامى والعربى وتعرف على انظمته واعرافه الدولية ، كما ثبت ان جروسيوس قد تأثر بما كتبه فرسيسكو سواريز الاسبانى الذى ولد فى غرناطة عام ١٥٤٨ وتوفى فى لشبونه عام ١٦١٧ (١) . وعندما أخرج جروسيوس كتابه الشهير (البحر الحر) لم يكن فى الفقه الرومانى الذى كان يسود القارة الاوربية أى مرجع يستند عليه فى بحثه فلجأ الى كتب الفقه الاسلامى واستطاع من خلالها أن يردد فى كتابه أن البحار بطبيعتها ملك الله وغير قابلة للحيازة ، ولا تكون مالا منقولا ، ولا محلا للتمليك - وكان لهذا الكتاب تأثير كبير فى القواعد الدولية ثم بعد ذلك أخرج كتابه الثانى عن القانون الدولى وعنوانه (قانون الحرب والسلام) - ومن يطلع عليه يجده مطابقا لكتاب السير الكبير للامام الشيبانى الذى تضمن تنظيما يكاد يكون متكاملا لما يحتمل أن ينشأ بين الدول من علاقات حربية وسلمية (٢) .

---

(١) د . ابراهيم محمد العنانى ، القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص٨

(٢) د . محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية ، مرجع سابق ص ٢٧٣

ولهذا قالت المؤرخة الالمانية الدكتوره ـ سيجريد هونكه بخصوص حضارة المسلمين العرب وأثرها فى تطوير ثقافة الشعوب فى كل المجالات بأنه (قد حان الآن أن نزيل الغشاوة عن اعيننا ، فلا نغمط العرب حقهم فى أنهم بعثوا ثقافة إنسانية رفيعة اثرت ولا تزال تؤثر حتى يومنا هذا لا فى اوروبا فقط ، بل فى مختلف العالم المتحضر وأن العرب المسلمين حملوا رسالة عالمية إنسانية رغم أولئك المتعصبين من الاوروبيين الذين اعماهم تعصبهم الدينى فحاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية أو التقليل من شأنها ـ ان اوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية بدين كبير جدا ، وكان يجب على اوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد ، لكن التعصب الدينى واختلاف العقائد اعمى عيوننا وترك عليها غشاوة حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتابا من مائة فلا نجد فيها اشارة بفضل العرب وما اسدوه الينا من علم ومعرفة ـ اللهم الا اشارة عابرة تفيد بأن دور العرب لا يتعدى دور ساعى البريد الذى نقل اليهم التراث اليونانى ـ انها سبة أن يعلم أهل العلم من الاوربيين أن العرب اصحاب نهضة علمية لم

تعرفهـا الانسانيـة مـن قبـل ـ نهضـة فاقـت كثيرا عما تركـه اليونـان والرومـان ، ثـم لا يعـترفون بهـذه الحقيقة ـ أن العـرب ظلـوا ثمانيـة قـرون يشعـون علـى العالـم علمـا وفنـا وأدبـا وحضـارة ، وأخـذوا بيـد أوربا وأخرجوهـا مـن الظلمـات الـى النـور ونشـروا لواء المدنيـة ـ اذ ذهبـوا فـى اقاصى البـلاد ودانيهـا سـواء فـى آسيـا أو افريقيـا أو أوربـا ـ ومهدوا لشعـوب كثيـرة الطريـق للاندمـاج فـى المجتمـع العربـى لغـة وعلما وادبـا ودينـا ، وأصبحـت الثقافـة العربيـة والعقيـدة الاسلاميـة مثـالا يحتذى بـها) ، (١)

وقـد عـبر القـرآن الكريـم فـى كثـير مـن الايـات التى تعبـر عـن اسلـوب الود والمحبـة والاحترام ، الذى يجـب أن يتبع فـى علاقـات المسلمـين مـع غيرهـم مـن الشعـوب منها (٢) ما ورد فـى سورة المائـدة وهـى مـن أواخـر القـرآن نزولا ـ قال تعالـى (اليوم احـل لكـم الطيبات وطعـام الذيـن اوتـو الكتـاب حل لكـم

---

(١) د ، سيجريد هونكه ، شمس الله فوق أرض الغرب (فضل العرب علـى اوربا) ترجمها من الالمانية د ، فؤاد حسنين القاهره ١٩٦٤ المقدمة ،

(٢) د ، جعفر عبد السلام ، مبادىء القانون الدولى العام ، مرجع سابق ص ٥٣

وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتو الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن أجورهن محصنين غير مسفاحين ولا متخذى اخذان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين (١) وبهذه الاية الكريمة تتجلى روح السمو للدين الاسلامى فى علاقات المسلمين بغيرهم بأنها علاقات قائمة على البر والقسط والتعاون والمصاهرة علاقة تتضاءل أمام روعتها أحدث المبادىء التى عرفها العقل البشرى فى العلاقات الدولية (٢)

وبذلك فقد اعطت الحضارة الاسلامية (٣) من خلال ما تستند اليه من قيم ومبادىء روحية وخلقية الكثير من الاسس والقواعد التى تعبر عن روح الإنسانية فى العلاقات الدولية بين

---

(١) سورة المائدة ، الاية ٥ .

(٢) فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، مرجع سابق ص ٣٩

(3) Ercih, F.: The fear of freedom, London, 1952. p. 102

الشعوب (١) ، لان الاسلام قائم على التوازن الدقيق للمساواة ويجمع بين الاصالة والمعاصرة ـ لا يمين ولا يسار ، وانما صراط الاعتدال أى ما يسمى الصراط المستقيم . فمن خرج عنه باليمين فقد انحرف ومن خرج عنه باليسار فقد انحرف ، فليس على اليمين الحق ولا على اليسار الا الباطل . (٢) .

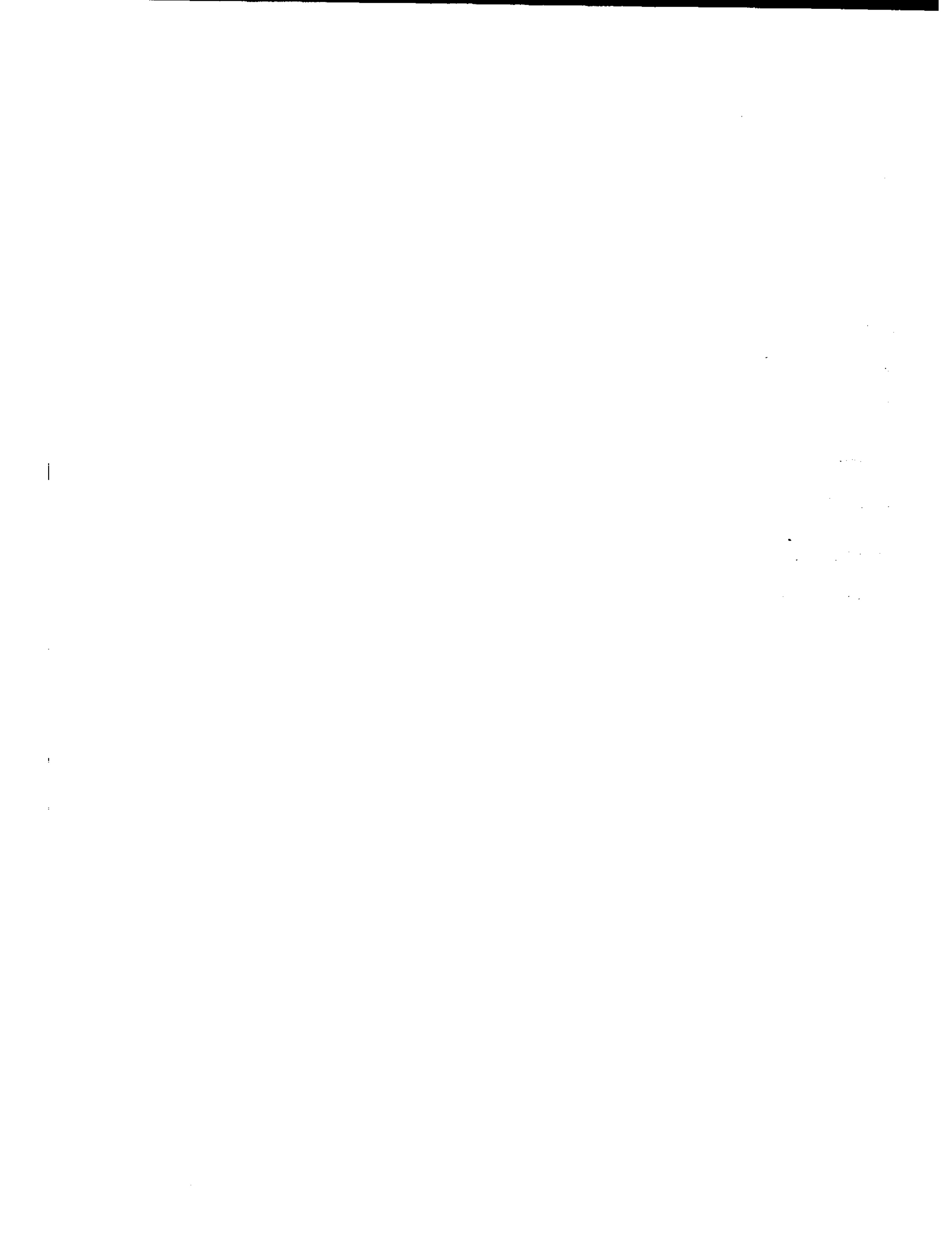
---

(١) ادوارد بروى ، تاريخ الحضارات العام ، العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص١٢٣

(٢) د . مصطفى محمود ، الماركسية والاسلام ، طبعة ١٩٨٣ . القاهره ـ دار المعارف . ص١٧ ومابعدها



الخاتمة



المجتمع الدولى فى العصور الوسطى كان قائما على اسس ونظم متطورة عن العصور القديمة ـ رغم احداث الفوضى والظلام التى انتشرت فى القارة الاوروبية عقب سقوط روما عام ٤٧٦ م على ايدى قبائل الجرمان ـ حيث ظهرت مجتمعات حضارية فى الشرق والغرب وكانت ذات قوة وتتمتع بكيان سياسى مستقل ، أثر بفاعلية فى أوضاع المجتمع الدولى فى تلك الفترة ـ وذلك نتيجة ما قام بين هذه المجتمعات من صراعات وحروب وعلاقات تعاون وسلام على مراحل متعاقبة .

والعلاقات الدولية التى حدثت فى العصور الوسطى كانت قريبة الشبه من حيث الهدف والاغراض الانسانية بعلاقات العصور الحديثة ـ واذا كان يوجد تمايز بينهما فأنه تمايز شكلى وليس موضوعى ـ ويرجع فقط الى تطور الاساليب والاجراءات التى تتخذ فى اتمام هذه العلاقات فى العصور الحديثة عن العصور الوسطى ـ لان العلاقات الدولية تتأثر بطابع التطور التكنولوجى وخاصة فى وسائل الاتصالات المختلفة

بين الدول والمجتمعات الانسانية المنتشرة فى كافة ارجاء المجتمع الدولى والتى حدث بها تطور علمى كبير فى العصور الحديثة - والدليل على ذلك يتبين من مراجعة أى معاهدة دولية تمت فى العصور الوسطى (وخاصة معاهدات الصلح والسلام) مع أى معاهدة مماثلة لها تمت فى العصور الحديثة - حيث سيتضح مدى التطابق الموضوعى بينهما فى المبادئ والأهداف ٠

ترجمت العلاقات الدولية والقواعد القانونية التى نظمتها حركة الحياة الدولية فى العصور الوسطى - حيث حددت برؤية واضحة مدى التقارب والاتصال والترابط الذى كان بين شعوب المجتمع الدولى فى تلك الفترة ٠ وأكدت بموضوعية متكاملة بأن كل الظروف والاحداث التى حدثت فى أى مجتمع فى الشرق أو الغرب سواء كانت من عوامل الخير أو الشر كانت تؤثر فى كافة المجتمعات الأخرى نتيجة التلاحم الذى كان بين هذه المجتمعات واندماج شعوبها على افكار وانفعالات ذات عمومية مشتركة نابعة من المفهوم الكلى لحتمية الوجود البشرى فى المجتمع الدولى ٠

ومن هذا المنطلق كانت العلاقات الدولية فى العصور

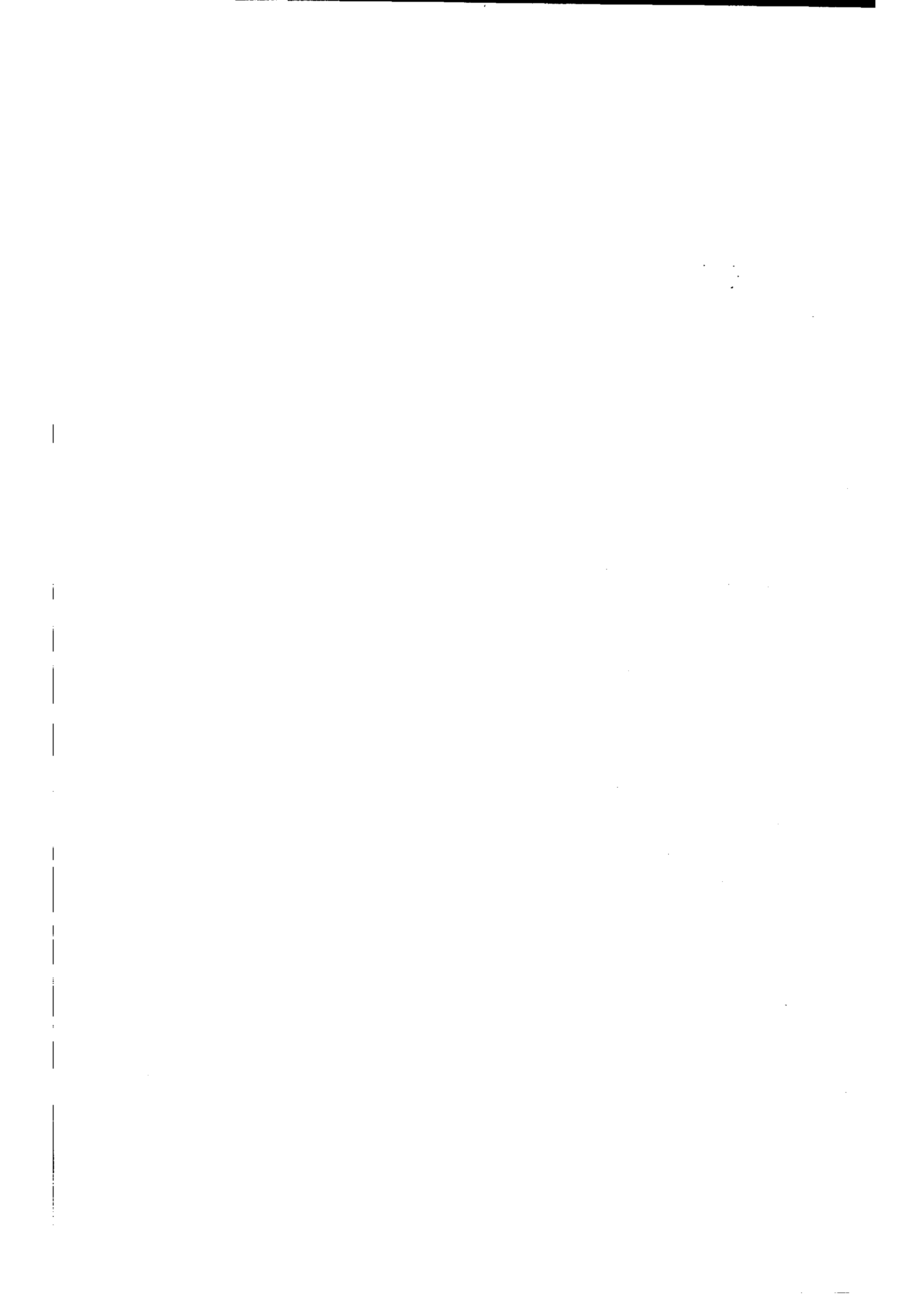
الوسطى موجودة وتطورت لانها كانت وليدة حاجات الشعوب لتحقيق الترابط والتعاون بينهم فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ـ كما أن القواعد القانونية الدولية التى كانت تنظمها قد انشئت على أسس ثابتة وتطورت عن القواعد التى كانت سائدة فى تنظيم علاقات المجتمع الدولى فى العصور القديمة ـ وبالتالى فأن الاتجاه الذى يردده بعض فقهاء القانون الدولى بأن العلاقات الدولية والقواعد القانونية التى تنظمها لم تظهر بالمعنى الفنى الدقيق الا فى العصور الحديثة هو اتجاه خاطىء ويشير الى السطحية وعدم الفهم الدقيق لمعنى الحياة الدولية التى ظهرت منذ بداية العصور الأولى لتاريخ البشرية بين المجتمعات الانسانية التى اثبت التاريخ بكل الادلة والبراهين وجودهما وأن كل مجتمع فيهما كان ذا كيان سياسى مستقل مثل الدولة الكاملة السيادة فى العصور الحديثة .

واذا كان فقهاء الغرب ينكرون أى وجود للعلاقات الدولية والقواعد القانونية التى نظمتها فى العصور الوسطى على اساس انهم اعتبروا أوروبا قد عاشت فى ظلام وفوضى وكساد فكرى فى تلك الفترة وبأن المجتمعات الإنسانية

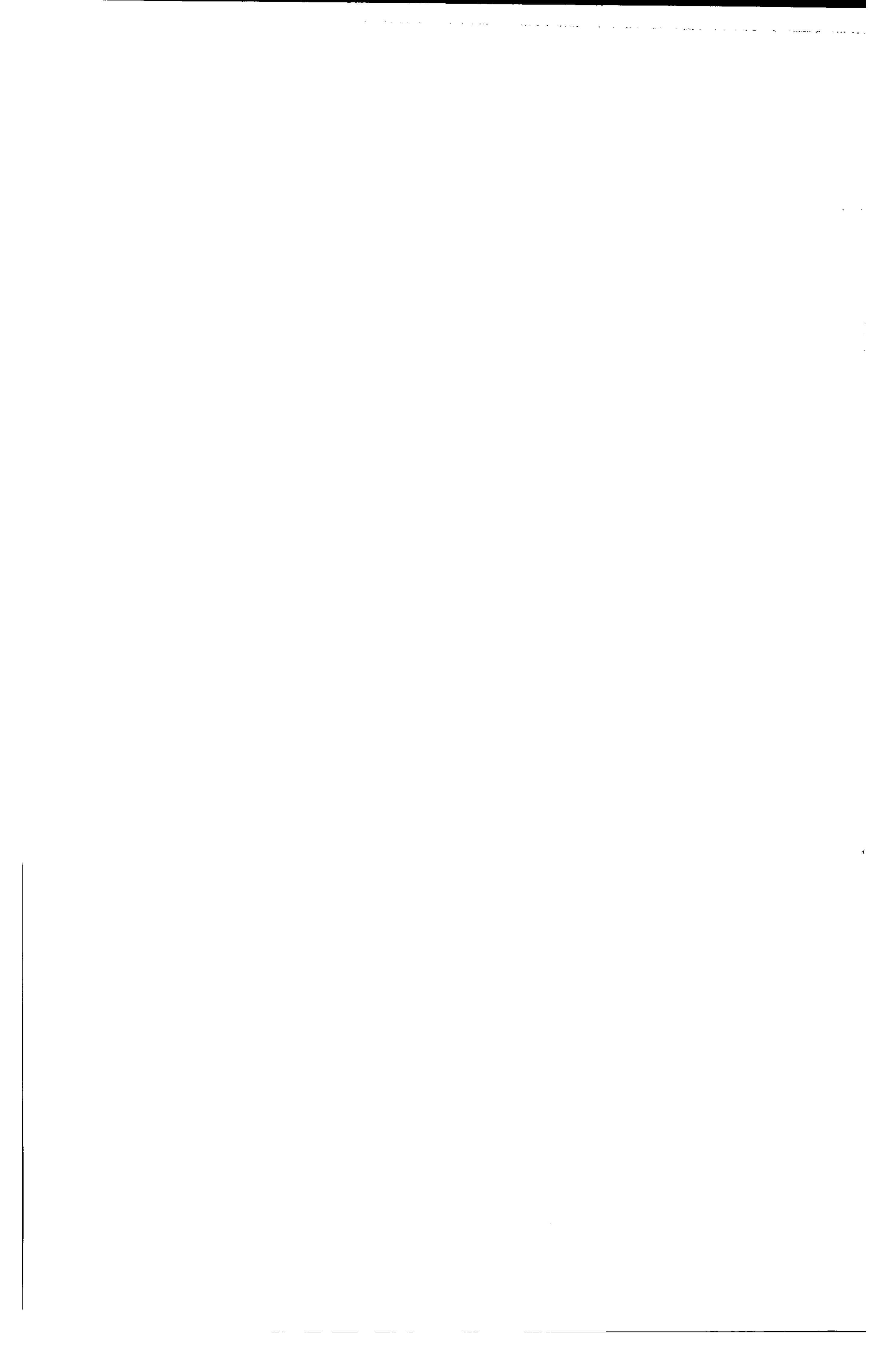
التى كانت توجد فى الشرق وخاصة المجتمع العربى الاسلامى كانت غير منظمة ولا تتمتع بأى كيان سياسى مستقل ولا ذات استقرار فى المجتمع الدولى - فأن ما عرضناه فى هذا البحث من خلال ما هو مسجل فى التاريخ الانسانى قد أكد عدم صدقهم وكشف حقدهم - لان أوروبا رغم ما تعرضت له من فوضى وظلام عقب سقوط روما - كانت العلاقات الدولية تمارس فيها ، وهى التى أخرجت الشعوب الاوروبية الى بر الأمان حتى ظهرت العصور الحديثة - وبالنسبة للمجتمعات الشرقية فأن الامبراطورية الرومانية الشرقية قد قامت بدور ملموس فى تطوير العلاقات الدولية - كما أنه من فخر العصور الوسطى ظهور الدولة العالمية الاسلامية التى امتدت من أقصى الشرق حتى حدود فرنسا الجنوبية حيث طورت العلاقات الدولية والقواعد القانونية التى تنظمها بالطابع الانسانى وأخذت بيد أوروبا وأخرجتها من الظلام الى النور من خلال القيم والمبادىء الروحية والخلقية التى استندت عليها فى علاقات المسلمين بغيرهم - والنابعة من روح سمو الدين الاسلامى خاتم الشرائع السماوية .

ولذلك لا يمكن انكار آثار العصور الوسطى فى ممارسة

وتطوير العلاقات الدولية ـ وخاصة العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية التى ازدهرت فى النصف الثانى للقرون الوسطى بين الغرب والمجتمعات الشرقية التى كانت فى زهرة حضارتها ـ كما لا يمكن انكار التطور الذى حدث فى قواعد القانون الدولى فى تلك الفترة ـ حيث ظهرت قواعد قانونية دولية جديدة نظمت ما استحدث من علاقات دولية مثل القواعد الدولية الخاصة بالقانون الدولى البحرى والدبلوماسى والقنصلى ـ والقواعد الخاصة بمبدأ الحماية الدبلوماسية •




كشـــاف




المراجع



المراجــــع

أولا : المراجع العربية

١ـ الكتب

د / ابراهيم محمد العنانــى

× القانون الدولى العام ـ طبعة ١٩٨٤م القاهره ـ دار الفكر العربى

× العلاقات الدولية ـ طبعة ١٩٧٥م القاهره ـ كلية الحقوق جامعــــة عين شمس •

× التنظيم الدولى ، طبعة ١٩٨٢ م القاهره ـ دار الفكر العربى •

د / ابوزيد رضوان

× الاسس العامه فى التحكيم التجارى الدولى ـ طبعة ١٩٨١م القاهره دار الفكر العربى •

د / ابو زيد مصطفى

× نظرية القانون ، طبعة ١٩٧٧م القاهره ، دار النهضة العربية •

د / أبى الفداء اسماعيل بن كثير

× قصص الانبياء ـ الطبعة الاولى (محققه ـ مصححه) ١٩٨١ م ، القاهره ـ دار التراث العربى للطباعة والنشر •

د / احمد ابو زيـد

x البناء الاجتماعى (مدخل لدراسة المجتمع) ـ طبعة ١٩٦٧م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاسكندرية .

د /احمد الخشـاب

x الضبط الاجتماعى (اسسه النظرية وتطبيقاته العملية) طبعة ١٩٦٨م مكتبة القاهره الحديثة .

د /احمد الغنـدور

x العلاقات الاقتصادية الدولية ، طبعة ١٩٧٨ ـ دار النهضة العربية .

د / احمد جامـع

x المذاهب الاشتراكية ـ طبعة ١٩٦٧م القاهره ، المطبعة العالمية .

د / احمد سويلم العمرى

x أصول العلاقات السياسية الدولية ، الطبعة الثالثة ١٩٥٩م القاهره مكتبة الانجلو المصرية .

د / احمد صادق القشيـرى

x القانون الدولى الاقتصادى ، محاضرات القيت على طلبة دبلوم القانون الدولى العام بكلية الحقوق جامعة عين شمس ، عامى ١٩٨٠ ، ١٩٨١ القاهره .

د / احمد قسمت الجداوى

x مبادىء الاختصاص القضائى الدولى وتنفيذ الاحكام الاجنبية ، طبعة ١٩٧٢م القاهره ـ دار النهضة العربية .

د / احمد كمال ، د / كرم حبيب

× علم الاجتماع الحضرى - طبعة ١٩٧٣م القاهره ، دار الجيل للطباعة .

د / اسحق عبيد

× تاريخ العصور الوسطى المبكره - طبعة ١٩٨٠ / ١٩٨١م القاهره مكتبة الحرية جامعة عين شمس .

د / السيد صبرى

× مبادئ القانون الدستورى ، الطبعة الرابعة ١٩٤٩م القاهره مكتبة عبد الله وهبى .

د / الشافعى محمد بشير

× القانون الدولى العام فى السلم والحرب - الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م القاهره ، دار الفكر العربى .

الطبرى (ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى)

× تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، طبعة ١٩٦٥م - مكتبة خياط بيروت (لبنان) - مكتبة الاسدى طهران (ايران) ، وطبعة القاهره ١٩٣٩م ، المكتبة التجارية .

د / بدرية عبد الله العوضى

× القانون الدولى العام فى وقت السلم والحرب ، طبعة ١٩٧٨م - ١٩٧٩ دار الفكر بدمشق ، سوريا .

د / بطرس بطرس غالى

× التنظيم الدولى ، الطبعة الاولى ١٩٥٧ م القاهره ، مكتبة الانجلو المصرية •

د / بطرس بطرس غالى ، د / محمود خيرى عيسى

× المدخل فى علم السياسة ، الطبعة الاولى ١٩٥٩م القاهره ، مكتبة الانجلو المصرية •

د / ثروت أنيس الاسيوطى

× مبادئ القانون ، الجزء الاول ، طبعة ١٩٧٥م القاهره _ دار الفكر العربى •

د / جابر جاد عبد الرحمن

× التعاون والتنمية الاقتصادية والاجتماعية _ مجموعة محاضرات القيت على مبعوثى الدول العربية فى مركز التربية الاساسية للعالم العربى بسرس الليان (مصر) ١٩٥٩م القاهره ، دار المعارف المصرية •

× القانون الدولى الخاص ، الجزء الثانى ، طبعة ١٩٦٨م القاهره معهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية •

د / جعفر عبد السلام

× شرط بقاء الشيء على حاله أو (نظرية تغير الظروف فى القانون الدولى العام) طبعة ١٩٧٠م القاهره ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر •

× مبادئ القانون الدولي العام _ الطبعة الثانية ١٩٨٦م القاهـره دار النهضة العربية .

د / حامد سلطـان

× القانون الدولي العام في وقت السلم ، الطبعة الخامسة ١٩٧٢م ، القاهره ، دار النهضة العربية .

د / حسن شحاته سعفان

× أسس علم الاجتماع ، الطبعة الخامسه ١٩٦١م القاهره ، دار النهضة العربيـة .

× مونتسكيو (سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب) غير محدد سنـة الطبع ، دار النهضة العربية .

د /حسن كيـره

× أصول القانون _ الطبعة الثانية ١٩٦٠م ، منشأة المعارف بالاسكندرية .

× المدخل الى القانون ، طبعة ١٩٦٩م ، منشأة المعارف بالاسكندرية .

د / حسن محمد جوهر ، ومحمد مرسى ابو الليل

× شعوب العالم ، الطبعة الاولى ١٩٦٥م ، دار المعارف المصرية .

د /حسنين صالح عبيد

× القضاء الدولي الجنائي ، الطبعة الاولى ١٩٧٧ القاهره ، دار النهضة العربية .

د / حسنى محمد جابر

× القانون الدولى العام ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ القاهره ، دار النهضة العربية .

د / حسين عمـــر

× المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة ــ الطبعة الثانيـة ١٩٦٨م القاهره ، دار المعارف المصرية .

د / حسين مؤنـــس

× الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، طبعة ١٩٣٨م القاهـــــره مطبعة حجازى ــ لجنة الجامعيين لنشر العلم ، الهيئة المصرية للكتاب .

د / حمدى عبد الرحمـــن

× فكرة الحق ، طبعة ١٩٧٩م القاهره ــ دار الفكر العربى .

× فكرة القانون ، طبعة ١٩٧٩م القاهره ــ دار الفكر العربى .

د /خالد الصوفـــى

× تاريخ العرب فى الاندلس ــ طبعة ١٩٧١م ، كلية الاداب الجامعة الليبية بنى غـــازى .

د / رؤوف عبيـــــد

× مبادىء علم الاجرام ــ الطبعة الثانية ١٩٧٢م القاهره ــ دار الفكر العربى .

د / سعد محمد الشنـــاوى

× مدى الحاجه للاخذ بنظرية المصالح المرسله فى الفقه الاسلامى ، فقه مقارن ، مقارنات والفكر الغربى ــ الجزء الاول والثانى ، الطبعـــة

الثانيـة ١٩٨١م ، القاهره .

د / سعيد عبدالفتاح عاشـور

× اوربا فى العصور الوسطى ، الجزء الثانى ، النظم والحضـارة طبعة ١٩٧٢م القاهره ، دار النهضة العربية .

× فضل العرب على الحضارة الاوربية ، طبعة ١٩٥٧م القاهـره دار النهضة العربية .

د / سعيد عبدالفتاح عاشور ، د / عبدالرحمن الرافعى

× مصر فى العصور الوسطى (من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى) الطبعة الاولى ١٩٧٠م القاهره ، دار النهضة العربية .

د / سليمان مرقص

× المدخل للعلوم القانونية ، طبعة ١٩٦٢م القاهره ، دار نشـر الجامعات .

× محاضرات فى فلسفة القانون ـ طبعة ١٩٧١م ، القاهره ، كليـة الحقوق جامعة القاهره .

د / سليـم حسـن

× مصر القديمـة ، (العصر الذهبـى فى تاريخ الدولة الوسطـى) طبعة ١٩٤٧م القاهره ـ مطبعة دار الكتب ـ الهيئة المصريـة العامة للكتاب .

د / شمس الدين الوكيل

x النظرية العامة للقانون ـ طبعة ١٩٧٤م ـ منشأة المعارف بالاسكندرية .

د / شمس الدين خفاجي

x تشريعات التعاون ، فكر وقانون ، طبعة ١٩٦٦م ـ مكتب الشباب بالقاهره .

د / صبحي محمصاني

x القانون والعلاقات الدولية في الاسلام ـ بيروت ، طبعة ١٩٧٢م ، دار العلم للملايين .

د / صلاح الدين عامر

x مقدمة لدراسة القانون الدولي العام ـ الطبعة الاولى ١٩٨٤م القاهره دار النهضة العربية .

د / صلاح عبدالوهاب

x القانون الدولي العام ، طبعة ١٩٦٤م القاهره ، مطبعة الانوار .

د / صوفي حسن ابوطالب

x تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ـ طبعة ١٩٧٣م القاهره ، دار النهضة العربية .

x مبادئ تاريخ القانون ، طبعة ١٩٦٧م القاهره ، دار النهضة العربية .

د / طعيمة الجرف

x مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون ، طبعة ١٩٦٣م ، مكتبة القاهره الحديثة .

د / عـادل بسيونـى

x تاريخ القانون المصرى (مصر الاسلامية) ـ طبعة ١٩٨٥م ـ مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهره •

د / عائشـة راتـب

x المنظمات الدولية ـ (دراسة نظرية وتطبيقية) طبعة ١٩٦٨م القاهره دار النهضة العربية •

د /عائشـة راتب ، د / صلاح الدين عامـر

x التنظيم الدولى ، المقدمه د / حامد سلطان ، ١٩٧٤ ، القاهـره دار النهضة العربية •

عباس محمود العقـاد

x عقائد المفكرين فى القرن العشرين ـ طبعة ١٩٨٤م القاهـــــره ، دار المعارف المصرية •

د / عبد الرحمـن بـدوى

x شوبنهاور ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٥م القاهره ، دار النهضة العربية •

x نيتشه ، طبعة ١٩٦٥م القاهره ، مطبعة الرسالة •

د / عبد العزيـز سرحـان

x القانون الدولى العام ـ طبعة ١٩٧٣م القاهره ، دار النهضة العربية •

x الاتفاقية الاوربية لحماية حقوق الانسان طبقا للمبادىء العامة للقانـون الدولى ، طبعة ١٩٦٧م القاهره ـ دار النهضة العربية •

x التنظيم الدولى ، الطبعة الثانية ١٩٧٦م القاهره ، دار النهضة العربية •

د / عبدالعزيز سليمان نوار

x مصر والعراق (دراسة فى تاريخ العلاقات بينهما حتى الحرب العالمية الاولى) طبعة ١٩٦٨م القاهره — مكتبة الانجلو المصرية .

د / عبدالفتاح عبدالباقى

x نظرية القانون ، طبعة ١٩٥٤م القاهره — دار نشر الجامعات .

د / عبدالفتاح محمد اسماعيل

x جهود الامم المتحده لنزع السلاح ، طبعة ١٩٧٢م القاهره — مطبعة العالم العربى .

د / عبدالمنعم البدراوى

x الامم المتحده وقضايا افريقيا — طبعة ١٩٦٧م القاهره ، مكتبة الانجلو المصرية .

د / عبدالوهاب النجار

x قصص الانبياء ، طبعة ١٩٨٤م — دار الفكر بيروت ، لبنان .

د / عزالدين عبدالله

x القانون الدولى الخاص ، الجزء الاول ، الطبعة العاشره ١٩٧٧م القاهره دار النهضة العربية .

x القانون الدولى الخاص ، الجزء الثانى (تنازع القوانين والاختصاص القضائى) الطبعة السادسه ١٩٦٩م القاهره ، دار النهضة العربية .

د / عز الديــن فــوده

× التحكيم والقضاء الدولى ـ محاضرات القيت على طلبة دبلوم القانــــون الدولى العام بكلية حقوق جامعة عين شمس ١٩٨٠م القاهره .

× المنظمات الدولية ـ محاضرات القيت على طلبة دبلوم القانون الدولى العام بكلية حقوق جامعة عين شمس ١٩٨٠م القاهره .

× النظرية العامة لتعديل المواثيق الدولية ـ محاضرات القيت على طلبــة دبلوم القانون الدولى العام بكلية حقوق جامعة عين شمس ١٩٨٠م القاهره .

د / عثمــان اميــن

× الفلسفة الرواقية ، طبعة ١٩٤٥م القاهره ، مكتبة النهضة المصرية .

د / علــى البــارودى

× مبادىء القانون البحرى ـ طبعة ١٩٧٠م ـ المكتب المصرى الحديـــث للطباعة والنشر بالاسكندرية .

د / علــى حافــظ

× أسس العدالة فى القانون الرومانى ، طبعة ١٩٥١م القاهره ، مكتبـــة النهضة المصرية .

د / علــى بــدوى

× مبادىء القانون الرومانى ، الجزء الاول ، طبعة ١٩٣٦م القاهـــــره مطبعة مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د / على صادق ابو هيف

x القانون الدولى العام ، الطبعة الثانية عشر ، ١٩٧٥م ، منشأة المعارف بالاسكندرية .

د / على على منصور

x الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام ـ طبعة ١٩٦٢م القاهره دار القلم .

د / عمر كمال توفيق

x تاريخ الدولة البيزنطية ، طبعة ١٩٧٧م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية .

د / عمر ممدوح مصطفى

x القانون الرومانى ، الطبعة الخامسه ١٩٦٥م ـ ١٩٦٦م القاهره دار المعارف .

x اصول تاريخ القانون ، تكوين الشرائع وتاريخ القانون المصرى ، طبعة ١٩٥٢م ، مطبعة نشر الثقافة بالاسكندرية .

د / فوزية دياب

x القيم والعادات الاجتماعية ، طبعة ١٩٦٩م القاهره ، مكتبة الانجلو المصرية .

د / فتحية النبراوى ، د / محمد نصر مهنا ، د / درية شفيق

x تطور العلاقات السياسية الدولية ـ طبعة ١٩٨٤م ، مطبعة مصنع الكراسى بالاسكندرية .

د / فؤاد زكريا

x نيتشه ، طبعة ١٩٥٦م القاهره ، دار المعارف .

محمد ابو زهـرة

× تنظيم الاسلام للمجتمع ، طبعة ١٩٧٥م القاهره ، دار الفكر العربى .

× مقارنات الاديان ، الديانات القديمة ، طبعة ١٩٦٥م القاهره ، دار الفكر العربـى .

× أصول الفقه ، الطبعة الاولى ١٩٧٣م القاهره ، دار الفكر العربى .

د / محمد السعيد الدقـاق

× النظرية العامة لقرارات المنظمات الدولية ودورها فى ارساء قواعد القانون الدولى العام – رسالة دكتوراه قدمت بكلية حقوق جامعة الاسكندريـة فى ديسمبـر عـام ١٩٧٣م .

× التنظيم الدولى – الطبعة الثالثة ١٩٨٣م – الدار الجامعية للطباعـة والنشر بالاسكندرية .

محمـد الغزالـى

× عقيدة المسلم – الطبعة الرابعة ١٩٨٤م – دار الكتب الاسلامية بالقاهره .

د / محمـد بـدر

× تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – طبعة ١٩٨٠م القاهره ، دار النهضة العربيـة .

د / محمد بيصـار

× العقيدة والاخلاق – واثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ، الطبعة الثانيـة ١٩٧٤م القاهره – مكتبة الانجلو المصرية .

× الفلسفة اليونانية – الطبعة الاولى (غير محدد سنة الطبع) ، جامعـة السيد محمد بن على السنوسى – ليبيـا .

د / محمد حافظ غانم

x مبادئ القانون الدولى العام ـ طبعة ١٩٦٨م القاهره ، دار النهضة العربية .

x المنظمات الدولية ـ طبعة ١٩٧٥م القاهره ، مطبعة نهضة مصر .

x الوجيز فى القانون الدولى العام ـ طبعة ١٩٧٩م القاهره ـ دار النهضة العربية .

د / محمد حسين هيكل

x حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) الطبعة الثالثة ١٩٣٥م القاهره (المقدمه بقلم فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى) مطبعة دار الكتب المصرية ـ الهيئة المصرية للكتاب .

x تراجم مصرية وغربية ، صدرت الطبعة الاولى فى ديسمبر ١٩٢٩م واعيد طبعها ونشرها بدار المعارف بالقاهره عام ١٩٨٠م .

د / محمد رأفت عثمان

x الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام ـ طبعة ١٩٧٣م ، القاهره ، مطبعة السعادة .

د / محمد سامى عبد الحميد

x اصول القانون الدولى العام ـ الطبعة الاولى ١٩٧٢م ـ مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية .

x اصول القانون الدولى العام ـ الطبعة الثانية ١٩٧٧م بيروت ، لبنان .

x اصول القانون الدولى والقاعده الدولية ، الطبعة الخامسه ١٩٨٠ م ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية .

د / محمد صبري

× تاريخ العصر الحديث (مصر من محمد علي الى اليوم) ـ طبعة ١٩٧١م القاهره ـ مطبعة مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د / محمد طلعت الغنيمي

× بعض الاتجاهات الحديثة للقانون الدولي العام ـ قانون الامم طبعة ١٩٧٤م ، منشأة المعارف بالاسكندرية .

× الاحكام العامة في قانون الامم ، طبعة ١٩٧٠م ، منشأة المعارف بالاسكندرية .

د / محمد عبد الهادي الشقنقيري

× فلسفة القانون ـ محاضرات القيت على طلبة دبلوم القانون الخاص بكلية حقوق جامعة عين شمس عامي ٨٤ ، ١٩٨٥م القاهره .

د / محمد عماره

× فجر اليقظه القومية (١) دراسات قومية ـ طبعة ١٩٧٥م القاهره دار الثقافة العربية .

د / محمد على عرفه

× مبادىء العلوم الاجتماعية ، طبعة ١٩٥٢م القاهره ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د / محمد على عمران

× الالتزام بضمان السلامة ـ طبعة ١٩٨٠م القاهره ، دار النهضة العربية .

د / محمد كامل ياقوت

x الشخصية الدولية فى القانون الدولى والشريعة الاسلامية - طبعة ١٩٧٠م القاهره ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع •

د / محمد كمال عبد الحميد

x الشرق الاوسط فى الميزان الاستراتيجى - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م القاهره - مكتبة الانجلو المصرية •

د / محمد مصطفى شحاته الحسينى ، د / احمد الشاذلى

x العلاقات الدولية (محاضرات فى الفقه الاسلامى) طبعة ١٩٨٠ م القاهره ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع •

د / محمد يوسف موسى

x التشريع الاسلامى وأثره فى الفقه الغربى ، طبعة ١٩٦٠م القاهره الهيئة المصرية للكتاب •

د / محمود السقا

x تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ، الطبعة الاولى ١٩٧٠م ، مكتبة القاهره الحديثة •

د / محمد جمال الدين ذكى

x دروس فى مقدمة الدراسات القانونية ، طبعة ١٩٦٤م القاهره ، دار مطابع الشعب ، الهيئة المصرية للكتاب •

د / محمود خيرى بنونه

x القانون الدولى واستخدام الطاقة النووية ، الطبعة الثانية ١٩٧١م القاهره ، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع •

محمـــود شلتـــوت

× الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، طبعة ١٩٥١م القاهره مطبعة الازهر الشريف .

× الاسلام عقيدة وشريعة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م القاهره ، دار العلم .

د / محمود محمـــد زيادة

× دراسات فى التاريخ الاسلامى من العصر العباسى الى قبيل العصـــر الحاضر ، طبعة ١٩٦٩م القاهره ،دار التأليف للطباعة والنشر والتوزيع .

د / مصطفى الخشاب

× تاريخ التفكير الاجتماعى وتطويره ، الطبعة الاولى عام ١٩٥٤م القاهـــره مطبعة لجنة البيان العربى .

× دراسة المجتمع ، طبعة ١٩٥٨م ،القاهره، مطبعة لجنة البيان العربى .

د / مصطفى عبد الواحد

× الاسرة فى الاسلام ، طبعة ١٩٧٢م القاهره ، مكتبة المتنبى بالقاهره .

د / مصطفى محمـــود

× الماركسية والاسلام ، طبعة ١٩٨٣م القاهره ، دار المعارف .

د / مفيد محمود شهـــاب

× دروس فى القانون الدولى العام ، طبعة ١٩٧٤م القاهره ، دار النهضة العربية .

× المنظمات الدولية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م القاهـــره ، دار النهضة العربية .

د / منصور مصطفى منصـــور

× دروس فى المدخل لدراسة العلوم القانونية ، طبعة ١٩٧٢م ، القاهره ـ دار النهضة العربية

نـــور الديـــن اشرافيـــة

× معركـة الحياة (الثورة الفكرية العالمية ـ النضال الثورى مـــن أجـل الوحدة العالمية) ، الطبعة الاولى عام ١٩٧٢م ، مطابع دار الكتب ، بيروت ـ لبنان .

نـــور الديـــن حاطـــوم

× دراسة مقارنـه فى القوميات ، الالمانية والايطالية والامريكيـــة والهندية ، طبعة ١٩٦٦م ، معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ، القاهره .

د / يحيى الجمـــل

× تطوير المجتمع الدولى ، طبعة ١٩٦٤م ، القاهره ، الدار المصرية للتأليف والتـرجمـة والنشـــر .

٢ـ المقالات والبحوث

د / ابراهيم محمد العنانى

x المبادىء العامة لعلاقات الصداقة والتعاون بين الدول ، مجلة الدراسات الدبلوماسية الصادره من معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية السعودية ، دورية فى الدراسات الدبلوماسية والدولية العدد الثالث ١٩٨٦م ،الرياض ، المملكة العربية السعودية .

د / احمد محمد غنيم

x تطور الفكر القانونى ، دراسة تاريخية فى فلسفة القانون ، مجلة القضاة العدد السابع يونيو ١٩٧٢م ، القاهره .

د / بطرس بطرس غالى

x الدبلوماسية المصرية وقضية السلام العادل ، مجلة السياسة الدولية العدد ٣٦ـ ابريل ١٩٧٤م ، القاهره .

جارودى

x الدين والمجتمع لدى الماركسية ، مقال نشر بمجلة المصور المصرية العدد ٣٢٢٧ بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٨٦ ، علق عليه الدكتور/ محمد نور فرحات .

د / حامد سلطان

x الشريعة الاسلامية والقانون الدولى ، الحلقات الدراسية بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والادب والعلوم الاجتماعية (القانون والعلوم السياسية) بغداد مناير ١٩٦٩م ، الجزء الاول طبعة ١٩٧٢م القاهره الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د / حسن السيد نافعه

× المنظمات الدولية وقضايا التنمية فى العالم الثالث، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦٢ ، اكتوبر ١٩٨٠م القاهره .

د / حلمى بهجت بدوى

× الخطوات التالية لميثاق الامم المتحده فى سبيل الوصول الى حكومة عالمية ، المجلة المصرية للقانون الدولى ١٩٤٦م ، القاهره.

عباس موسى مصطفى

× حقوق الانسان بين دعاوى الغرب وأصالة الاسلام ، مجلة الدراسات الدبلوماسية الصادره من معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية السعودية ، العدد الثالث ١٩٨٦م ، الرياض .

د / عبدالحكيم العيلى

× حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية ، مجلة السياسة الدولية ، طبعة يناير ١٩٧٥م ، القاهره .

د / عدنان البكرى

× تأثير الصراع الدولى على الممارسات الدبلوماسية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦٦ ـ اكتوبر ١٩٨١م ، القاهره .

د / عصام الدين جلال

× ابعاد الخطر الذرى فى الشرق الاوسط وجنوب افريقيا ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦٤ ، ابريل ١٩٨١م ، القاهره .

د / مالكوم كير

× حركة الاحياء الاسلامى ومظاهرها المعاصره ، ندوة بجامعة كاليفورنيا فى مارس ١٩٨٠م ، ترجمتها الفتحسن أغا ، وتم نشرها فى مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦١ ـ يوليو ١٩٨٠م القاهره .

د / محمد ابراهيم فضه

x اثر عامل الشخصية فى صنع السياسة الخارجية ، مجلة السياسة الدولية العدد ٧٤ ، اكتوبر ١٩٨٣م ، القاهره ٠

محمد ابوزهــــره

x العلاقات الدولية فى الاسلام ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، يوليو ١٩٦٤م ، القاهره ٠

د / محمد السيد سليـم

x التضامن الاسلامى والنظام الدولى ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦١ ، يوليو ١٩٨٠م ، القاهره ٠

د /محمد عبد الشفيع عيسى

x اثر الغرب على التطور التكنولوجى للعالم الثالث، مجلة السياسة الدولية العدد ٧٤ ، اكتوبر ١٩٨٣م ، القاهره ٠

د / محمود السقا

x أثر الفلسفة فى الفقه والقانون الرومانى فى العصر العلمى ، مجلة القانون والاقتصاد ، ديسمبر ١٩٧١م ، القاهره ٠

محمود شلتوت

x نظرية الحرب فى الاسلام ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، العدد ١٤ سنة ١٩٥٨م ، القاهره ٠

محمد متولى الشعراوى

x وبدأ العلم ، مقال نشر فى جريدة الاخبار المصرية بتاريخ ١٩٨٦/٩/٢٢ العدد ١٠٦٩١ ، السنة الخامسة والثلاثون ٠

د / يحيى رجـــب

× التسوية السلمية للمنازعات الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦٥_ يوليو ١٩٨١م ، القاهره ٠

٣_ الدوريـات العربيـة

× مجلة السياسة الدولية

× مجلة العلوم القانونية والاقتصادية

× مجلة القانون والاقتصاد

× المجلة المصرية للقانون الدولى

× مجلة الدراسات الدبلوماسية ، الصادره من معـهد الدراسات _ الدبلوماسية بوزارة الخارجية السعودية بالرياض ٠

ثانيا : المراجع الاجنبية المترجمه

ادوار بـــروى

× تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى الجزء الثالث ، باريـــس ترجمة /يوسف اسعد داغر ، فريد م ٠ داغر ، الطبعة الاولى ١٩٦٥م منشورات عويدات بيروت لبنان ٠

ارسطو طاليس

× علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، الجزء الثانى ، ترجمة من اليونانيـــة الى الفرنسية وصدره بمقدمة بارتلى سانتهلير استاذ الفلسفة اليونانية فى الكولج دى فرانس ثم وزير الخارجية الفرنسية سابقا _ ونقله الـــى العربية احمد لطفى السيد ، طبعة ١٩٢٤م القاهره ، دار الكتـــب المصرية ٠

ارنولد توينبـــى

× مختصر دراسة للتاريخ الجزء الثانى ، ترجمة/فؤاد محمد شبل ، مراجعة محمد شفيق غربال ، الطبعة الثانية منقحه عام ١٩٦٧م القاهره ، اختارته واتفقت على ترجمته الاداره الثقافية فى جامعة الامم المتحده .

أ . س . رابـوبـرت

× مبادىء الفلسفة ، ترجمة أحمد امين ، الطبعة الاولى عام ١٩٦٩م ـ بيروت ، لبنان ـ دار الكتاب العربى .

أفلاطـون

× الجمهورية (جمهورية افلاطون) الكتاب الرابع ، ترجمة الدكتور/فؤاد زكريا مراجعة عن الاصل اليونانى د / محمد سليم سالم ، طبعة ١٩٦٨م القاهره دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

أما نويــل كانــت

× تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، ترجمة وتقديم وتعليق د / عبد الغفار مكـــاوى مراجعة د / عبد الرحمن بدوى ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهره .

× مشروع للسلام الدائم ، ترجمة د / عثمان أمين ، طبعة ١٩٤٥م القاهــــره مكتبة النهضة العربية .

اندريه ايمارد ، جانين ابوايه

× تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، الجزء الاول ، باريـــس ترجمة /فريد م . داغر ، فؤاد ج ابوريحان ، الطبعة الاولى ١٩٦٤م ، منشورات عويدات بيروت ، لبنان .

× تاريخ الحضارات العام ، روما وامبراطوريتها ، الجزء الثاني ، باريس ، ترجمة يوسف اسعد داغر ، وفريد م • داغر ، الطبعة الاولى ١٩٦٤م ، منشورات عويدات ، بيروت ـ لبنان •

أنيس • ل • كلود

× النظام الدولي والسلام العالمي ، ترجمة وتصدير وتعقيب الدكتور/ عبد الله العريان ، طبعة ١٩٦٣م القاهره ، مكتبة الوعي العربي •

برتراند رسل

× حكمة الغرب ، الجزء الثاني ، لندن ١٩٦١م ، ترجمة الدكتور/ فؤاد زكريا ، الطبعة الاولى ١٩٨٣م ، عالم المعرفة بالكويت •

توماس ارنولد

× الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم ، طبعة ١٩٥٧م القاهره مكتبة النهضة المصرية •

جاك • س • ريسلر

× الحضارة العربية ، ترجمة الى العربية غنيم عبدون ، مراجعة الدكتور/ احمد فؤاد الاهواني (غير محدد سنة الطبع) القاهره ، الدار المصرية للتأليف والترجمة •

ج • أ • تونكين

× القانون الدولي العام ، باريس ١٩٦٥م ، ترجمة الى العربية احمد رضا ، مراجعة الدكتور/عز الدين فودة ، الطبعة الاولى عام ١٩٧٢م القاهره ، الهيئة المصرية العامة للكتاب •

جواهر لال نهــرو

× لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة لجنة من الاساتذه الجامعييـــــن ، الطبعة الثانية أغسطس ١٩٥٧ ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيــع والنشر بيـروت ، لبنان .

جورج بولبتزيـــر ، جـى بيســى ، موريس كافينــج

× المبادىء الاساسية للفلسفة ، الجزء الاول ، ترجمة اسماعيل المهدى الطبعة الاولى عام ١٩٥٧م القاهره ، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيــع .

جورج سارتــــون

× تاريخ العلم ،الجزء الثانى نيويورك ١٩٥٢م ، ترجمة لفيف من العلمـاء باشراف لجنة مؤلفة من الدكاتره ابراهيم بيومى مدكور ، ومحمد كامــــل حسين ، وقسطنطين زريق ، ومحمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثانيــــة اكتوبر عام ١٩٧٨م القاهره ، دار المعارف .

جوستاف أ . فون جرونيبـــاوم

× حضا رة الاسلام ، جامعة شيكاغو ١٩٥٣م ، ترجمة عبد العزيز توفيـــق جاويــد ، مراجعة الدكتور/ عبد الحميد العبادى ، الطبعة الرابعـــة ١٩٥٦م القاهره _ مكتبة مصر .

جيمس هنــرى برستــد

× صحوة الضمير ، كندا ١٩٤٥م ، ترجمة الدكتور/سليم حسن ، طبعـــة ١٩٤٧م ، القاهره ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د ونالد برينـــا ن

× نزع السلاح وخطر التجارب الذرية ، ترجمة وتقديم رائد البراوى ، الطبعة

الاولى عام ١٩٦٢م القاهره ، دار العالم العربى .

راجا هوتيشنج (فيلسوف هندى)

x السلام العظيم ، نيويورك ١٩٥٣م ، ترجمة وتقديم وديع سعيد القاهره ١٩٧٣م .

ر . ج . كولنجوود

x فكرة التاريخ ، لندن عام ١٩٤٠م ، ترجمة/ محمد بكير خليل ، مراجعة /محمد عبد الوهاب خلاف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م القاهره لجنة التأليف والترجمة والنشر .

روبير شنيرب

x تاريخ الحضارات العام ، القرن التاسع عشر ، الجزء السادس ، باريس ترجمة/ يوسف اسعد داغر ، فريد م . داغر ، الطبعة الاولى ١٩٦٩م منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان .

سيجريد هونكه

x شمس الله فوق ارض العرب ، فضل العرب على اوربا ، ترجمة الدكتور/ فؤاد حسين ، طبعة ١٩٦٤م القاهره .

شارل فرنر

x الفلسفة اليونانية ، ترجمة تيسير شيخ الارض ، الطبعة الاولى عام ١٩٦٨م ، دار الانوار ، بيروت لبنان .

د / فليب حتـــى

× تاريخ العرب ١٩٧٢م ، نيويورك ترجمة الدكتور/جبرائيل جيـــور طبعة عام ١٩٧٤م ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ، بيـروت لبنـان .

ك . أ . بانيكـــار

× مشاكل الدول الاسيوية والافريقية ، ترجمة وتقديم عبد السلام شحاتـه طبعة عام ١٩٥٩ ، القاهره ، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع .

ماكـس بيلـــوف

× أبعاد جديدة فى السياسة الخارجية ، ترجمة محمد جعفر ، مراجعة الدكتور/ابراهيم جمعه (غير محدد سنة الطبع) ـ الدار القوميـة للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهره .

ماكيفـــر

× المجتمع ، ترجمة على احمد عيسى ، طبعة عام ١٩٥٧م القاهـــره مكتبة النهضة المصريـة .

ميشيـل ستيـورات

× نظم الحكم الحديثة ، ترجمة احمد كامل ، مراجعة الدكتور/سليمـان الطماوى ، طبعة عام ١٩٦٢م القاهره ، دار الفكر العربى .

هـ . سانت . ل . ب . موس

× ميلاد العصور الوسطى ١٩٣٥م ، نيويورك ، ترجمة عبد العزيز جاويد مراجعة الدكتور/ السيد الباز العرينى ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م القاهره ، عالم الكتب .

هنرى توماس

× أعلام الفلاسفة ، نيويورك ١٩٦٢م ، ترجمة مترى أمين ، مراجعة وتقديم الدكتور/زكى نجيب محمود ، الطبعة الاولى ١٩٦٤م القاهره دار النهضة العربية .

هنرى جونسون

× تدريس التاريخ ، نيويورك ١٩٤٠م ، ترجمة الدكتور/ابوالفتوح رضوان الطبعة الاولى ١٩٦٥م القاهره ، دار النهضة العربية .

و . ر . جودسون (وآخرون)

× التعايش بين الثقافات على كولبنا الارض ، نيويورك ١٩٦٩م ، ترجمة فؤاد اسكندر ، مراجعة وتقديم محمد سليمان شعلان ، طبعة ١٩٧٢م القاهره ، دار المعرفة .

ول ديورانت

× قصة الحضارة ، الجزء الثالث من المجلد الثالث (١١) قيصر والمسيح ترجمة محمد بدران ، اختارته واتفقت على ترجمته الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية عام ١٩٦١م القاهره .

يوليوس فلهوزن (مستشرق المانى)

× تاريخ الدولة العربية ، جوتيسنجن ، المانيا عام ١٩٠٢م ، ترجمة الدكتور/محمد عبدالهادى ابو ريده ـ مراجعة الدكتور/حسين مونس الطبعة الاولى ١٩٥٨ ، القاهره ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

ثالثا : المراجع الاجنبية

١ ـ الكتب (Books)

Anesaki, Masahru.:

* History of japanes Religion. with special reference to the social and moral life of the mation, charles E. Tuttle company, Tokyo. Japan, U.N. University, 1980.

Anzilotti, Dionisio.:

* Cours de droit international, traduction francaise par Gilbert cidel, sirey. Paris, 1929.

Bach Hofer, L.:

* Early indian sculpture, 2. vol, Paris, 1929.

Bergson, Henry.:

* Les deux sources de la Morale et de la Religion, Paris, U.N. University. Tokyo, 1962.

Bogdanov, O.V.:

* Le desarmement à la lumière due droit international, Paris, 1958.

Bougherty, James and Robert L. Pfaltzgraff.:

* Contending theories of international Relations, J.Blippincott Company New York. Hagerstown Philadelphia. San Francisco, 1970.

Bryce, James.:

* International Relations, London, 1932.

Croiset, M.:

* La Civilisation de la Grèce antique, paris, 1932.

Dawson, Frank Griffith and Ivan L. Head:

* International law, national tribunals and Rights of Aliens, New York. 1974.

Delaporte, L:

* La Mesopotamie, les civilisation babylonienne et assyrienne, paris., 1923.

Durkheim, Emile:

* L'education morale, Paris, 1925.

Driver, G.R. and John G. Miles:

* The babyloniar Laws, Vol.1, Oxford University. London, 1960.

Burle, E.:

* Essai historique sur le develópment de la nation du droit naturel dans l'antiquitẽ thèse, Lyon, 1908.

Breassted, H. James.:

* A History of Egypt, Part.2, London, 1948.

Brom, Field.:

* Le Monde à Refaire, 1. vol, Paris, 1954.

Brown, R.Lester.:

* State of the world, W.W. Norton Company, New York. London, U.N. University, 1985.

Ercih, F.:

* The fear of freedom, London, 1952.

Fisher, H.A.L.:

* A History of Europe, 1. vol, London, 1940.

Gades, Andrẽ.:

* Le Desarmement Devant la societe Des Nations, Paris, 1929.

Giraud, Emile.:

* Le droit positif. ses rapports avec la Philosophie et la politique, Mèlanges Basdevant, Editions.A. pedone, Paris, 1960.

Glaser, Stefan:

* Droit international Pènal conventionnel, Bruxelles, Établisseme Nts Enile Bruylant, Sociètè anony me d'editions. Juridiques et scientifigures . Rue De La Regence. 1970.

* Infraction international Ses Elements Constitutifs Et Ses Aspects Juridiques, Exposr sur La Base Du Droit Pènal Compare, Paris, 1957.

Gurvitch, Georges:

* Sociology of Law, Kegan Paul Co . Ltd, London, 1947.

Gusdrof, Georges.:

* Traitè L'existence morale, Paris, 1953.

Haraszti, Gyorgy:

* Questions of international Law, A.W.Sijthoff. Leyden. Akademiai Kiado. Budapest, 1977.

Hershlac, Z.Y.:

* Introduction to the modern economic History of Middel East, Leiden Brill, 1964.

Lauterpacht, H.:

* Codification and development of international law, Ajil, 1955.

Lauterpacht, H.:

* Private law sources and analogies of international law, London, 1927.

Landis, Paul.:

* Social control, social organization and disorganization in process, New York, 1956.

Le Fur et Chklaver.:

* Recueile et textes de droit international public, 1.vol., Paris, 1928.

Maclver, R.:

* The Modern state, Oxford University. Press, London, 1947.

Metchnikoff, Elie.:

* Etude sur la nature humaien essai de Philosophie optimiste, paris, Moloine, U.N.University, 1903.

Middlebuch, A.Frederick and Chesney Hill.:

* Elements of International Relation, 1.Vol, New York, 1940.

Mommsen, TH.:

* Historie Romaine, Paris, 1924.

Ogburn, W.F.:

* Social Change with Respect to culture and original nature, the vikiny press, New York, 1952.

Oppenheim (Lauterpacht).:

* International law A treatise, by H. Lauterpacht, London, New York. Toronto, Longmans. 8th Edition, 1955.

Oshea, J.S. Ericey.:

* Derecho Diplomatico, Tom E.I, Madred, 1954.

Parodi, D.:

* La conduite humaine et les voleurs ideales, paris Alcon. Nouv. Ency.Cl Philos, 1939.

Pound, Roscoe.:

* Social control through, yale University, press, New Haven, 1942.

* An introduction to the Philosophy of law., the colonial press inc, Clinton Mass, U.S.A., 1959.

Redslob, R.:

* Traite de droit des gens, Paris, 1950.

Renouvin, Pierre.:

* Historie des Relations Internationales, Paris, 1958.

Ropke, :

* La communate international, 1.vol, Genève, 1947.

Rousseau, Charles.:

* Le Droit International Public, Tome. 1, paris, 1968.

* Principes generaux du droit international, Tome. 1, Editions A Pedone, Paris, 1944.

Rousseau, J.J.:

* La profession de foi du vicaire savayard èd Beaulavon, printed Paris, 1928.

Scheler, Max.:

* Der Formalismus in der Ethik, Paris, Gallimard, 1955.

Scelle, G.:

* Droit internationl public, 1.vol, Paris, 1944.

Schwarezenberger, G.:

*A manuel of international law, vol.1, London, Fourth Edition, 1960.

Scotts, B.James.:

* The Legal Mature of International Law, New York, 1965.

Sedilot, E.:

* Histoire Des Colonisations, 1.vol, Paris, 1958.

Sibert, M.:

* Traitè de droit international public, Tome. 1,Paris, 1951.

Sorokin, A. Pitirim.:
* Social and Cultural Dynamics, Parter Sargent Publisher, Boston, 1957.

Swain, E.:
* A History of world Civilization, 1.vol, London, 1947.

Thomson, David.:
* World History From 1914 to 1950., Oxford University Press, London, 1953.

Verdross, Alfred.:
* Droit international, Paris, 1959.

Wilson, E.Howard & Florence H.Wilson.:
* American Higher Education and World Affairs, Published by the American Council on Education. Washington, 1963.

(Articles) ٢ ـ المقالات

Ago, R.
* Positive Law and International Law, American Journal of International Law, Vol.51, New York, 1957.

Freeman, Harrop and Stanley Yaker.

* Disarmament and the Atomic Con:rol, Legal and Unlegal Aspects, Cornel Law Review (Quarterly)-U.S.A., Vol.43, No.2, Winter, 1958.

Gavin, James.:

* War and Peace in the Space Age, University of Pennsylvania Law Review, Vol.107, No.4, Febeuary. 1959.

Jessup, Philip.:

* Should International Law Recognize an Internations Status between peace and war., american Journal of International Law, vol.48, 1954.

Kaeckenbeek, Georges.:

* La Charte de San Francisco dans ses Rapports avec Le Droit International, Recueil Des Cours-Academie du Droit International de La Haye-Vol. 70, No.1, 1947.

Kaufman. B.:

* Droit International de La paix, Recueil Des Cours- Vol.52, 1935.
* Règles gènèrales du droit de La paix, Recueil Dec Cours, vol.54, 1935.

Kunz, J.:

* The Nature of Customary International Law- American Journal of International Law, vol.47, 1953.
* General International Law and the Law of International Organization- American Journal of International Law, vol.47, 1953.

Lachs, Manfred.:

* The International Law of Outer Space, Recueil Des Cours, vol.113, No.3, 1964.

Le Fur:

* La Coutume et les principes gènèroux du droit comme sources de droit International public, Recueil d'etudes sur les sources du droit en l'honneur de francois Geny. vol.III, paris, 1937.

Nutting , Anthony.:

* Disarmament. Europe and Security, International Affairs, Vol.36, No.1, 1960.

Politis, Nicholas.

* The problem of Disarmament, International Conciliation, March, 1934.

Scelle, G.:

* Essai sur les sources formelles du droit international, Recueil d'etudes sur les sources due droit en l'honneur de francois Geny, Tome.III, 1937, Paris.

Schwelb, Egon.:

* The Nuclear test Ban Treaty and International Law, the American Journal of International Law- Vol.58, 1964.

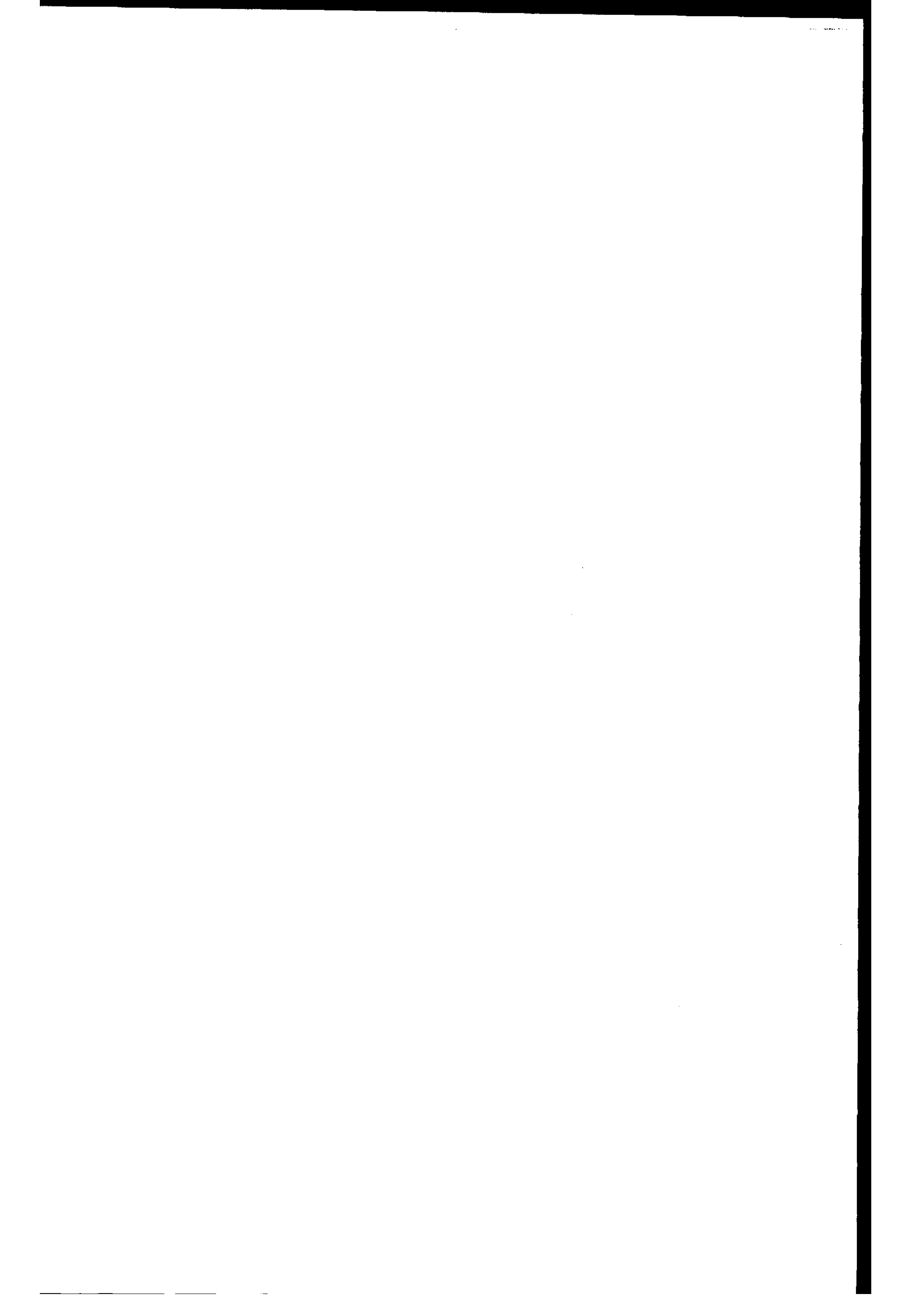
Smyrniadis, B.:

* Positivisme et morale international en droit des gens, Revue gènèral de droit international public, No.1, 1955.

Strupp, K.:

* Règles gènèrales du droit de la paix, Recueil des cours de l'Acadèmie de droit internat- ional, Vol.47, 1934, Paris.


الفهرس



الباب الثانى

الامبراطورية الرومانية الشرقيــة

الباب الثالــــث

الحضارة العربية الاسلامية